

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣١٠ - ربيع الآخر ١٤٢٣ هـ - يونيو / يوليو ٢٠٠٢م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 310 -JUN. / JUL. 2002

العلاج بالقراءة في الأدب العربي

العربية في مواكبة العصرنة

الإرهاب الاقتصادي

نهاية الفيلسوف ديكارت

تاريخ الخيول العربية في بولندا

المسلات المصرية بين السرقة والإهداء

التيم صيدلية متكاملة

الأدب الفلسطيني في سجال العالمية



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

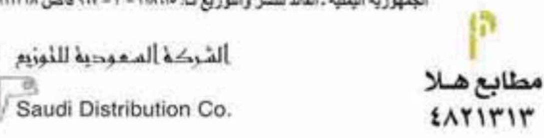
الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ ديناراً ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢). مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢... سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١. ٩٦٣... تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ١ - ٢١٦... قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٩٧٤... الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ ـ ٩٦٢... البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٩٧٣... الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٩٧١... الجزائر ـ مؤسسة E.B.D PRESSE لتوزيع الصحافة ـ ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ ـ ٢١٣... الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٩٦٥... السودان شركة النحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب SOCHPRESS - CASABLANCA - TEL:2400223, Fax:00212-2404041/32 - MOROCCO باكستان PAKISTAN
PARADIS BOOKS & DISTRIBUTORS- KARACHI 75400, TEL:4314961/2 FAX: 0092-21-4554410.
الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ - ٣ - ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٢٣٨



مطابع هلا
٤٨٢١٣١٣

الأدب الفلسطيني واجهة الأدب العربي في مجال العالمية

اضطلع الأدب الفلسطيني بدور فعال في إضاءة القضية الفلسطينية قومياً وإنسانياً، ابتداء من منتصف الستينيات، وامتلك عدداً من مقومات العالمية أهمها التجربة الحياتية، والموقف الإنساني، واللون المحلي ونكهته الخاصة، إلى جانب تفرده المكتسب من تفرد القضية الفلسطينية.

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:
١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ٠٢٥٨ ـ ١١٤٠

تصويبات متفرقة

الأستاذ رئيس تحرير الفيصل

فهذه تصويبات متفرقة عن العدد (٣٠٧) لأخطاء تحيل المعنى عن وجهته. أرجو التنبه لها. (الرقم الأول للصفحة، والثاني للسطر، والثالث للعمود).

٤٥ ـ ٩ ـ ٢ : في إكساب المتعلم ملكة التفكير النافذ. صوابه: الناقد.

٤٨ ـ ٢ ـ ٢ : نسبة إلى فيرث Furth صاحب نظرية سياق الحال. صوابه Firth.

٥٤ ـ ١١ ـ ١ : واخترعت الكتابة في أوغاريت وصعيد مصر قبل خمسة آلاف سنة.

أقول: وفي ذلك نظر؛ فإذا صدقت العبارة على مصر فإنها لا تصدق على أوغاريت، ذلك أن أقدم النقوش الأوغاريتية لا يتجاوز عام ١٤٠٠ق.م.

٥٤ ـ ١٦ ـ ٢ : وحدّ حدوداً فلا تنهكوها. صوابه: فلا تنتهكوها.

٦٧ ـ ٤ : هوبرت ريد تحت عنوان الفن والمجتمع. صوابه هربرت ريد (بدون واو).

٨٢ ـ ١١ ـ ١ : صون يات صن. صوابه صن يات صن. وللعقاد كتاب عنه بالرسم الذي ذكرناه.

٨٢ ـ ٩ ـ ٢ : صورة نادرة للقديسة سانت فاتيما.

أقول: يكتفى بواحدة من الكلمتين: إما (القديسة) أو (سانت) فلكل منهما المعنى نفسه.

١٠٧ ـ ٢ ـ ٢ : ترجم هذا الكتاب إلى العربية طلعة الشايب. صوابه: طلعت، بتاء مفتوحة.

١١٨ ـ ١٦ ـ ٢ : يوسف بن يحيى المغامي. صوابه: المغامسي.

١٢٣ ـ ٣٢ ـ ١ : حسام الدين أمين الخطيب السوري الجنسية.

أقول: أعرفه عندما كان في تعز ولديه جواز صادر من دمشق خاص بالفلسطينيين.

١٢٧ : تكررت كلمة نعوم تشومسكي.

وقد ورد اسم هذا اللساني الشهير في التآليف العربية أيضاً بهذه الأشكال: نوام، نعام، نوعم. والصواب كما سمعناه منه: نوْم.

١٣٣ : تكررت في العمود الثاني أخطاء نجملها في الآتي:

عبدالعليم الصحاوي. صوابه: الطحاوي. ملا سادرا. صوابه سُلاّ صدرا

مثناوي، المثناوي. صوابه مثنوي، المثنوي.

لاتافيا. صوابه: لا تفيا

ولكم كل شكري وتقديري

د. عباس السوسوة

استاذ علم اللغة ـ جامعة تعز ـ الجمهورية اليمنية.

التحرير:

نشكر لكم هذه الملاحظات والتصويبات القيمة مما يدل على متابعتكم الدقيقة، واهتمامكم بما ينشر في المجلة، ونأمل أن يوافينا الإخوة القرّاء بما يعن لهم من ملاحظات وتصويبات وآراء لتحقيق مزيد من الدقة.

وتعقيباً على ما أوردتموه من ملاحظات نذكر الآتي:

ـ فيما يتعلق بملاحظاتك عن الأعلام والأماكن نشير إلى أننا حريصون على التزام أصل المادة المرسلة من الكاتب، ولا سيما أسماء الأعلام الأجانب التي تتعدد طرائق كتابتها ورسمها بالعربية. كما أننا نترك المجال لأي تعقيب أو تصحيح يرد من الإخوة القراء، ونأمل من الإخوة كتّاب المقالات التي شملتها تصويباتكم الرد إذا كان هناك ما يستدعي ذلك.

ولا ننكر أنه قد حدث تصحيف في اسم هربرت ريد، وما ذكرته هو الصواب.

ـ نشير إلى أن الرسم الذي جاء عليه اسم طلعة هو الصواب، لأن الخطأ الشائع كتابة كلمات مثل طلعة، وبهجة، وعصمة بالتاء المفتوحة، وهذا دخيل على اللغة العربية بتأثير الحكم التركي. وقد التزمنا الرسم الذي جاء في مقالة الكاتب.

ـ جاء في مقالة الكاتب كلمة (النافذ) لا (الناقد) والصفتان صحيحتان، مع أننا قد نميل إلى التفكير النافذ كما جاء في المقالة؛ لأن النافذ يعني السديد المصيب الذي ينفذ إلى كبد الحقيقة.

ـ أما تصويبك لكلمة «تنهكوها» فصحيح لأن المراد «تنتهكوها» وهو خطأ طباعي واضح.

ـ نوافقكم أن كلمتي «القديسة» و«سانت» لهما معنى واحد، وقد سقط القوسان من كلمة سانت لأننا عادة نذكر الكلمة العربية ونضع الأجنبية بين قوسين.

ـ الدكتور حسام الدين الخطيب سوري الجنسية وهو فلسطيني الأصل، وهذا ما جاء في سيرته الذاتية عند نيله جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب عام ١٤٢٣هـ.

ـ نترك للدكتور خالص جلبي خيار الرد على ما ذكرته عن تاريخ اختراع الكتابة في أوغاريت واعتراضكم على ما جاء في مقاله.

ومن باب التذكير: ذكرتم في تعقيبكم على الصفحة ٦٧.. هربرت ريد (بدون واو) والصواب من دون واو. أو دون واو لأن دون لا تدخل عليها الباء، وذكرتم على الصفحة ٨٢ إما القديسة أو سانت، والصواب إما القديسة وإما سانت؛ لأن إما يجب تكرارها.

لماذا التأخير؟

ما زالت المجلة تتأخر كل شهر ـ أحياناً تصل في الثلث الأخير من الشهر وأحياناً تصل بعد نهاية الشهر. بينما مجلات أخرى تصل حين صدورها مباشرة أول الشهر

وحبذا لو تكون قسيمة الإجابة منفصلة مثل قسيمة الاشتراك، وتكون سهلة النزع كأن تكون مُخرّمة من جهة اتصالها بالمجلة.

ختاماً السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم منصور سليمان عبدالله
ص.ب: ٥٥٦٩٩ ـ تعز ـ اليمن

التحرير:

سوف نعمل على تلافي أسباب تأخر وصول المجلة إلى مركز التوزيع في الدول المختلفة، ونشكر لك اقتراحك، وسندرس إمكانية تنفيذه إن شاء الله.

لم أفز!!

أتمنى لكم كل خير ونجاح في أعمالكم الثقافية الجليلة، وأود لفت عنايتكم الكريمة إلى أنني أشارك في مسابقة مجلة الفيصل الغراء منذ عدة سنوات (ليس بانتظام طبعاً) لكنني لم أفز ولا في أي مرة، وأصارحكم أنني حائر في هذا الأمر، هل رسائلي لا تصل؟ أم أنها تصل بعد الوقت المحدد للمسابقة؟ أم أنه الحظ؟

أرجو طمأنتي في هذا الخصوص

والله يحفظكم ويرعاكم.

إبراهيم نويري
بلدة بوخضرة ١٢٣١٠ ص. ب: ٣٦
ولاية تبسة ـ الجمهورية الجزائرية.
بسيونية أحمد حسن محمد ـ محافظة البحيرة ـ مصر.

التحرير:

نطمئن الإخوة والأخوات الذين لم يحالفهم الحظ للفوز بإحدى جوائز مسابقة «الفيصل» أن تحديد الفائزين يعتمد على القرعة من دون أي نوع من التدخل من إدارة المجلة، فلا داعي للحيرة والقلق، مع أمنياتنا الطيبة لجميع الإخوة المشاركين.

ردود سريعة

الأخ محمد عملسي ـ بوقادير ـ الجزائر:

نشكر لك ثقتك بمجلتك، وكان بودنا تلبية طلباتك لولا أنها لا تتجاوز نطاق اهتمامات المجلة وقدراتها، ويمكنك أن تخاطب جهات أخرى كثيرة مختصة بتلبية هذه الطلبات، وستجد منها ـ إن شاء الله ـ كل حفاوة وترحاب

الأخ حميد حسين أحسن السنقي ـ صنعاء ـ اليمن:

نشكر لك ما كتبته من شذرات عن تاريخ العالم الإسلامي معتمداً على مكتبة أجدادك ـ كما تقول ـ ، ونتمنى أن نتلقى مقالات أكثر عمقاً تجد طريقها إلى النشر في المجلة.

الأخ عبدالرحمن يوسف جقلان ـ حلب ـ سورية:

نشكر لك مشاعرك الطيبة، وكان بودنا أن يكون عرضك لكتاب «جسم الإنسان في معاجم المعاني» للدكتورة وجيهة أحمد السطل الصادر عن دار الفيصل الثقافية مستوفياً شروط النشر حتى يأخذ طريقه إلى صفحات المجلة، ولكن نعتذر لك عن عدم إمكان نشره؛ لأن المجلة لا تنشر مقتطفات من الكتب، وإنما ترحب بعرضها وتحليلها كيما يقدما فكرة وافية للقارئ عن مضمون الكتاب.

الأخ محمد العجمي الإمام ـ نهج طارق بن زياد ـ ولاية سوسة ـ تونس:

يمكنك الحصول على عناوين المراكز المهتمة بالثقافة العربية والإسلامية من الإنترنت، فهي كثيرة العدد، وقد تجد مبتغاك من خلال تعرف نشاطات كل مركز من هذه المراكز.

الأدب الفلسطيني واجهة الأدب العربي في سجال العالمية

حسام الدين الخطيب
الدوحة - قطر

ليست العالمية، بالمفهوم أو الممارسة، فكرة طارئة في تاريخ الإنسان، فقد خلق الإنسان في الأصل عالميًا، ويفترض أنه كان ينتمي إلى جنس بني البشر: «كلكم لآدم، وآدم من تراب». وربما يميز نفسه بذلك عن سائر المخلوقات الحية من حوله. ولكن بالتدريج بدأت الانتماءات الأسرية والقبلية والإقليمية والسلطوية تتنازعه، حتى ساد منذ القديم تصور بتمزق البشرية. ووقع العالم في حيرة إزاء فطرته العالمية.

أولا: العالمية ومقوماتها

مفهوم العالمية الأدبية في أحدث تجلياته

وعلى الرغم من تضارب مفهومات العالمية خلال العصور الحديثة واضطرابها، فإنه يمكن تلخيص مفهوم العالمية المعاصر بالتعريف الآتي:

ارتقاء أدب ما، كليًا أو جزئيًا، إلى مستوى الاعتراف العالمي العام بعظمته وفائدته خارج حدود لغته أو منطقته، والإقبال على ترجمته وتعرُّفه ودراسته، بحيث يصبح عاملاً فاعلاً في تشكيل المناخ الأدبي العالمي لمرحلة من المراحل، أو على مدى العصور.

وأعلن مسؤوليتي الكاملة عن صياغة هذا التعريف، الذي يحاول أن يلخص مجمل التطورات المعاصرة، وعلى أساسه بنيت اجتهادات البحث الحالي.

فكرة عن مقوّمات العالمية

مقومات ذاتية القيمة (القيمة الداخلية للعمل الأدبي):

أ. الموقف الإنساني والفكري هو الأساس

هذا المقياس متوافر موضوعيًا إلى حدٍ ما في جميع الأعمال التي استطاعت أن تصل إلى المرتبة العالمية وتصمد لتنال الخلود، أي إنه لا يوجد أيُ عمل ذي شهرة عالمية إلا ويحمل في ثناياه تفسيرا للكون أو الوجود أو المصير أو المجتمع أو العالم الداخلي للإنسان.

ب. اللون المحلي ونكهته الخاصة

هناك أعمال أدبية يرجع سبب خلودها إلى ما تتمتع به من نكهة محلية وشخصية قومية أو إقليمية خاصة، ومقدرة على التعبير عن روح منطقة معطاة من العالم. وفي المرحلة الحالية ينطبق هذا التحديد على غابرييل

غارسيا ماركيز ونجيب محفوظ، اللذين نالا وسام العالمية من خلال جائزة نوبل للآداب.

ج ـ عامل التفرد والابتكار والغرابة

أحياناً يحظى عمل ما بشهرة فائقة بسبب ما فيه من لون نوعي ومميز جداً، أو لما فيه من صدمة للمألوف. وفي الأدب الحديث تعمُّدٌ للإدهاش والكشف عن المخبوء والإغراق في المخالفة.

د ـ توازن بين الخاص والعام

المطلوب هو عملية توازن دقيقة جداً بين الخاص والعام، ما يخص مجتمعاً معيناً في فترة معطاة، وما يخص الإنسانية بالمعنى المطلق؛ وكذلك بين المتحول والثابت، أي بين ما هو طارئ وزمنيّ، وما هو جوهريّ ومتكرر على المدى فيما يتعلق بالحقيقة الإنسانية.

هـ ـ الإبداع الفني هو الشرط المسبق

لابد من توافر شرط الإتقان الفني لأي عمل يرشح نفسه للعالمية، وليس للإبداع مواصفات واضحة متفق عليها، بمعنى أن الإتقان يمكن أن يتحصل من خلال مراعاة المعايير الفنية سواء من حيث التصميم العام للعمل، أو من حيث خصوبة الخيال، أو من حيث دقة التعبير وجماله وطاقته الإيحائية أو الموسيقية... ولكن شهدنا في الأيام الأخيرة أعمالاً تلجأ إلى مخالفة كل المواصفات المتعارف عليها فنياً، ومع ذلك توصف بأنها مبدعة وفنية، وتحظى بالاعتراف العام لجمهور القراء العالمي.

مقومات لغوية

أ ـ اللغات الحية أوفر حظاً

إن حظوظ اللغات من العالمية تختلف من لغة إلى أخرى اختلافاً شديداً، كما أن الظروف العالمية لكل لغة تختلف حسب تقلبات المناخ العالمي السياسي والاقتصادي والحضاري بوجه عام. ولعل تراجع حظوظ اللغة الروسية في تسعينيات القرن العشرين أكبر دليل على هذا الاختلاف.

إميل حبيبي



توفيق زياد

ب ـ دور حاسم للغة الإنجليزية

يعدُّ تفوق اللغة الإنجليزية الحالي ظاهرة خطيرة من ظواهر الهيمنة الناجمة عن تمدد العولمة، ولهذا الموضوع جوانب متعددة سيكون لها في المستقبل تأثير أبعد من مسألة العالمية.

مقومات إطارية

أ ـ المقياس السياسي ـ الحضاري

أيْ مقياس قوة الأمة التي ينتمي إليها الأدب المرشح للعالمية، لا في المجال السياسي والعسكري فحسب، بل ـ وأهم من ذلك ـ في مجال الإشعاع الحضاري. ويؤثر هذا المقياس تأثيراً شديداً في طبيعة الفرص المتاحة لخلود العمل الفني على المستوى الإنساني.

ب ـ تملُّك وسائل الاتصال الثقافي

تشكل وسائل الاتصال الثقافي والإعلامي القنوات الطبيعية لبلوغ العالمية، ومن خلالها تزداد حظوظ انتشار الأدب عالمياً من الزاوية الكمية، وتتضاعف بفضل عوامل مثل: تكنولوجيا المعلومات، والقنوات الفضائية، والفيض الحر للمعلومات (إنترنت)، والإخراج المرقّن، والمعاجم الإلكترونية (نسبياً)؛ والأدب الذي توضع في تصرفه هذه الوسائل يجد السبيل إلى العالمية ممهداً.

ثانياً: موقع الأدب العربي من سجال العالمية

لماذا الأدب العربي على وجه التحديد؟

من الواضح أن هناك مسوّغات أدبية وقومية وإنسانية لطرح هذا الموضوع، ويخشى المرء أن يدخل في باب (السفسطة) بمعناها الشائع إن هو وقف طويلاً عند هذه المسوغات.

وما يمكن أن يذكر هنا أن مرحلة النمو العربي الحالية تحتم علينا أن يكون نمونا متكاملاً على مختلف المستويات من جهة، وأن يكون هذا النمو ـ من جهة أخرى ـ شديد الارتباط بالمناخ العالمي المعاصر. وتشكل التجربة الأدبية حيّزاً مهماً جداً في ساحة الصراع الدائرة

في كل مكان من أجل تثبيت الهوية الخاصة أولاً، ومن أجل الانتساب إلى روح العصر ومن ثم الانطلاق نحو الإسهام العالمي. ومن يتصدى لموضوع كموضوع عالمية الأدب العربي، لابد ـ بالطبع ـ أن يكون منطلقًا في الأعماق من إيمان بجدوى البحث في هذا الموضوع، وإمكان التوصل إلى حقائق متبلورة فيه. على أنه كان هناك حرص على عدم السماح لهذا الإيمان المبدئي بالتأثير في طبيعة النتائج والاستنتاجات التي جرى التوصل إليها.

ويبدو ضرورياً التأكيد هنا أن موضوع عالمية الأدب العربي ليس موضوعاً فنيًا خالصاً وليس موضوعًا تقنياً يتفرع عن الميدان التقني الأعم الذي هو الاتصال الثقافي Cultural Communication وإن كانت له صلة كبرى بهذين الجانبين. إنه في الأصل موضوع قومي ـ حضاري إن صح التعبير، فهو يتصل بموقفنا من أنفسنا

كان فوز الأديب الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨م نقطة انطلاق عظيمة لانتشار الأدب العربي في العالم، وأدى إلى حل ما يمكن أن يسمى عقدة نوبل العربية

وموقعنا من العالم، وبتطلّعنا إلى إثبات وجودنا في المستوى الحضاري المعاصر. ويمثل الأدب بالطبع قناة مهمة من تلك القنوات التي تلجأ إليها الأمم لتقديم الصورة التي ترضى عنها، ولتقوية إسهامها في الصرح الثقافي العالمي المشترك. وقد ظل الأدب عبر العصور قناة فعالة ومؤثرة، ويبدو أنه سيظل كذلك في المدى المنظور، على الرغم من المنافسة العالمية التكنولوجية التي سحبت منه أولوية التأثير حتى الآن، وشكّلت تهديداً مستمراً لفعالية دوره. ويبدو أن كثيراً من البلدان النامية سوف تواصل الاعتماد على القناة الأدبية من أجل إحراز التأثير العالمي أو الاحتفاظ به ما دامت القنوات الأخرى (العلمية والفكرية والصناعية) مرتبطة بشروط نمو اجتماعي اقتصادي حيوي شامل لا تبدو الإمكانات متاحة لتحقيقه في المدى المنظور، ومن خلال الإشارات التي حملتها تجارب النصف الثاني من القرن العشرين. وتبدو الأمة العربية أوفر حظًا من أمم أخرى كثيرة في مجال الاختيار الأدبي، لأن عناصر هذا الاختيار أكثر توافراً في تراثها وتجربتها، وربما في وجدان شعبها.

معوقات: هل الأدب العربي محظور في الغرب

يلاحظ دائماً أن الحديث عن العالمية يقود بوعي أو بلا وعي إلى الحديث عن الغرب، والموقف الثقافي الغربي. ودون مواربة، يبدو هذا الأمر مبتوتًا في إطار العصر الحاضر والمدى المنظور. ذلك أنه ـ كما أوضحنا تكراراً في دراسات سابقة ـ لا بد لأي أدب أو أديب يطمح إلى العالمية من أن يمر من خلال عواصم البث الثقافي والإعلامي الغربي، وفي مقدمتها تحديداً باريس ولندن ونيويورك، وكانت موسكو حتى بدء التسعينيات من عواصم البث الثقافي أيضاً، ولا سيما باتجاه البلدان النامية. ويجب ألاّ ننسى أن جائزة نوبل والجوائز الأخرى المشابهة لها في الغرب هي السلم الذي يرتقي الأديب من خلاله باتجاه العالمية، وهي ليست بالتحديد العلامة المسجلة للعالمية، بل هي معبر مهم للعالمية، من أيام الشاعر الهندي طاغور إلى أيام الروائي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز إلى أيام القاص العربي المصري نجيب محفوظ. وهذا واقع مفروض على العالم المعاصر، وعلى كل طامح للعالمية أن يعتدّ بقوانينه ـ كرْهاً أو طواعية ـ إذا أراد أن يكتب له النجاح.

نجيب محفوظ

ويلاحظ معظم المشتغلين في الأدب المقارن والعالمي، أن وجود الأدب العربي في مراكز البث العالمية (الغربية) محدود جداً، بل إن مفكراً مرموقًا وخبيراً بالغرب، مثل إدوارد سعيد، يذهب إلى حد وصف الأدب العربي في الغرب بأنه الأدب المحظور Embargoed Litera-

ture. ويؤكد في مقالة له عام ١٩٩٠م تحمل العنوان نفسه أن الأدب العربي يظل مجهولاً ومحظوراً في الغرب. وفيما يأتي ترجمة مقطع حاسم من هذه المقالة:

« من بين آداب العالم الرئيسة، يظل الأدب العربي مجهولاً نسبياً وغير مقروء في الغرب، وذلك لأسباب غريبة لافتة للنظر، ضمن مناخ يشهد تطوراً باتجاه الآداب غير الأوربية أكثر من أي وقت مضى، مع أن الأدب العربي المعاصر يفوقها جاذبية، ويخوض منعطفاً نوعياً مثيراً»(١).

وبما أن إدوارد سعيد من أهل البيت، وبما أنه معروف بحملاته الشعواء على موقف الثقافة الغربية من العرب والإسلام والشرق، فلا بأس بأن ندعم شهادته بشهادة مماثلة للإنجليزي بيتر كلارك الذي عمل في المنطقة العربية، واتصل مباشرة بإنتاجها الحديث، ونشر مجدداً كتيباً حول وضع الأدب العربي في الغرب بعنوان: «كشف القناع عن الأدب العربي: تحديات الترجمة» وفي هذه الدراسة يستشهد بمقطع إدوارد سعيد المذكور آنفاً، ويقرر أن الأدب العربي المعاصر تعرض لتطورات في المضمون والشكل منذ عام ١٩٥٠م، وصدرت فيه كتابات «لا تقل عن أي أدب معاصر في إثارتها وجديتها وتحديها. وقد انعكس الاضطراب السياسي للمنطقة في الشعر والرواية والمسرحية والقصة القصيرة، وكذلك في الأدب غير التخييلي».(٢).

وانطلاقاً من هذه الشهادة حول أهمية الأدب العربي الحديث، وتأكيداً لقناعات إدوارد سعيد بهذا الشأن، يبني كلارك دراسته المركزة على سؤال أساسي يسأله يومياً كل عربي مثقف، ولا سيما العاملين في مجالات الأدب المقارن والنقد الأدبي، وهذا السؤال بكلمات كلارك:

«لماذا إذن لم ينل الأدب العربي المعاصر الغنيّ سوى حظوة محدودة لدى جمهرة القراء الناطقين بالإنجليزية»(٣).

ويشير هذا المستعرب الإنجليزي في مكان آخر من الدراسة إلى أن إنتاج الكتّاب العرب بالإنجليزية (مثل جبرا إبراهيم جبرا، وأهداف سويف)، يضارع الإنتاج الغربي بالفرنسية، ولكنه يمتاز بأنه يبقى أدباً عربياً في انتسابه. ويضيف:

«إن الإمكانية متاحة لبروز أدب إنجليزي عربي يقف في صف واحد مع الأدب الإنجليزي الهندي والأدب الإنجليزي الكاريبي»(٤).



حنا مينه



سميح القاسم

وتعدّ شهادة بيتر كلارك ذات قيمة خاصة لأنها صدرت عند نهاية القرن العشرين تماماً يناير/كانون الثاني ٢٠٠٠م، ولخصت تجربته بالتعامل مع الأدب العربي من خلال الترجمة إلى الإنجليزية وواقعها في سوق النشر ببريطانيا(٥).

إن شهادات إدوارد سعيد وبيتر كلارك وغيرهما تعبر عن ثقة واضحة لدى كل مثقف غربي أتيح له أن يتصل بالنتاج المعاصر للأدب العربي الحديث، بل والقديم أيضاً. والحق أنه كلما أتيحت للإنسان فرصة لسماع صوت الأدب العربي في الغرب وعلى مستوى عالمي، من السهل أن يلاحظ أن درجة التلقي مشجعة(٦). وهذا يعني أن هناك تقصيراً عربياً في بذل جهود لنشر هذا الجانب المضيء من وجودنا المعاصر. وقد أشرت في أكثر من دراسة سابقة إلى ما أسمعه دائماً من محرري المجلات الناطقة بالإنجليزية مثلاً عن تقصير الأدباء العرب في إمدادها بمقالات أو ترجمات عن الأدب العربي، وعن استعداد للتكفير عن الإهمال السابق. ولذلك ينبغي أن نلوم أنفسنا قبل أن نلوم غيرنا(٧).

على أن هذه الحقيقة يجب ألا تؤدي إلى تجاوز الأسباب الموضوعية التي تحاصر الأدب العربي في الغرب، والتي تطرق إليها بشجاعة (كالمعتاد) الكاتب العربي/الغربي إدوارد سعيد، ومعه بيتر كلارك، وسلمى الخضراء الجيوسي، وكثيرون. ويمكن تلخيص هذه الأسباب فيما يأتي:

ـ التحزبات الرائجة والمواقف المسبقة ضد الثقافة العربية، وانحصار الاهتمام بالعنصر الغرائبي في الأدب العربي استمراراً لتيار ألف ليلة وليلة(٨).

ـ مضمون الأدب العربي الذي يحمل إنتاجه كثيراً من المرارة الناتجة من عهود الكولونيالية أو التحيز الغربي للعدوان الصهيوني على فلسطين والبلاد العربية.

ـ قلة عدد الذين يكتبون مباشرة بالإنجليزية قياساً بالأدب الهندي مثلاً، وكذلك قياساً بما يكتبه المغاربة بالفرنسية.

ـ قلة عدد الترجمات الأدبية العربية إلى الإنجليزية. وقد تحسن الوضع نسبيًا في العقدين الأخيرين من القرن العشرين.

ـ ارتفاع تكاليف الترجمة والتدقيق والنشر، مما يسبب غلاء الكتاب المترجم وصعوبة تسويقه، ويزيد الأمر تعقيداً عدم وجود سوق واسعة للكتاب العربي من مستهلكين ذوي أصل عربي، خلافًا للسوق الواسعة للبلدان الناطقة بالإنجليزية أو الفرنسية في آسيا وإفريقية.

ـ عزوف دور النشر الغربية عن المغامرة بطباعة الترجمات من العربية، واشتراطها الدعم المالي للترجمة.

وهناك معوقات أخرى ثقافية وتاريخية وتجارية لا يتسع لها المجال الحالي.

ولكن كل تلك المعوقات قابلة للمعالجة من خلال تضافر الجهود الفردية مع التخطيط العربي الجماعي الذي آن له أن يولي موضوع عالمية الأدب اهتمامًا نوعيًا ومؤسسيًا يتناسب مع المناخ الدولي، وارتفاع وتيرة التبادلات الفكرية والأدبية بين مناطق العالم في ظل التفجر الاتصالي والمعلوماتي.

وقد شهد العقدان الأخيران من القرن العشرين إشارات واعدة لا يستهان بها، نعرض لأهمها في النقلة التالية.

محمود درويش



صلاح عبد الصبور



عبد الوهاب البياتي

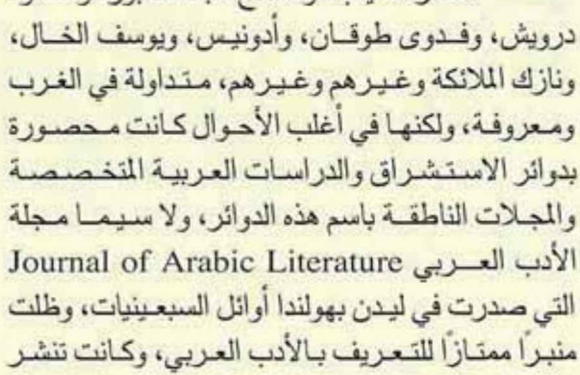
ثالثا: ملامح واعدة عند انثناءة القرن

ومن خلال موقف تحليلي خالص يمكن التأكيد أن ملامح خارطة الانتشار العالمي للأدب العربي حتى نهاية القرن العشرين ليست هينة على الإطلاق، ولكنها أيضاً ليست بالمستوى الذي يتناسب مع الإمكانات العربية والدور العربي المنشود.

وفيما يأتي بعض هذه الملامح أو الإشارات نوردها من خلال زاوية نظرية تتلمس النتوءات البارزة بعيداً عن ادعاء الشمول أو المتابعة البيليوغرافية:

فوز محفوظ بجائزة نوبل

كان فوز الأديب الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨م نقطة انطلاق عظيمة لانتشار الأدب العربي في العالم. وإذا كان على المستوى العربي قد أدى إلى حل ما يمكن أن يسمى عقدة نوبل العربية، فإنه على المستوى العالمي أعطى إشارة الشرعية بل التحبيذ لمشروعات نشر الأدب العربي في الغرب ومناطق العالم الأخرى.



ويجب ألا يفهم من هذا الكلام أن الأدب العربي كان مجهولاً قبل تاريخ الجائزة، فقد كانت أعمال طه حسين وتوفيق الحكيم، والطيب صالح، ويوسف إدريس، وجبرا إبراهيم جبرا، وعبد الوهاب البياتي، وبدر شاكر السياب، وصلاح عبدالصبور، ومحمود درويش، وفدوى طوقان، وأدونيس، ويوسف الخال، ونازك الملائكة وغيرهم وغيرهم، متداولة في الغرب ومعروفة، ولكنها في أغلب الأحوال كانت محصورة بدوائر الاستشراق والدراسات العربية المتخصصة والمجلات الناطقة باسم هذه الدوائر، ولا سيما مجلة الأدب العربي Journal of Arabic Literature التي صدرت في ليدن بهولندا أوائل السبعينيات، وظلت منبراً ممتازاً للتعريف بالأدب العربي، وكانت تنشر

ترجمات جيدة بشكل دوري، ودراسات نقدية، وأبحاثًا في تاريخ الأدب العربي وما إلى ذلك.

وهكذا أتى فوز نجيب محفوظ بالجائزة تتويجًا لنمو متواصل بدأ تحديدًا في الخمسينيات، وتصاعد حتى نهاية الثمانينيات، وتميز في مطلع السبعينيات إلى جانب مجلة الأدب العربي، بجهود دار القارات الثلاث Three Continents Press التي نشرت آنئذٍ في الولايات المتحدة ترجمات لأبرز الأعمال القصصية التي لمع نجمها في المنطقة العربية. وتدل قائمة ترجمات الشعر الحديث المترجم إلى الإنجليزية التي جمعها الدكتور صلاح الطعمة أن التصاعد الحقيقي حدث في السبعينيات والثمانينيات، بحيث كادت الترجمات تشمل أسماء معظم الشعراء العرب الذين برزوا منذ أوائل الخمسينيات(٩). ثم أتت مرحلة الجائزة عند نهاية الثمانينيات فمهدت الطريق لنقل الاهتمام بالأدب العربي من المنابر المتخصصة إلى المنابر العامة.

وشمل ذلك - طبعًا - ترجمة معظم أعمال نجيب محفوظ إلى الإنجليزية واللغات الأوربية الأخرى ولغات أخرى خارج نطاق الغرب. وفي المجلات الأدبية الأمريكية بالذات أصبح اسم نجيب محفوظ واردًا، كما أوضحت دراسة بحثية مستأنية مع ببليوغرافيا قدمها أيضًا صالح الطعمة في «الكتاب السنوي للأدب المقارن والعام» عام ١٩٩٣م(١٠).

وخلاصة القول: أن مرحلة ما بعد الجائزة أسهمت في فتح الطريق أمام الاهتمام غير التخصصي بالأدب العربي، وكذلك أمام النشر التجاري الذي يصنع فعلاً ثقافة الغرب (خلافًا للنشر الحكومي وشبه الحكومي الذي يصنع الثقافة في البلدان النامية). ومن أمثلة ذلك إقبال داري نشر ماكميلان ولونغمانز غرين على نشر الأعمال الأدبية، وكذلك الدراسات المتعلقة بالأدب العربي.

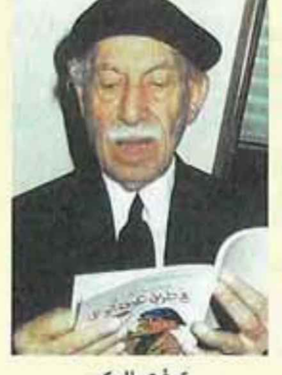
وهناك إلحاح جديد بدأ يتزايد عند دور النشر التجارية الغربية، وبالدرجة الأولى في فرنسا وبريطانيا وأمريكا، على الأدب العربي إبداعًا ودراسة. كما أن هناك دور نشر ناشئة في الغرب تعلن تركيزها على نشر الأدب العربي والدراسات المتعلقة بالثقافة العربية الإسلامية، ومثالها دار سنباد Sinbad في باريس التي تعرض صاحبها لاعتداء صهيوني منذ سنوات.

وللإنصاف، لابدَّ من التذكير أن الثقل الأساسي في مرحلة ما قبل الجائزة كان يرتكز على جهود بلدان المجموعة الاشتراكية التي حرصت دوائرها الرسمية على تقديم الأدب العربي لقرائها في ترجمات ميسورة ورخيصة ومدروسة.

تأثيرات إيجابية للأدب العربي الفلسطيني

وفي أي تقدير لانتشار الأدب العربي عالميًا لا بد من الإشارة إلى التأثيرات الإيجابية للقضية الفلسطينية والإنتاج الأدبي المتعلق بها، إذ كان شعراء القضية الفلسطينية من أوائل الشعراء العرب الذين ترجم لهم، وتوصلوا إلى المنابر الغربية والشرقية والإسلامية، ولفتوا

يجب ألاَّ ننسى أن جائزة نوبل والجوائز الأخرى المشابهة لها في الغرب هي السلم الذي يرتقي الأديب من خلاله باتجاه العالمية، وهي ليست بالتحديد العلامة المسجلة للعالمية



توفيق الحكيم

الانتباه إلى غنى الأدب العربي، وعمق تجربته الإنسانية. ويظهر ذلك جليًا في الترجمات التي نشرت في أوربا الشرقية قبل سقوط الاتحاد السوفييتي، وكذلك في الترجمات إلى الإنجليزية والفرنسية ولغات أوربية أخرى، وهي في تطور مستمر. ويمكن اعتبار الاهتمام العالمي النسبي بالأدب العربي الفلسطيني قناة مهمة من قنوات عالمية الأدب العربي المنشودة، ويعدُّ محمود درويش فارس هذا الميدان(١١).

اهتمام متدرج بالأدب العربي

لوحظ في العقدين الأخيرين من القرن العشرين

اهتمام متزايد بترجمات الأدب العربي، وبدراسة هذا الأدب، ويمكن القول: إن هذه الترجمات تضاعفت خلال العقد الأخير من القرن العشرين، وتوسعت مروحة لغاتها، وقد أعلن المجلس الأعلى للثقافة في مصر عن مشروع شامل لترجمة الأدب العربي ونشره في العالم. وننوه فيما يأتي بمفصلين مهمين في الغرب:

مشروع بروتا: يجدر التنويه بمشروع بروتا Prota لنشر ترجمات الأدب العربي إلى الإنجليزية، والتعريف بالثقافة العربية. وتقوم على إدارته في أمريكا وبريطانيا الشاعرة الفلسطينية سلمى الخضراء الجيوسي، التي استطاعت بجهودها المثابرة أن ترفع من السوية الفنية لترجمات الأدب العربي المنشورة بالإنجليزية، وأن توسع دائرة الاهتمام بالأدب العربي لتشمل المفهومات الأوسع للثقافة والحضارة، أو ما يرادف مفهوم الآداب بوجه عام؛ وقد اكتسب هذا المشروع شهرة ورواجاً، وأصبحت منشوراته المتنوعة مرجعاً للدارسين وللقارئ العام.

اهتمام خاص بأدب المرأة: كما يلاحظ تزايد قوي جداً لترجمة أدب المرأة العربية، ولا سيما إنتاجها الروائي. ومن الواضح أن هذا الاهتمام بالأدب النسائي العربي يفوق الاهتمام بأدب الرجال، كأنما هناك رغبة في معرفة هذا العالم النسوي الخفي أو الخاص الذي كان موضع تساؤلات عالمية بسبب ما نشرته قصص ألف ليلة وليلة من تصورات وخيالات تتعلق بمقولة عالم الحريم. يضاف إلى ذلك أن النشاط المتصاعد للحركة النسائية Feminism في الغرب، وتطورات الدراسات الأنثوية Feminine Studies، بالإضافة إلى عامل الغرائبية، ساعدت كلها على انتشار اهتمام خاص بالكاتبات العربيات. ونستطيع أن نؤكد أن معظم الكاتبات العربيات المعروفات في العصر الحديث قد ترجمت أعمالهن، وقرنت باللغات الأوربية، ولا سيما بالإنجليزية والفرنسية، وربما بالإسبانية(١٢).

صحوة متأخرة ذات مغزى عالمي

يلفت النظر كذلك حجم المساحة المخصصة للأدب العربي والإسلامي في بعض مجلات الأدب المقارن الغربية. ويمكن القول: إن العقد الأخير من القرن العشرين شهد بدء الاهتمام المقارني بتجربة الأدب العربي، وبالفكر الإسلامي، وأدب المناطق المسلمة في مجلات الأدب المقارن، وهو اهتمام ذو مغزى واضح، لأن القنوات المقارنية هي القنوات الطبيعية للعالمية. ولذلك ستكون الوقفة عند هذه الظاهرة متأنية بعض الشيء. ولكن قبل ذلك يلزم التنبيه إلى ضعف التمثيل العربي في المؤتمرات الدولية للأدب المقارن، وضعف إسهام الباحثين العرب في منابره. ويترتب

سلمى الخضراء الجيوسي



أهداف سويف

استطاعت سلمى الخضراء الجيوسي بجهودها المثابرة أن ترفع من السوية الفنية لترجمات الأدب العربي المنشورة بالإنجليزية، وأن توسع دائرة الاهتمام بالأدب العربي لتشمل المفهومات الأوسع للثقافة والحضارة

على ذلك جهل شبه تام في الأوساط العالمية للمقارنين بكل ما يتصل بالأدب العربي والثقافة العربية، وذلك مقابل وجود نشاط عبري وإسرائيلي مثابر، ومثله أيضاً النشاط الصيني والإفريقي.

وعوداً إلى الدوريات المقارنية، يمكن القول بوجود صحوة متأخرة، واهتمام متزايد مصحوب بشكوى من ضآلة ما يرد لهذه الدوريات من دراسات بأقلام باحثين عرب مقيمين في المنطقة العربية. وفيما يأتي عرض موجز لبعض علامات هذه الصحوة في أواخر التسعينيات، مع وقفة خاصة عند الكتاب السنوي للأدب

المقارن والعام.

أ ـ في مجلة الأدب المقارن الفرنسية، صدر عدد خاص عن الأدب العربي(١٣)، ع١/١٩٩٥م ص ٥ـ ١١٦، من إعداد ن. توميش وم. بوتيه، وفيه دراسات عن الرواية العربية والشعر العربي، وعن أدباء أمثال أدونيس بقلم جاك بيرك، ومنكوسكي، وحنا مينة بقلم ريغ، ومراجعات لكتب صدرت عن الأدب العربي الحديث. وإلى جانب العدد الخاص تنشر المجلة بانتظام دراسات عن الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية، وبالطبع هذا موضوع نوعي في الأدب المقارن.

ب ـ على أن التطور الأشد أهمية هو القفزة النوعية التي تلاحظ في الكتاب السنوي للأدب المقارن والعام، ابتداء من العدد ٤١ لعام ١٩٩٣م الذي صدر عملياً عام ١٩٩٥م.

فبعد غياب كامل للأدب العربي عن أعداد نصف القرن الماضي بأكمله ظهر العدد الحادي والأربعون وكأنه يحاول تعويض ما سبق، وبالطبع بناء على انتقادات وجهت إلى إدارة المجلة مع بيانات مقنعة(١٤). وقد خصص الباب الأول من المجلة الذي يحمل دائماً عنوان: وثائق في تاريخ الأدب المقارن Documents in the History of Comparative Literature.

خصص هذا الباب بأكمله لتاريخ الأدب العربي المقارن، ونشرت فيه ترجمتان لجزأين من أقدم مقالين في تاريخ الأدب العربي المقارن وهما (١٥): «اشتغال العرب بالأدب المقارن.. في (تلخيص كتاب أرسطو في الشعر)» لخليل هنداوي(١٦)، و«الأثر الأجنبي في الأدبين العربي والإنجليزي» لفخري أبو السعود(١٧).

وتبعت ذلك دراسة لكاتب هذه السطور تتناول «تاريخ الأدب العربي المقارن واتجاهاته الرئيسية»(١٨) حتى أواخر الثمانينيات، وقد نشر المقالان السابقان باعتبارهما تأسيساً للدراسة اللاحقة، التي تناولتهما بالتفصيل ووضعتهما في مكانهما من تاريخ الأدب المقارن العربي.



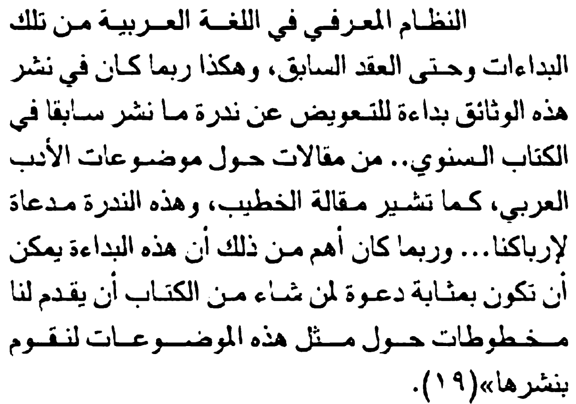
طه حسين



سحر خليفة

والجدير بالذكر أن رئيس تحرير الكتاب السنوي... نوّه في الفقرة الأولى من مقدمته المختصرة للعدد بهذا التحول المتعمد، وذلك تبرئة للمجلة من تهمة المركزية الأوروبية، وهذه ترجمة جزء من الفقرة الأولى من المقدمة:

«في هذا المجلد قمنا بجهد متضافر لتجنب التركيز على المركزية الأوربية الذي كثيراً جداً ما يغلب على دراسات الأدب المقارن، بما في ذلك تلك الدراسات التي تظهر في الكتاب السنوي...، فنشرنا مقالات تتناول آداباً وثقافات غير غربية، وكذلك مقالات بأقلام مؤلفين غير أوربيين. وتمثل الوثيقتان المنشورتان في مستهل هذا المجلد أقدم الكتابات المعروفة التي استخدمت مصطلح الأدب المقارن، وهما مقالة خليل هنداوي: «اشتغال العرب بالأدب المقارن»، ومقالة فخري أبو السعود: «الأثر الأجنبي في الأدبين العربي والإنجليزي»، ثم يأتي مقال حسام الخطيب حول «الأدب العربي المقارن» ليضع هاتين المقالتين في سياقهما لتاريخ دخول الأدب المقارن للعالم الناطق بالعربية، وليتابع ـ كما يدل عنوانه الفرعي ـ تاريخ هذا النظام المعرفي في اللغة العربية من تلك البداءات وحتى العقد السابق، وهكذا ربما كان في نشر هذه الوثائق بداءة للتعويض عن ندرة ما نشر سابقاً في الكتاب السنوي.. من مقالات حول موضوعات الأدب العربي، كما تشير مقالة الخطيب، وهذه الندرة مدعاة لإرباكنا... وربما كان أهم من ذلك أن هذه البداءة يمكن أن تكون بمثابة دعوة لمن شاء من الكتاب أن يقدم لنا مخطوطات حول مثل هذه الموضوعات لنقوم بنشرها»(١٩).



وبالإضافة إلى ذلك ضم العدد نفسه مقالات مهمة عن الأدب العربي أو بأقلام عربية، أبرزها مقالة صالح

الطعمة المذكورة أعلاه بعنوان «استقبال نجيب محفوظ في الدوريات الأمريكية»(٢٠) وهي مقالة مدققة مصحوبة ببليوغرافيا شاملة.

ويتضح من هذا العرض الحجم الكبير الذي احتلته قضايا الأدب العربي في هذا العدد، وهو تطور تاريخي لا ينكر. فإذا أضيف إليه مقال آخر للكاتب الإفريقي أحمد شيخ بنقورة عن «ترجمة الإسلام»(٢١) نشر في العدد نفسه نتيجة لفوزه بجائزة الرابطة الأمريكية للأدب المقارن لعام ١٩٩٤م، تبين أن وصف هذا العدد بالقفزة ليس من قبيل المبالغة.

واستكمالا لصورة يصعب أن تكتمل، تحسن الإشارة إلى أن المجلات المقارنية الأخرى في الغرب أخذت تفتح أبوابها - بل تتطلع - لتجربة الأدب العربي المقارن، وقد نشرت في عام ١٩٩٥م مقالات عن الأدب العربي في مجلة «المقارن» Comparatist وفي مجلة «الأدب العالمي اليوم» World Literature Today، وفيهما نشر عبد النبي اصطيف مقالين عن الأدب العربي المقارن، وكان مقاله في «المقارن» مراجعة مستفيضة لكتاب «آفاق الأدب المقارن عربيًا وعالميًا» أفسحت له المجلة سبع صفحات، مع أن الكتاب منشور بالعربية(٢٢). وبالمناسبة نشرت كذلك مجلة Synthesis الرومانية مراجعة موجزة للكتاب نفسه(٢٣)، وهي تفتح أبوابها للدراسات العربية، وتصدر هذه المجلة عن الأكاديمية الرومانية. وكذلك تصدر في رومانيا مجلة استشراقية بعنوان دراسات عربية رومانية.

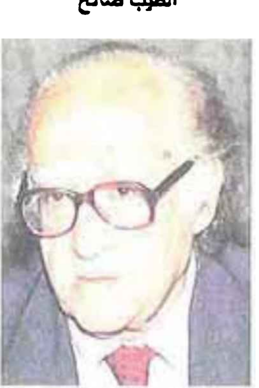
نقلة فاصلة عند نهاية القرن

وعند نهاية القرن العشرين تماما صدر العدد ٢٠٠٠/٤٨ من الكتاب السنوي للأدب المقارن والعام YCGL، وهو عدد خاص بالعلاقات الأدبية العربية الغربية. وأشرف على تحريره الدكتور صالح الطعمة، الأستاذ الفخري والرئيس السابق لدائرة الشرق الأدنى والأدب المقارن في جامعة إنديانا. ويتألف العدد من اثنتي عشرة دراسة، ومن قائمتين ببليوجرافيتين متخصصتين في الموضوع(٢٤).

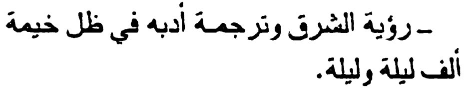
ويسجل هذا العدد خطوة مهمة في دراسة تاريخ العلاقات الأدبية العربية الغربية، ويمثل عند نهاية القرن، تتويجا لما سبقت الإشارة إليه في هذه الدراسة من تطورات إيجابية في سعي كل طرف لفهم الآخر من زاوية مقارنية. ولذلك يعتبر خطوة أيضا للانتقال من مركزية مفهوم التأثير الغربي إلى ثنائية مفهومات التبادلية التي تطوّر الأدب المقارن باتجاهها خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين. وقد حوت الدراسات متابعة لتأثير الأدب الأمريكي والأدب الغربي بوجه عام، وتحليلاً لآلية التلقي وطبيعة المثاقفة. وخصت بالذكر أدباء غربيين كبارا، ومن أبرزهم: ت.س. إليوت، ووليام فوكنر. وبالمقابل تعددت الدراسات حول الأدب العربي بوصفه طرفا مرسلا من خلال الترجمات وآليات التلقي. ولعلّ الثقل المقارني للعدد يكمن في هذه البابة، التي حوت عدة مقالات مهمة منها:



الطيب صالح



جبرا ابراهيم جبرا



- رؤية الشرق وترجمة أدبه في ظل خيمة ألف ليلة وليلة.
- ترجمة الأدب العربي إلى اللغة السويدية.
- ترجمة الأدب العربي إلى اللغة الإسبانية.
- وبالإضافة إلى ذلك، قدمت القائمتان الببليوجرافيتان المتخصصتان أساسا علميا لتصور مدى انتشار الاهتمام الأكاديمي في الغرب بموضوع العلاقات الأدبية الغربية. وقدمتا للباحثين بوجه خاص فرصة ثمينة لمتابعة رصينة ومنصفة للأعمال التي تناولت هذا الموضوع.
- ببليوجرافيا للرسائل الجامعية بالإنجليزية حول العلاقات الأدبية العربية الغربية (١٩٠٢ - ١٩٩٧م) لمارك داي(٢٥).

ـ العلاقات الأدبية العربية الغربية في المنشورات الأمريكية: ببليوجرافيا مختارة، لصالح الطعمة.

وفي العدد مراجعة لثلاثة كتب جديدة مؤلفة بالإنجليزية وذات صلة بالموضوع، يحمل ظهورها دليلاً إضافياً على زيادة الاهتمام بتحليل العلاقات الأدبية العربية الغربية. ويعنى الكتاب الأول بتقديم دراسة مقارنة حول شعرية إليوت، وشعرية أدونيس (١٩٩٢م)، ويتناول الكتاب الثاني دور الشاعر بدر شاكر السياب في عراق ما بعد الكولونيالية (١٩٩٨م)، ويحمل الكتاب الثالث العنوان المثير التالي «هلال ما بعد الكولونيالية: تأثير الإسلام في الأدب المعاصر»، ١٩٩٨م.

وبالنسبة إلى موضوع الأدب المقارن الذي يشكل المظلة النظرية لموضوع العدد، يلاحظ الغياب النسبي للمساءلات النظرية مقابل غنى الدراسات التطبيقية. وفي العدد دراستان حول الأدب المقارن هما:

ـ الموجة الجديدة لمجلات الأدب المقارن في العالم العربي، لتحية عبدالناصر.

ـ نظرية الأدب المقارن واتجاهاتها في العالم العربي.

وكلتا الدراستين من تأليف عربي. وفيهما جهد لا ينكر، ولا سيما من ناحية استكمال النقص النظري، ولو جزئياً، في العدد. والحق أن المحرر لاحظ هذه الناحية وأشار في المقدمة إلى أن هاتين الدراستين «تعتبران متابعة لدراسة سابقة لحسام الخطيب، سبق نشرها في العدد ٤١/١٩٩٣م تحت عنوان: الأدب المقارن باللغة العربية: تاريخه وتياراته الأساسية حتى الثمانينيات»(٢٦).

تطور الدراسات العربية في الغرب

وليس من الممكن الحديث عن المجالات العالمية للأدب العربي دون التعريج على دور الاستشراق والدراسات العربية في الغرب. ومن المعروف أن مؤسسة

من الأسباب الموضوعية التي تحاصر الأدب العربي في الغرب التحزبات الرائجة والمواقف المسبقة ضد الثقافة العربية، وانحصار الاهتمام بالعنصر الغرائبي في الأدب العربي استمرارًا لتيار ألف ليلة وليلة


إدوارد سعيد

الاستشراق كانت السباقة تاريخياً إلى تقديم الأدب العربي للقارئ الغربي، وكذلك الثقافة العربية بوجه عام. وقد تطورت الدراسات الاستشراقية تطوراً واضحاً في العقود الأخيرة من القرن العشرين، وأصبحت، بشكل واضح، قناة متزايدة الفعالية في طرح قضايا الأدب العربي على المستوى الغربي والعالمي. ويستحق هذا التطور وقفة خاصة لا يتسع لها المقام الحالي، ولكنه ينبغي دائما أن يعد مفصلاً مهما في موضوع عالمية الأدب العربي.

رابعا: الأدب الفلسطيني والعالمية

تمهيد

اضطلع الأدب الفلسطيني بدور فعال في إضاءة القضية الفلسطينية قومياً وإنسانياً، وذلك ابتداء من منتصف الستينيات على وجه التحديد. أما قبل ذلك فكان أدباء فلسطين يعيشون في حالات من التمزق النفسي والتوتر العاطفي اليومي تدفعهم إلى إنتاج نفثات شعرية عالية النبرة، وقريبة من الخطابية، وعامرة بالنداء العاطفي المباشر. ومع قيام الثورة الفلسطينية في منتصف الستينيات، وعودة حالة الوعي النضالي، وانضمام الأصوات الطازجة من شباب الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م، مثل محمود درويش، وسميح القاسم، وتوفيق زياد، وإميل حبيبي، بدأ الأدب العربي الفلسطيني يكتسب شخصية خاصة تتعمق ملامحها تدريجياً، وتتجه إلى القيام بدور طليعي نضالي داخلياً وخارجياً.

ومع ازدياد الاهتمام العالمي بالقضية الفلسطينية، والنجاحات التي أحرزها الحق العربي الفلسطيني في

هيئة الأمم المتحدة، والمحافل الدولية المختلفة، أخذ العالم يلتـفت إلى الصـوت الأدبي الفلسطيني، وحـملت له الترجمات الروسية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية وغيرها أصداء تجربة إنسانية من المعاناة والتشرد، والتمسك بالحق والهوية، والإصرار على الكفاح، كان من شأنها أن تثير ذوي الضمائر الحية، وأن تخرق، في الغرب، حاجز التعصب والتحيز الذي ضربته الصهيونية من حول العقل الغربي مستندة إلى معطيات كثيرة تاريخية واستعمارية وغيرها.

واليوم يستطيع الأدب الفلسطيني أن يفخر بأنه نجح، بقدر ما يسمح المناخ الاتصالي والإعلامي، في إضفاء طابع الأنسنة على معاناة الشعب الفلسطيني وكفاحه، إلى درجة تجعل هذه القضية في الأوساط الأدبية العالمية المنصفة أكثر قضايا المعاناة الإنسانية المعاصرة حساسيةً وتأثيراً.

وقد رُفدت الترجمات من العربية إلى اللغات الأخرى بإنتاجات مباشرة باللغات الحية قدّمها فلسطينيون، وعرب وأجانب، بحيث أخذ حجم المادة الأدبية المتاحة باللغات الأجنبية حول تجربة المعاناة الحياتية الفلسطينية يتزايد باستمرار. ولكن كل هذا لا يُعدّ كافياً، ونحن مقصرون في نشر أدبنا عالمياً، ومعظم ما نُشر حتى الآن كان من صنع أفراد متحمسين، ومؤسسات غير عربية. والمعروف أن النشر باللغات الحية يحتاج إلى عناية منظمة، وإنفاق سخيّ، وخبرة خاصة، واستمرارية لا تكلّ ولا تملّ. ويعطينا الإشعاع الفني والإنساني الذي يزداد توهجاً في الإبداع العربي المعاصر فرصة طيبة ضمن سجال العالمية، والمضي في انطلاقة جديدة، بعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل، لتثبيت وجودنا الأدبي العالمي على أرض صلبة، وتقديم الأدب العربي في مختلف منابر الثقافة في العالم.

الصبوة العالمية باقية رغم استمرار تدفق العذاب من العالم

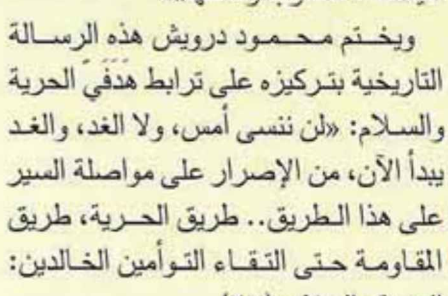
في الذكرى الثالثة والخمسين لنكبة فلسطين التي تحولت إلى مأساة (تراجيديا) يومية ذات وجوه متعددة فردية وجماعية، وجّه الشاعر محمود درويش رسالة باسم الشعب الفلسطيني، ربما إلى «من يهمه الأمر» دون تحديد. وقد حملت هذه الرسالة قبساً من ذلك النفس الفلسطيني المتطلع دائماً إلى الالتحام مع أنفاس الإنسانية الخيّرة في شهقتها ضد الظلم والعبودية، وتطلّعها إلى الغد الأفضل، وتمسكها بحبل الأمل الإنساني وأخلاقية المعايير الإنسانية.

هكذا يقول محمود درويش باسم شعبه:

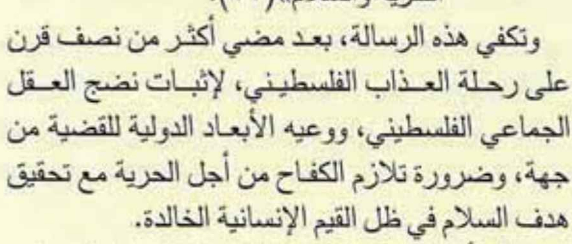

يوسف الخطيب

«إن الحرب المعلنة على الشعب الفلسطيني ليست معزولة عن اهتمام العالم.. لذلك فإن انخراط دول العالم وشعوبه في المجابهة الدائرة في فلسطين اليوم، ووقوفها إلى جانب الشعب الفلسطيني المحروم من شرط الحياة العادي والمألوف، لا يدل على التزامها بضرورة الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط، حمايةً لمصالحها فحسب، بل هي امتحان أيضاً لموقف أخلاقي يختبر ما لقيم الحرية والعدالة والمساواة من مصداقية وأولوية في حياة تلك الشعوب وثقافتها».


غابرييل غارسيا ماركيز



ويختم محمود درويش هذه الرسالة التاريخية بتركيزه على ترابط هدَفَيّ الحرية والسلام: «لن ننسى أمس، ولا الغد، والغد يبدأ الآن، من الإصرار على مواصلة السير على هذا الطريق.. طريق الحرية، طريق المقاومة حتى التقاء التوأمين الخالدين: الحرية والسلام»(٢٧).



وتكفي هذه الرسالة، بعد مضي أكثر من نصف قرن على رحلة العذاب الفلسطيني، لإثبات نضج العقل الجماعي الفلسطيني، ووعيه الأبعاد الدولية للقضية من جهة، وضرورة تلازم الكفاح من أجل الحرية مع تحقيق هدف السلام في ظل القيم الإنسانية الخالدة.

وعلى أساس هذه الخلفية الفكرية والوجدانية سنجد أن الأدب الفلسطيني، شأنه شأن الفن الفلسطيني، في الداخل والخارج، لا يفتأ يستصرخ وجدان العالم، ولا

يكلُّ عن التلويح بغصن الزيتون، ولا يسمح للأمل أن يختفي من أفقه، على الرغم من أن كل ما حوله من ملامح لتوازن القوى قد توحي بأن تغلبه على قوى الشر والظلام ليس بالأمر الهين ولا المتوقع في المدى المنظور.

الجذور الحيوية للموقف الفلسطيني من العالم

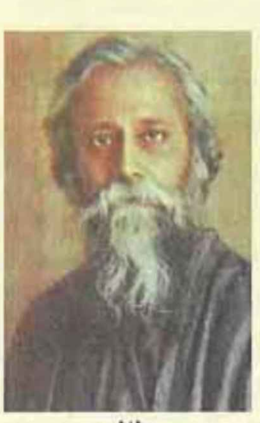
كل ما في فلسطين من تاريخ وموقع ووجود وكفاح وأمانٍ وطنية ومستقبل منشود، محَاطٌ الأنفاس العالمية، كما لو أنها قلب صغير للعالم.

أ- فهناك موقع فلسطين الجغرافي بوصفها عقدة مواصلات بين الشرق والغرب، ولا يقلل من أهمية هذا الموقع ارتقاء وسائل المواصلات الحديثة، ذلك أن الأجواء الفلسطينية والمياه الإقليمية ما زالت تتحكم بطرق المواصلات، وبإمكانها أن تشكل عوائق كبيرة للاتصال بين الشرق والغرب.

ب ـ إرث فلسطين التاريخي الذي تكون من خلال تعاقب الغزوات من الشرق والغرب والشمال والجنوب ومن كل صوب وحدب. وفي كثير من الأحيان لم تكن الأرض الفلسطينية هي المقصودة، وإنما كانت ممراً ومعبراً للفاتحين، إذ كلما قويت سلطة في أي منطقة مجاورة لها كانت تمارس تمدد نفوذها من خلال أرض فلسطين. وأحياناً كانت القدس، عاصمة فلسطين، هي الذريعة، كما في الحروب الصليبية، ولكن الهدف كان دائماً أبعد من فلسطين وأوسع منها. ويحسن بالعرب من حول فلسطين، كذلك في إطارها العربي الأبعد، أن يتذكروا هذه الحقيقة التاريخية، وألا يتجاهلوا أن الأدبيات الصهيونية في الماضي والحاضر كانت دائماً تعبر عن أطماع تتجاوز تجاوزاً كبيراً حدود فلسطين الطبيعية. والغريب في الأمر أن الصهاينة لم يلغوا شعار: «من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل» بل وسّعوه ليشمل البحر الأحمر وإيران، بينما ألغاه العرب من أدبياتهم ومن مدارسهم.

ج ـ وهناك الموقع الديني والروحي للقدس بوصفها قبلة ومحجّاً وموضع تقديس لأتباع الديانات السماوية الثلاث(٢٨) وقد جلب لها هذا الموقع الفريد من نوعه العز والفخار على امتداد التاريخ، ولكنه سبب لها الخراب والدمار، وأعطى الذرائع والحجج لمعظم الغاصبين على امتداد التاريخ القديم والتاريخ الحديث. وقد تعرضت القدس منذ القديم للغزوات والدمار تحت ذرائع دينية تخفي الأطماع الحقيقية. والقوس الممتد من الحروب الصليبية إلى الاحتلال البريطاني إلى الغزو

من الواضح أن الاهتمام بالأدب النسائي العربي يفوق الاهتمام بأدب الرجال، كأنما هناك رغبة في معرفة هذا العالم النسوي الخفي أو الخاص الذي كان موضع تساؤلات عالمية


طاغور

الصهيوني الجاثم حالياً، إنما هو أكبر شاهد على استمرار الحال على المنوال السابق بتفاقُم متزايد.

د ـ وأخيراً إن الغزو الصهيوني الغربي لفلسطين القائم على احتلال الأرض والاستيطان وتشريد الشعب الأصلي في بلده وفي خارجه، وإقامة كيان هجين في دياره، ما كان ليحدث لولا المدد الغربي المتواصل، ثم المدد الأمريكي المتزايد. وهذا الأمر يؤدي إلى تعميق إدراك الفلسطينيين أن قوة الكيان الصهيوني مستمدة من بعده الدولي، بل واقتناعهم بأن الحلول العملية على الأرض لا تكفي ولا تنهي المأساة بغير تدخل الطرف العربي في حالتي السلم والحرب.

الأساس الاجتماعي والفكري للعالمية

ذلك الوضع التاريخي الجغرافي الحيوي، الذي أسهم في إعطاء الوجدان الفلسطيني بعداً عالمياً، ومعه بعدٌ عربي متأصل بطبيعة الانتماء وبطبيعة الضرورة والحاجة إلى البقاء، ذلك الوضع يمكن أن يكون قد أسهم إسهاماً قوياً في إرساء الأساس الاجتماعي والفكري للبعد العالمي عند الفلسطينيين الذي تلقى دعماً قوياً فيما

بعد من مأساة التشرد والشتات.

ومن الممكن إيجاز العوامل المكونة لهذا الأساس على النحو الآتي:

أ. التفتح المبكر على النهضة الحديثة

فقد بدأ عصر النهضة في فلسطين مبكراً نسبيّاً، وكان التركيز فيه قويّاً على الناحيتين الثقافية واللغوية، فظهرت في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين صحف اهتمت بالإنتاج الثقافي والأدبي (بالمفهوم النسبي طبعاً). ومن أهم عوامل هذه النهضة الاحتكاك بالآخر الغربي. وقد انتشرت الإرساليات الأجنبية في فلسطين، مدعومة بقناصل الدول الغربية الذين كانوا يتمتعون بنفوذ سياسي وثقافي، ويتنافسون في تشجيع ثقافات بلادهم ولغاتها. ومع الإرساليات، وكانت هناك المدارس الأجنبية من روسية وأمريكية وإنجليزية وفرنسية وإيطالية، وغيرها، (وهي بالطبع سلاح ذو حدين)، وقد انتشرت في فلسطين قبل غيرها من البلاد العربية، وبكمية أكثر مما عرف في أي بلد عربي آخر، ربما باستثناء لبنان وتذكر المصادر أن الجمعية السورية الفلسطينية، أنشئت رسميًا في ١٨٨٢/٥/٢١م، ولم يمضِ عام واحد على إنشائها حتى افتتحت الجمعية أول مدرسة روسية ابتدائية عام ١٨٨٣م في فلسطين، وتبعتها سلسلة مدارس، أعقبها افتتاح دار للمعلمين (سمنار) في الناصرة للذكور، ودار للمعلمات في بيت جالا، وهي من أقدم مدارس المعلمات في الشرق العربي إن لم تكن أقدمها.

وكان غرض الدارين تخريج معلمين ومعلمات للمدارس الروسية في فلسطين وسورية الطبيعية بوجه عام. وبالتدريج انتشرت المدارس الروسية في أرجاء الشام، وبلغ عددها مئتين ومدرستين (٢٠٢) عام ١٩٠٩م. ولا يخفى ما للتعليم من أثر في الانفتاح على العصر الحديث وثقافته مقابل ما كان سائداً من جهل مطبق في الشرق العربي.



مي زيادة

ب ـ انتشار معرفة اللغات وانتعاش حركة الترجمة

وكان لداري المعلمين والمعلمات ـ بوجه خاص ـ أثر كبير في نشر اللغة الروسية في فلسطين وما جاورها من بلاد الشام، بينما اعتنت المدارس الروسية باللغة العربية إلى جانب تدريس الروسية. وقد تخرج في دار المعلمين بالناصرة طلاب عرب أصبحوا فيما

اضطلع الأدب الفلسطيني بدور فعّال في إضاءة القضية الفلسطينية قوميّا وإنسانيًا، وذلك ابتداءً من منتصف الستينيات بعد حالات من التمزق النفسي والتوتر العاطفي اليومي كانت تدفع المبدعين إلى إنتاج نفثات شعرية عالية النبرة، وقريبة من الخطابية

بعد أدباء لامعين وفي مقدمتهم نجوم أدب المهجر: ميخائيل نعيمة، وعبدالمسيح حداد، ونسيب عريضة، ولا ننس مي زيادة التي لمع نجمها في مصر بعد ذلك. ومع الأدباء والمعلمين تخرج في دار المعلمين بالناصرة رواد الترجمة من الروسية إلى العربية مثل خليل بيدس، وسليم قبعين، وأنطون بلان، كما أسهم متخرجون آخرون في بواكير حركة الترجمة من العربية إلى الروسية وهم الذين أتيح لهم السفر إلى روسيا في بعثات تعليمية. وقد أسهم هؤلاء في تطوير الاستشراق في جامعات موسكو، وبطرسبرغ، وكييف، وباكو، ومن أبرزهم بندلي صليبا، وكلثوم عودة. وكان لهؤلاء أثر في نظافة موقف الاستشراق الروسي بوجه عام من الإسلام والحضارة العربية، ولا سيما عند ممثل الاستشراق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي، الذي كان أول من لفت نظر العالم إلى أهمية الأدب الجغرافي العربي (أدب الرحلات)، وكان عاشقًا للمخطوطات وله في عشقها كتابات ناصعة.

وفي تلك الفترة صدرت مجلة «النفائس» عام ١٩٠٨م على يد خليل بيدس، وكانت أهمّ منبر من منابر

الترجمة في الفترة المبكرة من تاريخ الترجمة الفلسطينية. ويعدّ مؤسسها خليل بيدس رائد الترجمة في فلسطين، وربما المشرق العربي، واستهل المرحلة استهلالة قوية عام ١٨٩٨م بترجمة ثلاث روايات عن الروسية هي: «ابنة القبطان» لبوشكين، و«الطبيب الحاذق»، و«القوقازي الولهان».

وهكذا كان تيار اللغة الروسية هو البداءة الأولى للاتصال الفلسطيني بالعالم الخارجي. ومع حلول العشرينيات وغزو القوات البريطانية لفلسطين على أثر الحرب العالمية الأولى عام ١٩٠٨م أخذ يتضح تماماً الاختيار الفلسطيني في التعدد اللغوي، فبرزت اللغتان الفرنسية والألمانية إلى جانب الإنجليزية التي تمت في فلسطين ببطء حتى أواخر الثلاثينيات. ثم أخذت تتفوق على اللغات الأخرى دون أن تلغيها، حتى نهاية فترة الانتداب التي هيأت الجو لنكبة عام ١٩٤٨م.

وبعد ذلك تفرق الفلسطينيون أيدي سبأ، كما أنهم أصبحوا غرباء في وطنهم نفسه. ولكن ظلّ يجمعهم التعلق بالعلم والمعرفة والتطلع إلى ما وراء الحدود، وبذلك أسهموا في حركة الترجمة العربية، ولاسيما على يد متخصصين كبار يذكر منهم عادل زعيتر، في مجال اللغة الفرنسية، ونجاتي صدقي في اللغة الروسية، وجبرا إبراهيم جبرا، وسلمى الخضراء الجيوسي، وتوفيق الأسدي، وخيري حماد، وصبحي الجابي، في مجال اللغة الإنجليزية. ومحمود صبح، وصالح علماني، في مجال اللغة الإسبانية، وهذه مجرد أمثلة سريعة لجهود فائقة في إغناء الفكر العربي بالثقافة العالمية(٢٩).

الإقبال على الترجمة إلى اللغات الأجنبية والتأليف بها

أظهر الفلسطينيون منذ مطلع عصر النهضة إقبالاً رائعاً على تعلم اللغات الأجنبية، والترجمة من العربية وإليها، وخوض مغامرة التأليف بها. وكانت القدس منذ عام ١٩١٢م مركزاً للنشر باللغات الأجنبية. ولا نكاد نعرف مثقفاً بارزاً واحداً من الرعيل الأول أو الثاني أو الثالث أو الرابع أو الحالي تلكأ في تقديم نفسه أو قضيته أو ثقافته أو تراث شعبه إلى العالم كلما واتت ريح، أو ومض بصيص من فرصة. سيدهم ورائدهم بالطبع روحي الخالدي، رائد الأدب العربي المقارن التطبيقي، الذي كانت له محاضرتان مبكرتان جداً في مقر الجمعيات العلمية في باريس (١٨٩٦ - ١٨٩٧م)(٣٠). وتتابعت سلسلة نشاط المثقفين الفلسطينية بعد ذلك في بريطانيا وألمانيا وروسيا (بندلي الجوزي، كلثوم عودة، نجيب عازوري...إلخ)، ومن خلال مثل هذا الموقف برز تيار الترجمة المعاكسة، أي الترجمة من العربية إلى اللغات الحية، والتأليف بتلك اللغات.

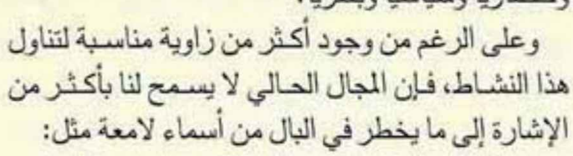


ألكسندر بوشكين

إن التقليد الفلسطيني في هذه القناة ممتد وطويل ومتشعب، ويؤلف بحد ذاته بحثاً مستقلاً فسيح الأرجاء، ولا سيما إذا أضيف إليه، ابتداء من الخمسينيات، الجهود الأكاديمية المستقلة نسبياً عن عمل الترجمة، التي يقدمها الباحثون والعلماء الفلسطينيون المنتشرون في أصقاع الأرض. ويخطئ من يظن أن النشاط الفلسطيني في هذا المجال مقصور على مرحلة دون مرحلة، أو من يسارع إلى تفسير هذا النشاط الواسع بأنه نتاج تجربة الشتات التي تلت النكبتين الأولى عام ١٩٤٨م، والثانية عام ١٩٦٧م. إنه نشاط قديم برز مع حركة النهضة العربية، وارتبط دائماً بالمعركة المستمرة من أجل الدفاع عن الوجود العربي في فلسطين قومياً وحضارياً وسياسياً وبشرياً.



ميخائيل نعيمة



وعلى الرغم من وجود أكثر من زاوية مناسبة لتناول هذا النشاط، فإن المجال الحالي لا يسمح لنا بأكثر من الإشارة إلى ما يخطر في البال من أسماء لامعة مثل: عبداللطيف الطيباوي، وغادة الكرمي، وجبرا إبراهيم جبرا، وإدوارد سعيد، وسلمى الخضراء الجيوسي، وكمال بلاطة، وعيسى بلاطة، ووليد الخالدي، ورشيد

الخالدي، وطريف الخالدي، وغيرهم كثيرون.

وأخيراً لابد من التذكير ثانية بأن العقل العربي الفلسطيني كان دائماً مشغولاً منذ مطلع القرن العشرين بعملية الاحتكاك بالآخر، فكان هناك الانتداب البريطاني ومعه الاستيطان اليهودي، ثم الغزو الصهيوني والاحتكاك بالثقافة العبرية وعمليات التهويد، ثم نفوذ الإرساليات الأجنبية، ثم الرئاسة الأجنبية لجهاز التعليم في وكالة الإغاثة الدولية، وأكبر من ذلك وأهم من كل شيء ضلوع الطرف الدولي الغربي القوي في دعم العدوان المستمر على عروبة فلسطين وأرضها وسيادتها. وأهم ما يميز العقل الفلسطيني هو جسارة مواجهة الآخر، والاشتباك معه بدلاً من طي الكشح عنه، والتعرض للعزلة والحصار الثقافي.

خامساً: لماذا الأدب الفلسطيني في سجال العالمية؟

الأدب والتجربة

كل أدب هو نتاج تجربة حياتية محددة. التجربة تصنع الأدب كما أكد الشاعر الأمريكي أرشيبالد ماكليش، وكما أصرّ دائماً منظِّرو الأدب الواقعي ومنظِّرو الاتجاه الأخلاقي الإصلاحي في الأدب.

إن التجربة الفلسطينية تظل حية ومتجددة وحبلى بالأحداث والمفاجآت وأشكال المعاناة، ولا تحتاج إلى تنظير ولا جدال. إن عنصر التحريض قائم يومياً ومتعاظم يومياً، والأديب الفلسطيني، مثله مثل الأديب العربي الذي يطرق الموضوع الفلسطيني، لا يستطيع أن يشكو من ضعف التحريض والإثارة، بل إن المشكلة معكوسة، أي إن الأدب العربي الحديث بمجمله يلهث وراء الأحداث، ويبدي تقصيراً في استيعابها، لأن الواقع يلد يومياً أحداثاً رهيبة تضفي على التجربة أبعاداً جديدة. والأرض المحتلة بالذات لها تجربتها المتميزة جداً، كما أن لها أدبها الخاص. ولقد رفد أدب المأساة الفلسطينية الأدب العربي الحديث بتلوينات خاصة من تجربة المعاناة، وحرارة القومية والإنسانية، وأغناه بقوة المضمون وعمق التجربة، والحديث من الأشكال الفنية والتعبيرية.

ولو حصرنا الكلام بالتجربة الأدبية الفلسطينية لوجدناها في حالة تفوق دائم على ذاتها، وخلال عقود النكبة المتتالية كانت تحاول مواكبة المرحلة والتعمق في معنى المأساة ومغزاها وصداها في القلب الفلسطيني والعربي الذي أثخنته الجراح.

وبوجه عام لو طبقنا عناصر العالمية الأدبية على مجمل الإنتاج الأدبي الفلسطيني لوجدنا أن ملامح هذه العناصر تتراءى في الإنتاج بشكل يكثر أو يقل، وتكاد تتفوق في الشعر على الأشكال النثرية، ولا سيما الرواية التي هي بطبيعة الحال أبطأ تطوراً من الشعر في الأدب العربي.

> **محمود درويش: مصرون على السير على هذا الطريق.. طريق الحرية، طريق المقاومة حتى التقاء التوأمين الخالدين: الحرية والسلام**

الموقف الإنساني

ومع ذلك يمكن القول: إن قسمات الموقف الإنساني في غمرة الصراع الفردي والجماعي متوافرة إلى حد ما في مجمل النتاج الفلسطيني الفكري والأدبي، الذي تفاعل مع عذابات الواقع، ولكنه تجاوز وضعه المؤقت ليسمو إلى موقف إنساني رفيع. وأدرك هذا النتاج في معظمه أن الفلسطينيين - على الرغم من سلسلة العذاب المتوالدة - مرشحون أكثر من أي شعب في العالم لإعطاء تجربتهم الخاصة بعداً إنسانياً، ذلك أن أساس المعاناة الفلسطينية هو مشكلةٌ عالمية لا دخل لفلسطين بها، ويبدو الحل أيضاً مرتبطاً بالوضع العالمي. كما تبدو الشخصية الفلسطينية في الشعر والرواية واعية لهذا الواقع، وأميل إلى الواقعية في موقفها. وعلى الرغم من أشكال العذاب والاضطهاد التي تحل بها فلا يبدو أنها تتعقد ضد العالم، بل إنها لا تقطع الأمل من العالم، وإن كانت تعبّر دائماً عن مرارة وخيبة أمل من موقف الأهل من حولها، ولكنها لا تعكس ذلك كفراً بهم ونفوراً، وإنما تتجه أكثر فأكثر إلى نداء الاعتماد على الذات، والدعوة إلى أقصى درجات التضحية في الكفاح اليومي الذي لا يرحم، والذي يتفاعل في نفقٍ محفوف بظلام دامس.

والفلسطيني في الأدب، كما في دروب الحياة، هو غير الصهيوني/اليهودي، الذي وضع نفسه في طرف، والعالم في طرف آخر، وعدّ غير اليهود أغياراً (غوييم) لا تنطبق عليهم مبادئ العدالة والرأفة. وموقف الفلسطيني عجيب، فالعالم القوي يرفضه فيضع نفسه موضع المعذبين في الأرض، ويزداد إقبالاً وانفتاحاً على العالم. ولذلك لوحظ في العقدين الأخيرين تقبل عالمي لا ينكر، لقضية فلسطين وأدبها، وهذا طبعاً خلاف المتوقع.

ومنذ سنوات سمعنا كلاماً من أحد الثوار الجزائريين يؤكد أنه لو كان العالم برميلاً من البارود لحق للفلسطينيين أن يفجروه على رؤوس أصحابه لكثرة ما عانوه. ولكن أدبهم في العقود الثلاثة الأخيرة كان يشكو ويتألم ويتمزق إلا أنه احتفظ بمسحة من التفاؤل الغيبي والإحساس، وبأن التفاعل مع القوى الخيّرة في العالم هو درب من دروب إحقاق الحق.

وهنا نتذكر أن الموقف الإنساني يظل الأساس في عالمية الأدب.

اللون المحلي ونكهته الخاصة

وهنا تفوق الأدب الفلسطيني تفوقاً ملحوظاً، ففي قصائد محمود درويش وسميح القاسم، وخالد أبوخالد وجميل أبو صبيح ومئات الشعراء الآخرين، وروايات جبرا إبراهيم جبرا، ورشاد أبو شاور، ويحيى يخلف، ونواف أبو الهيجا، وأنطون شماس، وإبراهيم نصر الله، وقصصهم القصيرة نقرأ كتاب فلسطين وناسها ومدنها وقراها، ونقرأ قصة الخروج الفلسطيني والمحرقة الفلسطينية (الهولوكوست)، وحياة اللجوء والمخيمات، ونحس بطعم برتقال فلسطين وجمال شواطئها وحسرة ترابها على الأطفال المتضورين جوعاً والمحرومين من العيد، ومن قبله الحنان، كما نتابع قصص البطولة


بدر شاكر السياب

العقد الأخير من القرن العشرين شهد بدء الاهتمام المقارني بتجربة الأدب العربي وبالفكر الإسلامي، وأدب المناطق المسلمة في مجلات الأدب المقارن

والفداء والتضحية. كما نعرف أننا، كما يقول محمود درويش في رسالته بمناسبة الذكرى الثالثة والخمسين للنكبة (وقد تقدم ذكرها):

«لن ننسى الأمس ولا الغد، والغد يبدأ الآن من الإصرار على مواصلة السير على هذا الطريق، طريق الحرية، طريق المقاومة، حتى التقاء التوأمين الخالدين: الحرية والسلام».

وهنا لابد من الإشارة إلى أن اللون المحلي يكتسب طعماً خاصاً من خلال أدبيات الحجر الفلسطيني الذي علّم المقهورين في كل أنحاء الأرض أن العين الجسور يمكن أن تقاوم المخرز المسعور.

عامل التفرد والابتكار والغرابة

ويصعب أن نجد في الأدب الفلسطيني تميزاً لعامل التفرد والابتكار والغرابة بالمعنى الفني، ويمكن القول: إن تفرد القضية الفلسطينية وكون الشعب الفلسطيني هو الشعب الوحيد في العالم الذي ما زال يرزح تحت نير الاستعمار، هذه الحقيقة إذا ما ربطت بواقع الوعي الفلسطيني وإنسانية الموقف كفيلة بأن تصبح نوعاً من الأدب الغرائبي. بل إن منظر الطفل الذي يقاوم الدبابة بالحجر ويقف أمام الرشاش الإسرائيلي متحدياً غير هيّاب ولا وجل (كما تصوره القصص والأشعار الفلسطينية واللقطات التلفازية هو بحد ذاته إدهاش وكشف ونوع من الموقف الغرائبي Exotic).

التوازن بين الثابت والمتحول

وهنا يطرح سؤال: هل استطاعت الأعمال الفنية الفلسطينية أن توفر التوازن المطلوب بين الخاص والعام، والثابت والمتحول؟

في الحقيقة يصعب أن نجزم بذلك. هناك أعمال قليلة جداً أصابت شيئاً من النجاح، وهناك أعمال روائية أقل بكثير، وهناك تجارب تتراوح بين التركيز على اللون

المحلي (إميل حبيبي، ورشاد أبو شاور، وسميح القاسم، ويوسف الخطيب، وهارون هاشم رشيد)، والميل إلى البعد العام كشأن رواية النقيض لأفنان القاسم، وكثير من الأشعار الواقعية الاشتراكية الملتزمة ذات البعد المتجاوز للحدود.

ونعترف أن هذا الامتحان صعب جداً، وقد يكون لمحمود درويش، وإبراهيم نصر الله، وسحر خليفة، وجبرا إبراهيم جبرا نصيب كبير في تحقيق هذا التوازن اللطيف الخفي.

الإبداع الفني والتوهج

وبالطبع يظل الإبداع الفني هو الشرط المسبق، فلا مجال لعالمية أدب لا يحمل إغواءً وتوهجاً وإيحاءً وتعمقاً وجمالاً في التعبير، وأناقة في التركيب، واستثارة في الأسئلة مع مسحة من الغموض، وشيء من الثقة في فطنة المتلقي.

وعلى الرغم من حالة الفوضى المعاصرة في تحديد الإبداع الفني، فإنه من السهل القول مثلاً: إن أشعار محمود درويش تحمل للقارئ تحريضاً وإدهاشاً ومفاجآت فكرية وجمالية، وتبحث دائماً عن الذوق المتجدد، بل تستجيب لنزعات القارئ الحديث الذي يتصف بالقلق، ويمل بسرعة من المؤتلف، ويلهث وراء المختلف.

وربما كانت روايات جبرا إبراهيم جبرا هي الأقوى إحكاماً، والأقدر على إرباك اختيارات المتلقي وإثارة كوامنه.

على أي حال تتفاوت هنا الأعمال الفلسطينية تفاوتاً شديداً، وقد تختلف فيها الآراء وتتباين، ولكن الإنتاج الفلسطيني لا يخلو من قمم وإبداع من هذه الزاوية أو تلك حسب طبيعة العمل الفني والموضوع المطروح.

مقومات لغوية

ومن الإبداع ننتقل إلى المقومات اللغوية، لنعترف أن الأعمال التي تكتب بغير اللغات الحية المحدودة يصعب أن تلقى رواجاً، وتحتاج إلى قناة الترجمة. وهنا تتحكم في

المراجع الهوامش

1 - Edward Said, "Embargoed Literature", The Nation, 17 September 1990, 278.

ويرجع الفضل لبيتر كلارك في لفت النظر إلى أهمية هذا الحكم.

2 - Peter Clark, Arabic literature Unveiled: Challenges of Translation. UK, Durham Middle East paper No 63. January 2000: 2.

٣. المرجع السابق: ٣.

٤. المرجع السابق: ٩ ـ ١٠.

٥. عمل بيتر كلارك مع المجلس البريطاني في سورية وبلدان عربية أخرى، ويعمل حالياً باحثاً في مركز الشرق الأوسط في جامعة درم، وله ترجمات كثيرة من العربية الى الانجليزية.

٦. من خلال الخبرة الشخصية استطيع القول إن خبرتي في مؤتمرات الأدب المقارن العالمية كشفت عن استعداد قوي لسماع صوت الأدب العربي، على الأقل تكفيرا عن جهل سابق به أو تجاهل.

٧. أرجو فقط من القارئ أن يتذكر: كم عدد المتخرجين العرب في الجامعات الغربية، وكم هو ضئيل ما يصدر عنهم من جهود في هذا المجال تحت ذرائع مختلفة طبعاً، وكثير منهم ينشرون مقتطفات من رسائلهم الجامعية، وهذه الرسائل أصلاً متاحة بيسر وسهولة في مكتبات الجامعات الغربية، ومع ذلك هذا جهد لا ينكر.

٨. بالمناسبة أظهر كاتب هذه السطور في دراسات سابقة أن قصة ألف ليلة وليلة، كاملة أو مجزأة تحتل المكانة الأولى في الترجمات إلى اللغات الأخرى حتى نهاية القرن العشرين.

9 - Salih J. Altoma, Modern Arabic Poetry in English Translation: A Bibliography. Morocco (Tangier, King Fahd School of Translation) 1993.

10 - Salih Altoma, "The Reception of Najib Mahfuz in American Publications", Yearbook of Comparative and General Literature (YCGL) 41 (1993): 160 - 168 + Bibliography: 169 - 179.

١١. يولي كاتب هذه السطور أهمية كبرى لانتشار الأدب العربي الفلسطيني، ويعمل على متابعة الموضوع من خلال نظريته في مقومات العالمية الأدبية، وسيأتي تأويل ذلك في القسم التالي من الدراسة الحالية.

١٢. للتفصيل راجع: بيتر كلارك: «ليس صحيحاً أن اللغة العربية جامدة»، مقابلة، الحياة، ١٨/٨/١٩٩٧م، ص١٢.

١٣. ظهر العدد الخاص بالأدب العربي تحت عنوان:

Le voyage dans la litterature arabe moderne, prep. par N. Tomiche et M. Polet. Litterature comparee, No. 1 (1994), 5 - 116.

١٤. كنت وجهت مثل هذه الانتقادات إلى إدارة المجلة، وإلى الأستاذين ريماك وفايشتاين اللذين كانا يشرفان على الكتاب السنوي سابقاً، وقد أبديا استعدادا لنشر أي مادة مناسبة عن الأدب العربي، وعبرا عن الشكوى من عدم استجابة الدارسين العرب للإسهام في هذا المجال، والحق أنه بتشجيع من ريماك ومؤازرة قوية من صانع الطعمة تم اعداد هذا المدخل، وحين تسلم غيلبرت شانان رئاسة التحرير كتب لي متحمسا حول الموضوع، والدعوة مفتوحة لإسهام الدارسين العرب.

١٥. من اختيار حسام الخطيب واكتشافه، وقد تجاهل المترجم العربي للنص هذا الاكتشاف وقدم النصين بما يوحي أنهما من اكتشافه.

١٦. العنوان الكامل لمقال خليل هنداوي هو: «اشتغال العرب بالأدب المقارن او ما يدعوه الفرنجة Litterature comparee، في كتاب تلخيص كتاب أرسطو في الشعر، لفيلسوف العرب أبي الوليد بن رشد، وتتألف هذه الدراسة التلخيصية من أربع مقالات متسلسلة في الرسالة، خلال شهر يونيو / حزيران ١٩٣٦م، والجزء الأهم منها هو الاول الذي يعرف الأدب المقارن، ع١٥٣، ٨/٦/١٩٣٦م.

وهذا أول نص عرفته العربية يستخدم مصطلح الأدب المقارن ويشرحه. انظر تفاصيل وافية حول الموضوع في:

الموضوع عوامل خارجة عن العمل الفني نفسه، فيها جمال الترجمة وإغواؤها ونجاحها في تمثل روح اللغة المرسلة، والتخاطب مع ذوق اللغة المتلقية. وتلك أمانة كبيرة، ومعضلة مستمرة.

وهنا أيضا يبرز محمود درويش من ناحية أن مادة شعره لا تفقد كثيرا في الترجمة، ومن هنا كان إقبال المترجمين على أعماله، والنجاح النسبي الذي لقيته ترجماته بالفرنسية والإنجليزية والروسية ولغات أخرى كثيرة. ويمكن أن نستذكر هنا شهادة دنيس - جونسون دايفز الذي قال:

«إذا استطاع أي شعر أن يخترق سطور الترجمة الإنجليزية فإنما هو شعر محمود درويش».

ومع ذلك ترجمت قصائد محمود درويش عدة مرات، وتنافس المترجمون في تجويدها، وهذا وحده يؤلف جسرا للعالمية لا يستهان به.

مقومات إطارية

من الواضح أن المقومات الإطارية مثل مقياس قوة الأمة السياسي والحضاري، وتوافر وسائل الاتصال الثقافي والإعلامي، وقوة ثقافة اللغة المرسلة، وما أشبه ذلك من العوامل الإطارية غير الأدبية، لا تتوافر أبدا للأدب الفلسطيني وكيانه الضعيف والمقهور، بل هي عوامل سلبية تثقل كاهله بدلا من أن تدفعه إلى الأمام. ومع ذلك يمكن القول: إن الترجمات الفلسطينية في الغرب استطاعت نسبيا أن تخترق الحاجز.

وأخيرا يبقى تحدي العالمية قويا، ولذلك لا بد من مواجهته بطاقة فنية وإنسانية فائقة، ويخيل إلى المرء أن كاهل محمود درويش الشعري هو الأقوى على حمل العبء والأمانة، وأن ملحمته الجديدة ٢٠٠٢ التي تحمل عنوان «حالة الحصار» وزخم المعاناة والرفض وعظمة النداء الإنساني هي أكبر برهان على أنه يرتقي سلم العالمية الباذخ بخطوات واثقة.

افاق الأدب المقارن عربيا وعالميا. د. حسام الخطيب. دمشق. بيروت. دار الفكر المعاصر. ط٢. ١٢/١٩٩٩م . ص١٩٦ . ٢١٤.

١٧. الأثر الأجنبي في الأدبين العربي والإنكليزي. فخري أبوالسعود. الرسالة. ع١٦٨. س٤. ٢١/٩/١٩٣٦م. ص١٥٣٤ . ١٥٣٥.

وتمكن مراجعة المناقشات بشأن هذا المقال الرائد في المصدر السابق ولا سيما: ١٩٦-٢١٤.

Hussam Al Khateeb. "Comparative Literature in Arabic: History and Major trends", YCGL. 41 (1993): 12 - 20.

18- Hussam Al Khateeb. "Comparative Literature in Arabic: History and Major trends", YCGL. 41 (1993): 12 - 20.

19- Gilbert D. Chaitin. "Editors Preface". YCGL. 41 (1993): 4

20- Salih J. Altoma.

"The Reception..." YCGL. 41(1993): 160 - 168.

- "Bibliography". YCGL. 41: 169 - 179.

21- Ahmed Sheikh Bangura

"(Translating) Islam: Islam and Linguistic Differentiations in the Narratives of Aminata Sow Fall". YCGL. 41: 21 - 34

22- Abdul-Nabi Isstaif

"Husam Al-Khatib: "Afaq al-Adab al-Muqaran..." The Comparatist, XIX, May 1995.

23- Mircea Anghelescu.

"Hussam El Khateep. Afaq al adab al muqaran...". Synthesis, Academie Roumain. XX. 1993. 113.

٢٤. تخصص صالح الطعمة في إعداد القوائم البيليوغرافية. وكان سباقا ورائدا في هذا المجال.

٢٥. إن الجهد المبذول في إعداد هاتين القائمتين لا يدركه إلا من يكابد الشوق. ومع ذلك ينبغي أن تعتبر كل قائمة ببليوغرافية مشروعا قابلا للإضافات والتصويبات. ومن هنا أسمح لنفسي أن أشير إلى أن رسالتي التي نلت بها الدكتوراه من جامعة كامبردج عام ١٩٦٩م لم تظهر في القائمة. وكان عنوانها: النثر القصصي في سورية مع إشارة خاصة إلى المؤثرات الأجنبية Prose-Fiction in Syria with Special Reference to Foregin influences. وقد بنيت الرسالة كلها على أساس متابعة التأثيرات الغربية في نشأة فن قصصي ذي طابع حديث.

٢٦. كان لطفا وإنصافا من صالح الطعمة أن يشير إلى هذه الدراسة التأسيسية التي يبدو أن بعض كتاب العدد الذين تناولوا الموضوع لم يلتفتوا إليها.

٢٧. محمود درويش: «رسالة الشعب الفلسطيني في ذكرى النكبة»، توزيع سفارة دولة فلسطين في قطر.

٢٨. الخطاب الإسلامي مثلا حافل بأدبيات فضائل القدس والمسجد الأقصى. انظر في ذلك شمس الدين الكيلاني وجمال باروت: «الطريق إلى القدس». تحرير سلمى الخضراء الجيوسي. أبوظبي. المجمع الثقافي. ٢٠٠٠م.

٢٩. للتفصيل راجع. حركة الترجمة الفلسطينية. حسام الخطيب. بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ١٩٩٥م.

٣٠. الأولى: رسالة في سرعة انتشار الدين المحمدي وفي أقسام العالم الإسلامي. وقد ألقاها عام ١٨٩٦م في دار الجمعيات العلمية في باريس. ونشرتها جريدة طرابلس الشام. ثم اصدرتها في كتيب.

الثانية: المقدمة في المسألة الشرقية منذ نشأتها الأولى إلى الربع الثاني من القرن التاسع عشر. وقد ألقاها أيضا في دار الجمعيات في باريس. بعد الأولى بعام واحد ١٨٩٧م. ثم صدرت في كتيب بالقدس. وانظر تقريرا موسعا عن هاتين المحاضرتين في:

محمد روحي الخالدي. رائد البحث التاريخي في فلسطين. د ناصر الدين الأسد. ١٢٩ - ١٣٥.

العلاج بالقراءة في الأدب العربي

حسن آل حمادة
القطيف - السعودية

لعلَّ مصطلح (العلاج بالقراءة) واحدٌ من المصطلحات العلمية الحديثة، التي لم تُستعمل قديماً، ولكن المتتبع في التراث الثقافي لمختلف الحضارات، قد يلحظ أن الناس كانت تركن إلى هذه النوعية من طرائق العلاج، منذ فترات طويلة مرَّ بها تاريخ الإنسانية. ولعل عبارة (المكتبة طب النفوس) تلك العبارة التي أطلقها المصريون قديمًا تعبر عن هذا المصطلح الحديث الذي بدأ يلاقي رواجًا في كثير من دول العالم المتحضر، ومما يؤسف له أن بعض أمناء المكتبات لم يسمع بهذا المصطلح بعد.

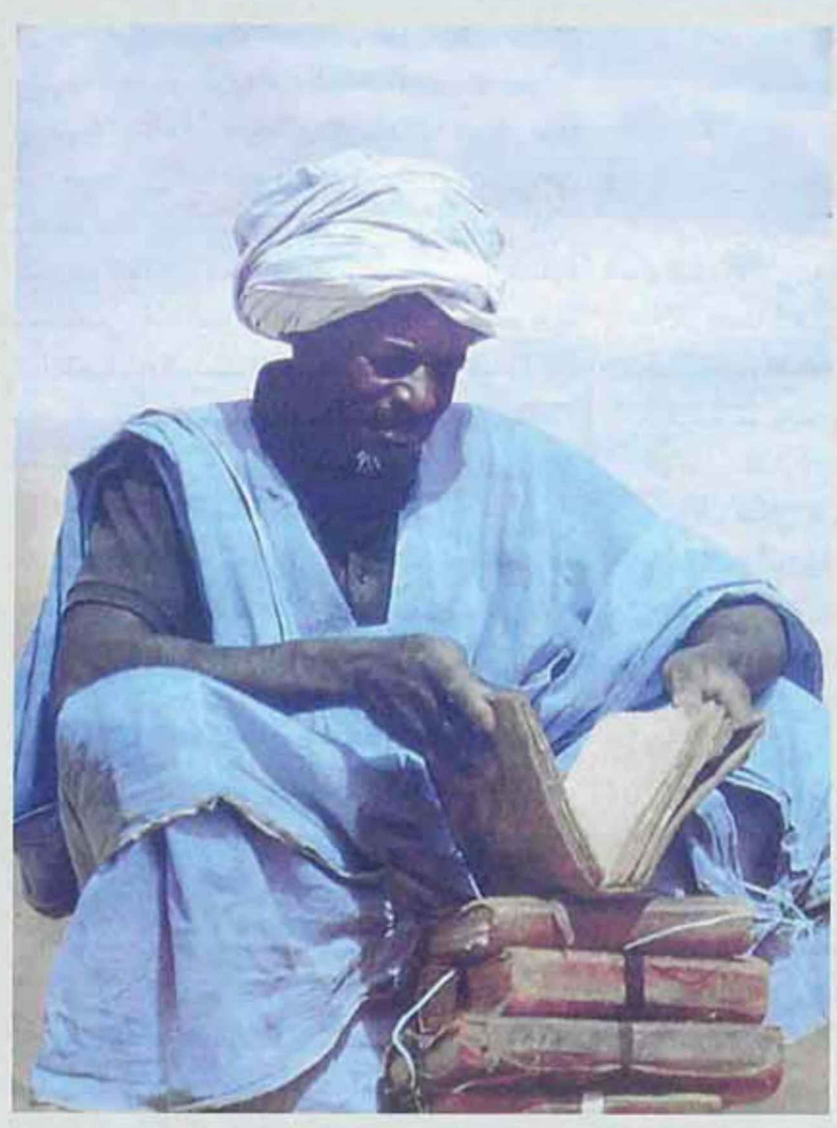
فمن ضمن الاتجاهات العصرية / الحديثة التي بدأت تتبلور في أذهان العلماء، مسألة العلاج بالقراءة، فكما توجد أساليب للعلاج بالموسيقى، وبالترفيه، توجد أساليبُ أيضاً للعلاج بالقراءة، وذلك من أجل تعديل الميول الخاطئة لدى الإنسان إلى ميول سليمة.

فالعلاج بهذه الكيفية من شأنه أن يعمل على تهذيب سلوك الإنسان والارتقاء به، ليكون عنصراً فاعلاً في خدمة مجتمعه، وذلك بعد تزويده بالمعلومات الكفيلة بتغيير تفكيره وسلوكه الخاطئ.

المطالعة... عقوبة لص مراهق

تحت هذا العنوان قرأت في جريدة الحياة اللندنية في الصفحة الأخيرة ع (١٣٩٢٠) ما يأتي: «يواجه لص مراهق، عمره ١٥ عاماً، عقوبة الخضوع لصفوف محو الأمية والقراءة والكتابة والمطالعة، لأنه سرق مبالغ ماليّة من سياح في غرانادا، وشارك في السطو على متجر كبير. إذ حين طلب منه القاضي خلال جلسة التحقيق قراءة القانون المتعلق بضرورة احترام أملاك الآخرين، تبين أنه أمي.

واستدعى القاضي المكلف هذه القضية المتهم، أول



من أمس، وأخضعه لامتحان في القراءة والكتابة، فنجح الصبي، وأسقطت عنه عقوبة متابعة دورات محو الأمية. ولكن عليه الآن المطالعة مدة لا تقل عن عام. وتقديراً لسلوكه الجيد وذكائه، تُركت له حرية اختيار الكتب التي يرغب في قراءتها».

لقد كانت (سادى ديلاني) واحدة من أولى الأمريكيات الممارسات للعلاج، وقد عرَّفت الببليوثيرابيا أو العلاج بالقراءة عام ١٩٣٨م بأنه: «علاج المريض من خلال قراءات مختارة»، وهو واحد من أفضل التعريفات وأكثرها إيجازاً، حسبما يذكر الدكتور (عبد العزيز شعبان خليفة)(١)، في كتابه المعنون «العلاج بالقراءة أو الببليوثيرابيا»، ولعله من المفيد أن يعلم القارئ أن هذا الكتاب يُعد أول كتاب عربي مستقل يتناول هذا الموضوع، وقد صدر عن الدار المصرية اللبنانية، عام ٢٠٠٠م.

وقد أشار المؤلف في عمله هذا – صفحة (٥٢) – إلى أن أول من كتب عجالة عن (العلاج بالقراءة) في اللغة العربية هو الدكتور محمد أمين البنهاوي - رحمه الله -، وقد قام بنشر مقالته في إحدى الصحائف السيَّارة، ثم ضمَّنها أحد كتبه، وربما كان ثاني من كتب في هذا الموضوع - حسب قول المؤلف - هو الأستاذ الدكتور أحمد بدر. وتُعدَّ في الوقت الحاضر رسالةٌ يقوم بها الباحث عبد الله حسين متولي بعنوان: «إفادة المرضى من مكتبات مستشفيات الصحة النفسية: دراسة تجريبية» أول رسالة علمية باللغة العربية في هذا الموضوع. ولكاتب هذه السطور مقالة منشورة بعنوان «العلاج بالقراءة» في جريدة البلاد السعودية بتاريخ ٨ رجب ١٤١٩هـ، ع١٥٤٥٥، ثم ضمَّنها كتاب «أفكار هادفة» الذي أعده بالتعاون مع زميله الأستاذ بشير البحراني، وصدر عام ١٩٩٩م عن دار الكنوز الأدبية في بيروت.

بعد حصرنا للكتابات العربية – التي علمنا بها – في هذا الجانب، أظن أن القارئ لن يخالفني القول

في أهمية البحث والكتابة حول هذا الموضوع الذي يظل بحاجة إلى المزيد من الكشف والإنارة، خاصة ونحن على علم أن الحضارة الإسلامية لم تكن يوما ما بعيدة عن هذا الفهم وعن هذه الرؤية التي نحن بصدد الحديث عنها في هذه المقالة؛ فالمتتبع لكتب التراث العربي يلحظ أن العرب والمسلمين كانوا يستخدمون هذه الطريقة في العلاج مع عدم معرفتهم هذا المصطلح الحديث الذي بدأ يتداول في هذا القرن، ومع عدم وضعهم مناهج وآليات معينة يسار وفقها؛ فالمسلمون - مثلاً - سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلمته الراقية التي يقول فيها: «اقرأ وارق»(٢)، وهذه العبارة المختزلة تحمل في طيّاتها معاني قد تفوق، بل هي تفوق مصطلح (العلاج بالقراءة)، فالرقي الذي عناه رسولنا الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتجاوز مسألة الرقي بمستوى الإنسان الذي يشكو من مرض معين يرتبط بأمور النفس مثلاً.. بل هو رقي بالإنسانية في مختلف المجالات، وذلك فيما يرتبط بأمور الدنيا والآخرة.

وقد نستحضر جميعاً ونحن نقرأ هذه المقالة قول الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: *وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ*. **الإسراء: ٨٢**.

في تفسير هذه الآية الكريمة يقول السيد محمد تقي المدرسي: «كل القرآن شفاء للأمراض، وبعض القرآن شفاء لذلك المرض الذي جاء من أجل شفائه، ولأن القرآن نزّل حسب الظروف تنزيلا فقد كانت آياته شفاء للأمراض التي نزلت لعلاجها، ولعل كلمة (من) تدل على ذلك».

ويضيف قائلاً: «اختلف المفسرون حول معنى الشفاء وأبعاده، ولكن الشفاء المقصود به هنا هو: شفاء عام لكل جوانب الحياة»(٣).

أما السيد محمد حسين الطباطبائي فيقول في تفسيرها ، «ننزل إليك أمرا يشفي أمراض القلوب ويزيلها، ويعيد إليها حالة الصحة والاستقامة فتتمتع من نعمة السعادة والكرامة»(٤).

فالمكتبة إذا، هي طبٌ للنفوس، فيجب أن يلجأ إليها (المريض، المتعلم) وذلك بمشورة (الطبيب، العالم) لكي يحصل على الكتب وغيرها من مصادر الثقافة والفكر، والتي يمكن أن يكون فيها الشفاء والعلاج لأمراضنا النفسية والاجتماعية والسياسية... فالأصل والقاعدة في الكتاب أن يكون مصدر نور وهداية لقارئه: *ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ*. **البقرة: ٢**.

ولا يخفى على القارئ السرّ في كون أول آية نزلت من السماء كانت تأمر الإنسان بالقراءة، مخاطبة إياه بقوله تعالى : «اقرأ».. ونحن على إيمان ويقين بأن قراءة الإنسان للقرآن الكريم والأدعية الشريفة، من شأنها أن تعمل على تطهير نفسه من الأدران والشوائب، وتجعلها طاهرة شفافة.

في هذه المقالة سأعمد إلى استدعاء بعض النصوص التي رأيت أنها تعبر عن هذا المصطلح، من خلال البحث في كتب الأدب العربي،(٥) وسأكتفي باقتباسها حيناً ،وبالتعليق عليها حيناً آخر؛ ليتضح للقارئ من واقع الأمثلة المذكورة، كيف أنّ العرب قد كانوا يستخدمون القراءة أو الاستماع وسيلة من وسائل العلاج. وليلاحظ القارئ أيضا احتواء الأدب العربي على الكثير من الأفكار والأطروحات التي هي بحاجة إلى من يعمل على إبرازها بوصفها نظرية، كالمصطلح الذي نحن بصدده - العلاج بالقراءة -، بصفته من المصطلحات العلمية الحديثة المتداولة والمعمول بها؛ خصوصاً لدى المكتبيين الأمريكيين، أكثر من غيرهم.

أمثلة ونماذج

سأذكر هنا بعض الأمثلة والنماذج التي صادفتها خلال البحث؛ وسيلاحظ القارئ أنها في الأغلب

مأخوذة من أمثلة عربية قديمة استخدم فيها الشعر مادة للعلاج، ولا يخفى – كما يقول الدكتور شعبان خليفة في كتابه «العلاج بالقراءة» ـ أن «الشعر، هو من أقدم المواد استخدامًا في العلاج بالقراءة وله مؤسساته... والعلاج بالشعر هو علاج بالقراءة، ولكنه علاج لا يستخدم إلا الشعر فقط، لدرجة أن المعالجين بهذا الشكل من أشكال مواد القراءة يطلقون على أنفسهم اسم المعالج بالشعر، ولا يسمي الواحد منهم نفسه المعالج بالقراءة تخصيصاً وتمييزاً لنفسه من سائر المعالجين بالقراءة»(٦).

تعزية ببيتٍ من الشعر

يقال: إنه «مات ابنٌ لسليمان بن علي فجزع عليه جزعاً شديداً، وامتنع من الطعام والشراب، وجعل الناس يُعزُّونه فلا يحفل بذلك، فدخل عليه يحيى بن منصور فقال: عليكم نَزَل كتاب الله فأنتم أعلمُ بفرائضه، ومنكم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت أعرف بسنته، ولستَ ممن يُعَلَّمُ من جهل، ولا يُقَوَّم من عوج، ولكني أعزّيك ببيتٍ من الشعر. قال: هاته. قال:

وهوَّنَ ما ألقى منَ الوَجد أنَّني
أساكِنُهُ في دارِهِ اليوم أو غدا

قال: أعِدْ. فأعاد، فقال: يا غلامُ، الغَداء»(٧)

هكذا رأينا كيف أن بيتًا واحدًا من الشعر كان له هذا التأثير الكبير في تغيير نفسية هذا الإنسان الذي كاد يهلك في البدء؛ بسبب عزوفه عن الطعام والشراب، نتيجة لتعرضه لابتلاء إلهي تمثل في فقدانه ابنه. فالابن الذي يسبقك في الرحيل عن هذه الحياة الدنيا لا ريب أنك ستلحق به اليوم أو غدًا، وهذه الحقيقة البديهية لم تكن غائبة عن سليمان بن علي حتمًا؛ لكنه لم يستطع استحضارها في المصيبة التي ابتُلي بها. فالبيت الشعري، عندما استخدم للرجل المناسب في الوقت المناسب فعل فعلته العظيمة.

المنصور يطلب من يسلّيه بالشعر

في كتاب: «قصص العرب»، ذُكرت الحادثة الآتية:

«لما مات جعفر بن أبي جعفر المنصور مشى أبوه في جنازته من المدينة إلى مقابر قريش، ومضى الناس أجمعون معه حتى دفنه، ثم انصرف إلى قَصْره، وأقبل على الربيع فقال: ياربيع؛ انظر مَنْ في أهلي ينشدني:

(أمِنَ المَنونِ وريْبِها تَتَوَجَّعُ) حتى أتسلى بها عن مصيبتي. (تتمة البيت: والدهرُ ليس بمُعْتِبٍ من يَجْزَعُ).

قال الربيع: فخرجتُ إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حضور، فسألتُهم عنها؛ فلم يكنْ فيهم أحدٌ يحفظها، فرجعت فأخبرتهُ. فقال: والله لَمصيبتي بأهل بيتي ألاّ يكون فيهم أحدٌ يحفظُ هذا؛ لقلَّة رغبتهم في الأدب، أعظمُ وأشدُ عليَّ من مصيبتي بابني! ثم قال: انظرْ هل في القُوّاد والعوام من الجند مَنْ يعرفها؟ فإني أحب أن أسمعها من إنسان يُنْشدُها؛ فخرجت فاعترضت الناس؛ فلم أجد أحداً ينشدها إلا شيخاً كبيراً»(٨)

في هذه القصة أو الحادثة وجدنا المنصور يطلب من يسمعه قصيدةً ليخفف بها عن مصيبته واكتئابه. علماً أن بعض من كتبوا في علم النفس، كالدكتور عبد الستّار إبراهيم، أشار في كتابه «الاكتئاب: اضطراب العصر الحديث»، إلى أنواع من الأنشطة المرتبطة بإثارة مشاعر اللياقة النفسية، والإنجاز، والكفاءة، وتحقيق الذات، وعدَّ من هذه الأنشطة: قراءة سورٍ من القرآن، والاستماع إلى القرآن، وقراءة شيء جديد(٩).

نعم المحدث الكتاب

روي عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قوله: «نعم المحدث الكتاب». ويقول الشاعر في ذلك أيضاً:

نعم الأنيسُ إذا خلوتَ كتابُ
تلهو به إن ملّكَ الأحبابُ
لا مفشيًا سرًا إذا استودعته
وتُنالُ منهُ حكمةٌ وصوابُ

وذكر الجاحظ الكتب، فقال: «نعم الذّخر والعدّة والمستغلّ والحرفة، ونعم القرين والدخيل، والوزير والنزيل، والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك، يطيل إمتاعك ويشحذ طباعك»(١٠)

وقال بعضهم معلّلا امتناعه من إعارته للكتب:

لصيق فؤادي منذ عشرين حجّةً
وصيدُيق ذهني والمفرّجُ عن همي
يعزّ على مثلي إعارة مثله
وآليته أن لا يفارقه كمي(١١)

وذكر الراغب الأصبهاني في كتابه: «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» موقفًا جميلا حدث للمأمون العباسي، فقد قيل: إنه نظر «إلى بعض أولاده وفي يده كتاب، فقال: ما هذا؟ قال: بعض مايشحذ الفطنة ويؤنس الوحشة. فقال: الحمد لله الذي جعل في أولادي من يُنظر إليه بأدبه أكثر مما ينظر إليه بحسبه»(١٢).

بعد هذا الحديث الموجز الذي رأينا فيه حثًا وتوجيهًا ودفعًا للإنسان كي يتخذ من الكتاب نعم المحدث والقرين، أظن أنني لست بحاجة في هذه المحاولة القصيرة إلى الإكثار من نقل النصوص المنتشرة في زوايا الكتب الموسوعية التي حفل بها تراثنا العربي والإسلامي. لكن، بقي لي أن أشير إلى أن بعض الأدباء قد تحدثوا عن طريقتهم الخاصة في استخدام أسلوب العلاج بالقراءة، فهذا أبو نواس يتحدث لنا عن طريقته، فيقول:

أتتبَّعُ الظُّرفاء أكتب عنهم
كيما أحدِّثَ من أحبُ فيضحكا

فهو هنا يُصرِّح بأنه يعمد إلى كتابة قصص الظُّرفاء كي يستفيد من تدوينه لها؛ ليتحدث بها في وقتها المناسب عندما يكون جالسًا مع من يحب.

وبعد: هذه عجالة يسيرة عن العلاج بالقراءة في الأدب العربي، وقد دفعني إلى طرق هذا المجال - كما أسلفت - عدم رؤيتي لكتابات تناولت هذا الموضوع بالدراسة والبحث؛ فالمكتبة العربية تكاد تكون خالية من معالجته، وحتى من كتب عنه لم يتناوله من هذه الزاوية التي أشرنا إليها، إذ إن الكتاب الوحيد الذي أشرت إليه في البدء، وهو من تأليف الدكتور شعبان عبد العزيز خليفة، كان كتابًا عامًا تناول فيه المفاهيم والتعريفات، ثم تاريخ العلاج بالقراءة، كما تحدث فيه عن: مبادئ العلاج بالقراءة، والعلاج بالقراءة في المدارس، ودور المكتبات العامة في العلاج بالقراءة...الخ.

وقد كنت أتمنى أن أجد فيه أمثلة وتطبيقات من واقع بيئتنا العربية وحضارتنا الإسلامية.

المراجع

١. العلاج بالقراءة أو الببليوثيرابيا، شعبان عبد العزيز خليفة، ط١، مصر: الدار المصرية اللبنانية، ١٤٢١هـ، ص٣٢.
٢. سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، رقم الحديث:٢٨٣٩ ومسند أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، رقم الحديث: ٦٥٠٨
٣. من هدي القرآن، السيد محمد تقي المدرسي، مج ٦، ط١، بيروت: دار البيان العربي، ١٤٠٦هـ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.
٤. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مج ١٣، ط١، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٧هـ، ص١٨٠.
٥. ستكون لنا وقفة أخرى في مقالة مستقلة عن «العلاج بقراءة القرآن الكريم» إن شاء الله تعالى.
٦. العلاج بالقراءة أو الببليوثيرابيا، مصدر سابق، ص١٩٥.
٧. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: درويش جويدي، ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢١هـ، ص٦٤٠.
٨. قصص العرب، محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٣، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٢م، ص٢٣٩.
٩. الاكتئاب: اضطراب العصر الحديث، فهمه وأساليب علاجه، عبد الستار إبراهيم، ط١، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٩هـ، ص٢٤٣ - ٢٤٤.
١٠. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصبهاني، ط٢، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٦هـ، ص٥١.
١١. المصدر السابق، ص٥٢.
١٢. المصدرنفسه، ص ٥٢ .

العربية المعاصرة في مواكبة مستجدات العصرنة

حلام الجيلالي
القصيم - السعودية

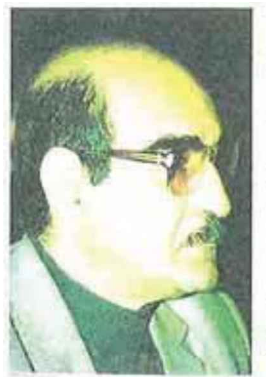
تشير المسلمات العلمية في المجال الألسني الحديث، إلى أن اللغة الرسمية هي المقوّم الأول والأساسي في تشكيل الهوية الحضارية لأي أمة من الأمم، وأن أي تدهور يصيب اللسان يعرقل - حتماً - مسار التطور الفكري والعلمي للمجتمع، وبالمقابل فإن ترقية اللسان وجعله مواكباً لمستجدات العصر، يضمنان للجماعة اللغوية حق الانتماء والمشاركة والإنتاج، والقدرة على مغالبة تحديات العصرنة والتعولم اللغوي والثقافي.

ومن الحقائق التي تؤكد هذا المعطى:

ـ أن فناء الأمم واندراس الحضارات نادراً ما يكونان بسبب الإبادة الجسدية، وإنما يكون بانقراض اللسان؛ فلا توجد أمة حافظت على كيانها الحضاري ووجودها الدولي بعدما أهملت لغتها الرسمية.

ـ أن اللغة الرسمية لا تقل أهمية عن المرجعية المعرفية التي يستثمرها الدارسون، لارتباطها ببنية الإدراك المسؤول المباشر عن عمليتي التخيل والإبداع لدى المتعلم.

ـ أنه لا توجد أمة أبدعت بغير لغتها الرسمية؛ لكونها تصبح جزءاً من كيان الفرد، وعادة سليقية لا تنال من تفكيره وتعلمه وإبداعه وتعبيره، على خلاف اللغة الثانية عند الازدواجية المنعكسة.


الجابري

ـ أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وكائن حي تجري عليه قوانين الطبيعة؛ من ولادة ونمو وصحة ومرض، وبقاء للأصلح وانقراض للأضعف، ما لم نعالج ونرقى في سلم التطور.

وتأتي هذه الورقة البحثية، لتطرح موضوع العربية المعاصرة في مواكبتها لتحديات العصرنة، وما أفرزته من مبتدعات باتت تصيب اللسان في مستوياته الصوتية و(المحارفية) والمفرداتية والتعبيرية.

وتستهدف الدراسة التعريف بالعربية المعاصرة ومواجهتها للعصرنة في التعليم والمصطلح والإعلام والمعلوماتية، في محاولة للوقوف على عوامل هذه المواكبة

في بعدها الحضاري، وتراثها المفرداتي، وآلياتها التوليدية، وكيف يمكنها أن تفي بأغراض المستعملين، وتلبي مطالبهم التي يفرضها العصر في المجالات الفكرية والعلمية بكونها لغة علم وعمل.

ما العربية المعاصرة؟

جرى على ألسنة الدارسين والمعجميين المعاصرين مصطلح (العربية المعاصرة)، ومن حق المتكلم العربي اليوم أن يميز بين ثلاثة مستويات هي:

- **العربية الفصحى القديمة**: وهي الأسلوب اللغوي الذي نزل به القرآن الكريم، وسُجِّل به التراث القديم عامة، واصطنعه الجاحظ والخوارزمي وابن رشد وغيرهم.

- **اللهجات العربية الإقليمية الدارجة**: مثل: «المصرية، والجزائرية، واللبنانية، والسعودية، وغيرها»، وهي لهجات عامية منطوقة لا مكتوبة وذات تواصل محلي.

- **العربية الفصحى المعاصرة**: وهي النمط اللغوي الرسمي المعيش في التعليم والبحث العلمي والصحافة ووسائل الإعلام العربية عامة، ونلمسه في كتابات نجيب محفوظ، وعبدالملك مرتاض، ومحمد عابد الجابري، وناصر الدين الأسد، وغيرهم من الكتاب المعاصرين.

ويهمنا في هذا المبحث مستوى (العربية المعاصرة) التي يمكننا - في ضوء ما وضعه لها الدارسون من تحديدات(١) - أن نعرِّفها بأنها «لغة فصحى معاصرة مكتوبة تستخدم في التعليم، والبحث العلمي، والإبداع الأدبي، والصحافة والإعلام، والندوات والمحاورات الثقافية، وفي المؤسسات الحكومية والتعاملات الدولية، وهي اللغة الرسمية المشتركة في العالم العربي اليوم».

وقد أطلق على هذا المستوى بعض الدارسين الغربيين، مثل كليف هولس Clive Holes - أستاذ مادة العالم العربي المعاصر في جامعة أكسفورد - مصطلح «اللغة الثالثة»(٢).

وتتميز العربية المعاصرة بجملة من الخصائص، ويتوافر فيها عدد من الإمكانات، أهلتها لتثبيت وجودها في الحياة العلمية والعملية؛ فكريًا وعلميًا وأدبيًا، وتحتل رتبة مميزة بين اللغات العالمية الحيّة الأكثر تداولاً؛ مثل: الإنجليزية والإسبانية والفرنسية والألمانية والروسية والصينية، وهي لغة قادرة على المنافسة إذا ما سعى أهلها إلى خدمتها وترقيتها وجعلها مواكبة لمستجدات العصر.

وقد بدأت العربية المعاصرة في التشكّل واكتساب السمات المميزة لها مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وسرعان ما اتضحت معالمها نتيجة انتشار التعليم المبرمج في الوطن العربي، ثم ظهور المجامع اللغوية التي أكسبتها شرعية الانبعاث، ومنحتها ثقة القرار، فانبثقت مميزة بجملة من الخصائص لعل من أهمها:

> **العربية المعاصرة لا تعاني أي أزمة مصطلحاتية، بل لعلها تعاني تضخمًا في المصطلحات، إلا أن هذه المصطلحات لا تصل إلى المستهلك؛ طالبًا أو باحثًا أو أستاذًا**

- أنها لغة فصحى خاضعة لأنظمة اللسان العربي وقواعده الصوتية والصرفية والنحوية التركيبية.
- أنها متأثرة باللهجات العامية العربية الإقليمية واللغات الأجنبية، تفصيحًا واقتراضًا وترجمة وتعريبًا.
- أنها لغة محكومة بالوصفية، تحرر السماع من قيود الزمان والمكان، وتعتد بأساليب المحدثين والمعاصرين الخاضعة لأنظمة اللسان العربي الفصيح.
- أنها لغة تفتح باب الوضع، وتعتد بالألفاظ المولدة والمفصّحة عن العامية، والمعربة والدخيلة المقترضة عن اللغات الأجنبية، فيما ليس له مقابل.
- معجم العربية المعاصرة لا يتجاوز رصيده المفرداتي ٤٠ ألف مدخل من الألفاظ الحضارية غير المصطلحات العلمية المختصة؛ أي يقف بين (المعجم الوسيط والمعجم العربي الأساسي)(٣)، في مقابل رصيد العربية القديمة الذي كان يتجاوز ١٠٠ ألف مدخل؛ أي يقف بين «لسان العرب وتاج العروس»(٤).

ونود أن نشير في هذه السبيل إلى أن اللغة يجب أن تحكم بضوابط وصفية لا بقيودٍ معيارية؛ فهي ظاهرة

اجتماعية يفرضها المجتمع على الأفراد؛ لأنها نمط من الثقافة؛ فيكون العرف اللغوي مقياساً للاستعمال، مادام هذا الاستعمال يحقق الغرض لدى الجماعة اللغوية (العربية المعاصرة)؛ وذلك من منظور «خطأ شائع خير من صحيح مهجور»؛ وهو توجه يخدم العربية المعاصرة في ظل تشريع لغوي محكم ومعاصر.

ويذهب الدكتور إبراهيم مدكور في هذا المنحى إلى القول: «إن مبدأ الحرية العلمية يحملنا على أن نسلم بأن قداسة متن اللغة لا يصح أن تقف عثرة في سبيل البحث والتقدم العلمي»(٥).

إن انتشار العربية المعاصرة محادثة وكتابة وفهماً من لدن أكبر شريحة اجتماعية في الوطن العربي، أدّى إلى إسكات تلك الأصوات التي كانت تدعو حتى بداية النصف الثاني من القرن العشرين، إلى استبدال لغة المستعمر بالعربية، أو اصطناع اللهجات العامية لغة بديلة(٦)، حتى إن بعض كتاب الرواية العربية تعمد خلط العربية الفصحى بالعامية في البناء السردي للرواية، بل ذهب قبل ذلك الكاتب المسرحي مارون النقاش في مسرحيته «البخيل» عام ١٨٤٧م إلى تجسيد عدد كبير من مستويات اللغة على النحو الآتي:

- أنطق الخادمة أم ريشة بالعامية اللبنانية.
- وأنطق غالي ونادر باللهجة العربية التركية.
- وأنطق عيسى بالعامية المصرية.

وأنطق غيرهم من المثقفين بالعربية الفصحى(٧).

وهي دعوات نشأت قبل اكتمال التعليم المبرمج وتعميمه في الوطن العربي. أما اليوم فأصبح الاقتناع السائد في أوساط الجماعة اللغوية، هو أن العربية المعاصرة هي الجواز لدخول العربي فضاء الألفية الثالثة، حتى يكون له بين صنّاع الحضارة المعاصرة موضع يثبت فيه وجوده الحضاري وإمكاناته الإبداعية، ومشاركته في تحريك عجلة التطور، بلسان يضاهي الألسن التكنولوجية دقة وتطويعاً للعصرنة.

تحديات العصرنة

إن دخول الألفية الثالثة يعدّ ميقاتاً علمياً لقيام ثورة تكنولوجيّة ومعلوماتيّة تواصليّة متطوّرة، بدأت تظهر تحدياتها وتأثيراتها في المجالات الحيوية، وبخاصة في المجال اللغوي التواصلي. وتشير الشواهد إلى أن الدفع التكنولوجي آخذ في الاستشراء بلغات محدودة ومعيّنة، وكأنه يعلن بذلك عن نفوق كثير من اللغات التي لا تقوى على حمل رسالته ومواكبة مستجداته، مما ينبئ عن صراع لغوي تتجسد فيه مقولة البقاء للأقوى.

ولا شك في أن هناك تحولات وقضايا تواصليّة قد أفرزها هذا المدّ التكنولوجي، ولا يمكن لأي لسان أن يتجاهلها، أو يسكت عنها؛ لأنه ناطقها وإن كان ذلك بلسان الآخر، وهي تحولات سريعة لا تمهل اللسان حتى يستكمل أدواته التعبيرية ومصطلحاته العلمية.


إبراهيم مدكور

ولاجرم أن العربية المعاصرة تواجه اليوم عدداً من هذه التحديات في شتى المجالات، يأتي في مقدمتها:

- التدريس والتواصل:

إن العربية اليوم تعيش أزمة شيوع الأخطاء التعبيرية والنحوية والمصطلحية، نتيجة عدة أسباب منها:

- التساهل في تعليم مادة اللغة العربية بالمدارس والجامعات، وعدم منحها القيمة التقديرية في الامتحانات والبحوث العلمية وجعلها مادة أساسية. وأيضاً، عدم إلزام الباحثين الجزائريين - مثلاً - بتحرير أطروحاتهم العلمية باللغة العربية، إذا كانوا منتسبين إلى الجامعة الجزائرية، أو ترجمتها إلى العربية عند انتسابهم إلى جامعات أجنبية.
- عدم توفير البيئة اللغوية لتكوين ملكة التعبير السليم، فقد أثبتت الدراسات النفسية اللغوية (النفسلغوية) أن السماع في التدريس أو الإعلام أفضل طريقة لاكتساب الملكة اللغوية(٨). ويقصد بالبيئة اللغوية أو «الحمّام اللغوي» عزل المتلقي عن سماع أي مفردات أو تعابير لهجية أو أجنبية غير العربية خلال فترة من الزمن، وهي

طريقة يمكن تطبيقها في قسم التدريس، وفي وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة والمسموعة، حتى في المؤسسات الثقافية والعلمية.

ـ غياب سلطة الدولة عن تعميم استعمال العربية والاقتصار عليها وحدها في المؤسسات الحكومية والمراسلات الرسمية، والندوات الصحفية، والمداولات والملتقيات.

ـ تفشّي ظاهرة الازدواجية اللهجية والأجنبية في المحادثات اليومية والحوارات المتلفزة والمذاعة؛ إذ يتم الخلط والتداخل بين عدة مستويات في الحديث الواحد (شكرًا ـ صحّيت ـ مرسي ـ برافو ـ أكي...) مما لا مسوغ له أبدًا.

ـ المصطلح العلمي:

من المعروف أن المصطلح العلمي أو اللفظ الحضاري وليد اللغة المنتجة للمعرفة، ولكن هذا لا يمنع الباحث من مواكبة مستجدات المعرفة الوافدة في مفهوماتها ومصطلحاتها ترجمة أو تعريبًا، طلبًا للدقة وتقريب الفهم ونشر المعرفة.

وأرى أن العربية المعاصرة لا تعاني أي أزمة مصطلحاتية، بل لعلها تعاني تضخمًا في المصطلحات، إلا أن هذه المصطلحات لا تصل إلى المستهلك؛ طالبًا أو باحثًا أو أستاذًا؛ إذ تفيدنا إحصاءات مكتب تنسيق التعريب بالرباط أن بين يدي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اليوم ٣٠ معجمًا مختصًا يضم زهاء ١٠٠ ألف مصطلح في أكثر التخصصات العلمية والإنسانية، مثل الطب والفيزياء والمعلوماتية والموسيقى واللسانيات، وما إليها(٩).

وهذا يعني أن القضية التي تطرحها مستجدات المعرفة في مجال المصطلح، لا تكمن في انعدام المصطلح أو صعوبة توليده، وإنما تصبح قضية تنظيمية، تتصل بمسألة توحيد هذه المصطلحات وتنميطها، وإصدارها في معجم موحّد، وفي أقراص مضغوطة، وفتح عنوان لها على شبكة الإنترنت، وتزويد المكتبات والجامعات والمؤسسات العلمية والثقافية بها، حتى يتاح الانتفاع بها.

إن المجامع اللغوية والمنظمات العربية ما زالت تأخذ بمبدأ صحاح اللغة، فلا تسمح بدخول الكلمة المعجم إلا بعد مرور سنوات كثيرة، ولو ضربت شهرتها الآفاق؛ فمثلاً: نجد المعجم الوسيط لا يسمح بدخول دلالة الفعل «لعب» بمعنى مثّل دورًا(١٠). وأزعم أن هذا المبدأ لم يعد يتمشّى وسرعة العصر، الذي يفرض تسجيل المصطلح الشائع إذا كان صالحًا، ولم يكن له مقابل، حتى لا يهمل أو تستبدل به كلمة أجنبية.

إن هذا التباطؤ لا يتفق والحياة المعاصرة التي لا تمهل الباحث حتى يصدر المجمع اللغوي قراراته بشأن مصطلح أو لفظ حضاري، وقد تشهره وسائل الإعلام بلفظ لايمتّ إلى العربية بصلة. وفي هذه الحالة يجب على المجامع اللغوية أن تسبق سوق وسائل الإعلام عن طريق نشرة شهرية موجهة، أو فتح عنوان على شبكة الإنترنت لتسجيل المواليد يوميًا أو دوريًا، كما سبقت الإشارة، وتعمل على إصدار تشريع شامل في آليات التوليد ووسائله المختلفة، يتيح للباحث المنتج للمعرفة توليد مصطلحات اشتراطية يستأنس بها في انتظار توحيدها وتنميطها.

تتميز العربية المعاصرة بجملة من الخصائص، أهلتها لتثبيت وجودها في الحياة العلمية والعملية؛ وهي لغة قادرة على المنافسة إذا ما سعى أهلها إلى خدمتها وترقيتها وجعلها مواكبة لمستجدات العصر

إن وضع دليل تشريعي في آليات التوليد، يُلزِم الجميع اتباع ضوابطه، كفيل بتجاوز هذا التباطؤ، كما يمكن لوسائل الإعلام أن تستثمره في إشهار المصطلح الجديد على صورته العربية أو المعربة الموحدة.

ـ الإعلام والمحيط:

يعدّ الإعلام أخطر وسيلة في نشر المعرفة، وترويج الثقافة، وإذاعة اللغة، وإشهار المصطلحات المستحدثة، ويشهد هذا العصر أهم تطور في وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية، بما فيها الفضائيات وشبكات الإنترنت.

وإذا كان الإعلام يمثل التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير وميولها وانشغالاتها العامة في الوطن أو الإقليم

الواحد، فإن ظهور الفضائيات قد أحدث تداخلاً في هذه الانشغالات، نتيجة اختراقه للحدود الوطنية والدولية، وقدرته على المنافسة والتأثر في الثقافات واللغات المختلفة.

وبغض النظر عن وسائل الإعلام الأجنبية، فإن الإعلام العربي يظل المسؤول الأول عن خدمة اللغة وترقيتها، في جميع ما ينشر في الصحف والمجلات، وما يذاع في التلفزة خلال القنوات الأرضية والفضائية، من أفلام وأشرطة وبرامج وحوارات. كما توكل إليه مسؤولية اختيار العاملين وتدريبهم، وتزويدهم بدليل لغوي يؤكد سلامة اللغة بوصفهم سفراء المجتمع في لغته الرسمية.

وقد أدركت دول العالم المتطورة أهمية الإعلام في الارتقاء بلغتها الرسمية، وجعلته خادماً للسان من حيث الترويج له، وإشهار المواليد، وتصحيح الأخطاء، وتقويم المحيط؛ ففي كندا، مثلا: هناك ما يعرف بـ «شرطة اللغة» التابعة لحكومة كيبك، تجوب الشوارع وتصحح أسماء المحلات واللافتات وإشارات المرور، وقد كلفها تحوير إشارة Stop الإنجليزية، بمعنى قف، إلى Arret الفرنسية أكثر من ٦٠٠ ألف دولار(١١).

ويذكّر هذا العمل بموقف العلامة مولود قاسم، رحمه الله، حين شاهد في طريقه إشارة «حذاري» مكتوبة بإثبات الياء، فاشترى عند عودته علبة طلاء وحذف الياء.

ـ المعلوماتية:

إن نقل المعلومات وتخزينها وتسويقها وتقليص مساحتها المكانية ومسافتها الزمانية باتت من سمات العصر، فانتقلت المعلومة من الكتاب الورقي إلى القرص الإلكتروني، ومن المراسلة البريدية إلى الإنترنت. إن مكتبة في حجم مقتنيات أبي الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني، التي قال عنها الرواة: إنه كان يرحلها على متن سبعة جمال، باتت اليوم مسجلة في قرص لا يزن غرامين.

إن ظهور المكتبة الحاسوبية قد وفّر لنا اليوم كثيراً من الجهد والمال والوقت، وأصبح إنشاء مخابر لتصنيع البرامج الحاسوبية وبرامج شبكات الإنترنت إنتاجا وترجمة، ومطلباً أساسياً، من أجل تطوير بدائل المنافسة اللغوية والتواصل العلمي.

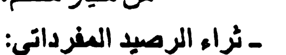
عوامل مواكبة العربية لمستجدات العصرنة

إن أي لسان مهما كان راقياً، يظلّ عرضة للجمود والتجاوز ما لم يعمل أهله على تطويره وترقيته، وجعله ملبياً حاجات الإنتاج المعرفي، ووافياً بمطالب المستهلكين.

ومن حظ اللسان العربي أنه يمتلك جملة من العوامل الداخلية والخارجية التي تمنحه القدرة على مواكبة كل المستجدات، وأهم هذه العوامل:

ـ البعد الحضاري:

وهو بعد يرتبط بالهوية الحضارية للسان العربي؛ فالعربية لغة أثيلة ضاربة الجذور في أعماق التاريخ العروبي الأكادي البابلي، وهي لغة حفظت للإنسانية أكثر من نصف تراث الكرة الأرضية في جميع المعارف من الاندثار والضياع، وفتحت للعالم القديم آفاقا رحبة في العلم والمعرفة، كما أنها لغة القرآن الكريم ،والدين الإسلامي الذي ينضوي تحت لوائه أكثر من مليار مسلم.


ناصر الدين الأسد

ـ ثراء الرصيد المفرداتي:

إن عدد الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية مرتبط بشؤون المتكلمين وتشعب حاجاتهم وإنتاجهم المعرفي؛ ولذلك يمكن أن نقول: إذا أردت أن تعرف حضارة أمة فانظر في معجمها؛ ذلك أن المعجم دليل على تنوع المعارف التي ابتدعتها أو مارستها أمة من الأمم، ويكفي في هذا الموقف أن نتصفح معجم تاج العروس للزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) لنقف من خلال الحقول الدلالية للمفردات على ثراء المعارف وتعددها في الحضارة العربية. أما من حيث الثراء المفرداتي فإن تاج العروس يضم زهاء ١٢٠ ألف مدخل، وتقدر أصولها بـ ١١٩٧٨ جذراً(١٢).

وإذا وازنّا هذا الرصيد باللغات الهندأوربية وجدنا

جذورها لا تتعدى ٥٠٠ جذر، حسب إحصاء اللغوي ميلر Muler(١٣). كما أن أكبر معجم اليوم في اللسان الفرنسي، وهو معجم روبير الكبير في ستة أجزاء، لا تتجاوز مفرداته ٨٠ ألف مدخل، بما في ذلك اللغة والأعلام.

ـ تعدد آليات التوليد:

يقصد بالتوليد لغةً: إنشاء الشيء من الشيء، وولّد الكلام بمعنى استحدثه (١٤)، وفي الاصطلاح المعاصر هو مجموع الوسائل والآليات التي تتيح للباحث وضع ألفاظ جديدة لدلالات مستحدثة، أو وضع دلالات جديدة لألفاظ موجودة. وقد توافرت في العربية آلياتٌ كثيرة تسمح بتوليد كل ما تحتاج إليه من مصطلحات وألفاظ حضارية، ونكتفي في هذه النقطة بالإشارة إلى هذه الآليات في الجدول الآتي:

آليات التوليد

توليد صوري	توليد ارتجالي	توليد دلالي
اشتقاق أوزان مأثورة نحت تفصيح اللهجات اختزال/اقتطاع تعريب ترجمة	ليست له آليات معينة	نقل مجازي إحياء القديم توسيع الدلالة تضييق الدلالة

الإمكانات العلمية

يعدّ هذا العامل الخارجي مكملاً للعوامل الداخلية السابقة الذكر، بل لا يقلّ أهمية عنها لارتباطه بالإنتاج المعرفي الذي هو سبب إيجاد المفاهيم والدلالات والتراكيب الجديدة في أي لسان من الألسن. وهناك صلة وثيقة بين الإنتاج المعرفي والتعليم المبرمج والبحث العلمي الأكاديمي المنظم، في الجامعات والمراكز العلمية المختلفة.

ويبدو أن وضع العالم العربي في هذا المجال آخذ في التطور؛ فلم يكن عدد الجامعات في بداية القرن العشرين يتجاوز ثلاثًا: (جامعة الجزائر ١٨٩٧، جامعة سورية ١٩١٣م، جامعة مصر ١٩٠٨م)، وكانت ذات تبعية كاملة للغرب(١٥)، وأصبح هذا العدد يقدر اليوم بأكثر من سبعين جامعة، تستقبل زهاء خمسة ملايين طالب، وفيها علماء وباحثون من الدرجة العالمية، وهم نخبة قادرة على إنتاج المعرفة العلمية بلسان عربي مبين.

وأعتقد أن الأوضاع الاقتصادية والسياسية للعالم العربي اليوم أحسن حظًا، ويمكنها أن تستثمر هذه الطاقات العلمية، وتجعلها تؤدي دوراً ريادياً في خدمة اللسان العربي الذي هو في حاجة إلى إرادة حضارية تحمل مشروعًا عربيًا (عروبيًا) يضمن له التفوق في مواكبة مستجدات العصر، ومغالبة التعولم اللغوي والثقافي.

المراجع والهوامش

١. خصائص العربية المعاصر، محمد حسن عبدالعزيز، اللسان العربي، عدد٤٥/١٩٩٨م، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ص١٤٩.
٢. خير الكلام في لغة الإعلام، ياسر المالح، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق م٧٤، ١٩٩٨م، ص٦٠٣.
٣. المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس ١٩٨٩م. أو المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م.
٤. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر للطباعة، بيروت، ١٩٦٨م. وتاج العروس، الزبيدي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي (د.ت).
٥. خصائص العربية المعاصرة، محمد حسن عبدالعزيز، اللسان العربي، ع٤٥، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ١٩٩٨م، ص١٤٨.
٦. من هؤلاء سلامة موسى، وعبدالعزيز فهمي، وسعيد عقل، ومولود معمري، وأنيس فريحة، ومن المستشرقين ولهلم اسبتا، ووليام ولكوكس وغيرهم. انظر: حصاد الفكر العربي في اللغة العربية، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨١م، ص٢١ وما بعدها.
٧. نصر الدين البحرة، اللغة العربية والإعلام المسموع والمرئي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ع٧٤، ١٩٩٨م، ص٥٩٦.
٨. تحرير النحو العربي، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار المعارف بمصر، ١٩٥٨م، ص٣.
٩. منظومة التنسيق المفهوم والإجراء، د. أحمد شحلان، اللسان العربي، عدد ٤٧، مكتب تنسيق التعريب، الرباط ١٩٩٩م، ص ٢٩ وما بعدها.
١٠. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م، ج٢/٨٢٧.
١١. نصر الدين البحرة، م، س، ص٥٨٩.
١٢. دراسة إحصائية بالحاسوب، لجذور الصحاح واللسان، والتاج، محمد صالح بن عمر، مجلة المعجمية العربية، تونس، عدد١/ص١٢٠.
١٣. اللغة العربية والحضارة الإنسانية، وجيه حمد عبدالرحمن، اللسان العربي، عدد ٣٥، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ١٩٨٦م، ص١٢.
١٤. المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص١٠٥٦.
١٥. مسألة الجامعات العربية/ منظور القبور الحية، عدنان مصطفى، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، عدد ١/١٩٩٥م، ص١٦.

الإرهاب الاقتصادي

ماجد أحمد المومني
صويلح - الأردن



أصبح الإرهاب ظاهرة عالمية.. له أشكاله وأحجامه وأطيافه وألوانه، وعقدوا له مؤتمرات دولية، ومن أشكاله وأطيافه وألوانه:

- الإرهاب التقاني (التكنولوجي).
- الإرهاب الإلكتروني «الهجوم على مواقع الإنترنت».
- فيروسات الكمبيوتر.
- التصفية الجسدية بالاغتيالات أو المداهمات أو استعمال سائر أنواع أسلحة الدمار الشامل.
- الإرهاب الاقتصادي... إما بالحصار وإما بالاحتكار.
- الإرهاب النووي.
- الإرهاب الفضائي ما يسمى بالدرع الصاروخي أو حرب النجوم.

وغيرها كثير، منها الاستنساخ البشري، وهندسة الجينات، ونقل الأعضاء البشرية والاتّجار بها، واستئجار الأرحام، وتجميد البويضات والاتّجار بها، والحيوانات

المنوية، وإمكانية الحمل بعد الموت وهكذا.

هذه بعض مخلفات العصر، وقبل أن أتناول موضوع البحث «الإرهاب الاقتصادي» لابد من التعرض إلى المفهوم الدولي لكلمة الإرهاب.

قبل مؤتمر الإرهاب بزعامة الولايات المتحدة، كان يعني تعريض حياة الأفراد أو الجماعات للخطر، أو الاعتداء أو الموت، ثم أضافت الولايات المتحدة جملة معناها: لا يجوز اللجوء إلى الإرهاب أو العنف مهما كانت الدوافع والأسباب.. وبإضافة هذه العبارة أصبح نضال الشعوب المحتلة يُعدّ عنفاً وإرهاباً، وهو ما رفضته بعض الدول العربية.

أولاً: الإرهاب الاقتصادي

وله أشكال وأحجام وأطياف أيضاً منها:

- السيطرة على أسواق المال والبورصات العالمية.
- الاحتكار لترويج بعض الصناعات.
- الحصار الاقتصادي على بعض البلدان.
- قوانين الخصخصة وإعادة الهيكلة، وتشجيع الاستثمار بما يخدم أصحاب المال ورجال الأعمال.
- جرائم غسيل الأموال.
- جرائم المخدرات، وتديرها عصابات إرهابية منظمة، مثل: عصابات المافيا ،والموساد، والكف الأسود، وغيرها كثير.

وقبل أن أسترسل في بحث هذا الموضوع لا بد من الإشارة إلى أن حجم شكل واحد من هذه الأشكال «وهو المخدرات» يُعادل في مُدخلاته مدخلات دول الأوبك النفطية طبقاً لما أشار إليه الخبير السوري الأستاذ الدكتور منير الحمش في المجلة الاقتصادية السورية.

وقل مثل ذلك على جرائم غسيل الأموال أو الأموال القذرة، وهي تلك الأموال التي تُجنى بطرائق غير مشروعة، بل ومحرمة، مثل: الدعارة، وبيع الأطفال، وبيع الأعضاء البشرية، وهندسة الجينات، والاتجار بالبويضات وتأجير الأرحام، ثم تحول عائدات هذه الأموال إلى مشروعات استثمارية عادية مثل تجارة السيارات والعقارات والمساكن والمواد التموينية. وما تضبطه المنظمة العالمية المسمّاة «الإنتربول» لا يُعادل نقطة في بحر هذه التجارة.

ولا بد من التمثيل حتى نقترب من الفهم:

- حجم التجارة الدولية لـ «هونج كونج» يُعادل في المتوسط ١٧٦ مليار دولار سنوياً.
- بينما حجم التجارة في «تايوان» الصين الوطنية يفوق هذا الرقم.
- ولو عرفنا جزيرة سنغافورة بحجمها الصغير وعائداتها الضخمة التي تقترب من الأرقام الخاصة بـ «هونج كونج» لعلمنا أين نحن من عالم المال والأعمال!!؟

ولتوضيح هذا التساؤل نقول: إن ٣٥٨ بارونا يهودياً يملكون ثلاثة أرباع ثروة العالم - أي ثروة هذا الكوكب - يتحكمون في البنك الدولي وصندوق النقد الدولي والأسواق المالية (البورصات) العالمية(١) وهم الذين مالوا على (بورصة) دول النمور في جنوب شرق آسيا فزعزعوها خلال أسابيع، وهزوا اقتصاد ماليزيا، وأنهكوا اقتصاد إندونيسيا، وأوصلوها إلى حافة الإفلاس، وأثاروا الفتن والاضطرابات، وفصلوا تيمور الشرقية وزعزعوا وحدة إندونيسيا.

> **يقدم مرتكبو جرائم غسيل الأموال على نقل الأموال التي يراد غسلها إلى مناطق بعينها للاستفادة من أنظمتها ومرونة معاملاتها، وإنجاز عمليات الغسل بطريقة مثيرة ومأمونة عن طريق تحويلها إلى مشروعات استثمارية**

ويكتسب الإجرام الاقتصادي في الوقت الحالي أكثر من أي وقت مضى صفة العالمية أو الدولية. ونلاحظ بداية أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الطابع العالمي للجريمة الاقتصادية والتعاملات الاقتصادية في عالم اليوم والغد، وقد تميزت الصفة التي تجمع بينهما وبين الجرائم الأخرى بالاتجاه نحو العالمية أو الدولية.

حسدونا على عائدات النفط - خاصة الدول العربية النفطية - وبرميل النفط بأسعاره العالمية الحالية لا يساوي ثمن ساندويتش في فنادق الخمسة نجوم في الدول الغربية، وسعره الحالي في قيمته الاقتصادية أيام ١٩٧٣م يُعادل - كما



الإرهاب كان يعني تعريض حياة الأفراد أو الجماعات للخطر، أو الاعتداء أو الموت

ذكر الشيخ اليماني، وزير النفط السعودي السابق - سبعة دولارات فقط.

بمعنى أن السلع الاستهلاكية للدول الصناعية والتي تروجها في البلدان العربية والدول النامية تضاعفت أسعارها عما كانت عليه عام ١٩٧٣م، مع أن سعر برميل النفط في قيمته الحقيقية لا يتعدى سبعة دولارات بالمنظور الاقتصادي لعام ١٩٧٣م.

والإرهاب الاقتصادي يرجع إلى أسباب متعددة ساندتها ظواهر برزت بعد حرب الخليج وساعد على بروزها ما يأتي:

- انكسار الاتحاد السوفييتي وظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، وهو نظام وحيد القرن الذي يسود الغاب بدلاً من الأسود والنمور. فالدولار الأمريكي هو سيد التعامل في الاقتصاد العالمي

- ظهور العولمة والتقنية وتقدم الولايات المتحدة بهذا المجال.

- الحصار الاقتصادي على العراق، ويكفي أن نقول: إن أموال العراق المجمدة تعادل ٢٦ مليار دولار تتداولها الولايات المتحدة في الأسواق العالمية وبأرباح تقدر في عشر سنوات بـ ٧٦ مليار دولار بينما أبناء العراق يتضورون جوعاً وهم أبناء دولة نفطية.

- سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على التجارة العالمية، هزت النمو الاقتصادي الياباني، ومزقت الاقتصاد

الأوربي، وكسرت اقتصاد دول النمور الآسيوية.

وتقدر خسارة تركيا والاتحاد السوفييتي ودول الاتحاد الأوربي من الحصار العراقي بمبلغ يفوق ستمئة بليار دولار، في المقابل وضعت في سلة الاقتصاد الأمريكي.

ومن ينظر إلى أساليب المواجهة، مثل تركيا مثلا والاتحاد السوفييتي بوصفهما أكثر المتضررين من الحصار العراقي، لا يجد سبيلا للخلاص تحت الضغوط الاقتصادية وشروط البنك الدولي القاسية، وهما متورطتان بقروض هذا البنك، ولا يعطيها دفعة واحدة، إلا على مراحل تتمشى مع مطالبه الاحتكارية.

كما أن عدم جدوى المواجهة يرجع أيضا إلى أن الجرائم الاقتصادية ـ أو الإرهاب الاقتصادي ـ بأشكاله الحديثة يتوزع السلوك الإجرامي فيها على أقاليم عدة ودول تشمل العالم، ونذكر على سبيل المثال جرائم غسيل الأموال، وجرائم الفساد بصفتها ظواهر عالمية.

من كان يصدق أن فساد سوهارتو يقدر بأربعين مليار دولار، ناهيك عن زعماء عرب آخرين تقدر ثرواتهم بعشرات المليارات.

بل إن الفساد نال دولا إفريقية يموت أبناؤها من الجوع مثل الكونغو، ونيجيريا، وكينيا، وغيرها كثير.

وجرائم الرشوة وجرائم غسيل الأموال جرائم توصف بأنها بلا حدود جغرافية، ولا قواعد أخلاقية، ولا آثار تاريخية، تنطوي على عدة عمليات مالية بقصد إخفاء الأصل غير المشروع.. وأساطين هذه الأموال يهود يتاجرون بكل شيء حرمه الله سبحانه وتعالى، هم مصدر الفساد والإفساد على هذا الكوكب. قال تعالى: *كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين*. المائدة: ٦٤.

ويقدم مرتكبو جرائم غسيل الأموال على نقل الأموال التي يراد غسلها إلى مناطق بعينها للاستفادة من أنظمتها ومرونة معاملاتها، وإنجاز عمليات الغسل بطريقة مثيرة ومأمونة عن طريق تحويلها إلى مشروعات استثمارية في السكن والعقارات وتجارة السيارات والمواد التموينية والمنتجات الصناعية، وأشهر المناطق في العالم لغسيل الأموال حتى الآن ثلاث هي:

ـ الفلبين.

ـ تايلاند.

ـ كولومبيا في أمريكا الوسطى.

ومن أشهر الوسائل التي تستخدم في جريمة غسيل الأموال القذرة استخدام نظام الدفع المصرفي العالمي من خلال الطرائق الإلكترونية الحديثة Swift التي تسمح بتحويل أية كمية من النقد في لحظة معينة عبر أجهزة الحاسوب المتصلة بشبكة معينة، كما حصل في تركيا بعد خلاف رئيس وزرائها أجاويد مع رئيس الجمهورية بأن حولت مبالغ تقدر بـ ٢٤ مليار دولار من تركيا إلى الخارج في ساعات محدودة.

يلقي تجار القهوة في البرازيل الفائض عن الطلب العالمي لهذه المادة الغذائية في البحر، ويحولونها إلى خلطات أسفلتية مع القار ليحافظوا على سعر القهوة العالمية الذي ضمنه لهم امتيازهم واحتكارهم لهذه المادة الحيوية في العالم

ومن وسائل جريمة غسل الأموال القذرة أيضا القيام بخلق شركات وهمية يكون هدفها نقل المبالغ النقدية وتحويلها والناشئة عن أصول جرمية تتعامل مع البورصات العالمية وأسواق المال الدولية. ورجال مال وأعمال وصلوا بالرشاوي إلى أعلى السلم الهرمي في السلطة التنفيذية في بلدان مشهورة بالفساد في هذا العالم.

ومن الجرائم الاقتصادية التي نراها الآن حولنا حركة تقليد السلع وتقليد الماركات العالمية، فهناك من الدول ما تكون عملية التقليد فيها سهلة وغير مكلفة وذلك لانخفاض نفقات العمالة فيها ـ مثل تايوان وسنغافورة ـ فتنتج سلعا تحمل أسماء ماركات عالمية في الملابس والأجهزة الإلكترونية مثل تقليد منتجات «مولينكس»، وملابس الجينز، والملابس النسائية الفاخرة، وتصعب مقاضاتها لأنها مرخصة من بلد المنشأ حسب قوانين المنشأ.

وقد تغير هذه الشركات بلد المنشأ لتكتب أنها صنع فرنسا

وإيطاليا وبريطانيا وقد تكون منتجات إسرائيلية تروّجها في الأسواق العربية مخترقة حواجز المقاطعة العربية.

أساليب خبيثة يساعد على انتشارها الفساد والرشوة والضغوط الاقتصادية وتورط بعض الدول بالقروض الدولية تحت ظروف تخدم أرباب المال والأعمال.

إن ٣٥٨ بارونًا يهوديًا يملكون ثلاثة أرباع ثروة العالم ـ أي ثروة هذا الكوكب ـ يتحكمون في البنك الدولي وصندوق النقد الدولي والأسواق المالية (البورصات) العالمية

ثانيا: الاحتكار

من أساليب الإرهاب الاقتصادي ما يسمى بالاحتكار، وهو امتياز لأرباب المال والأعمال يحفظ لهم حق عدم المنافسة من الآخرين، مثل امتيازات التنقيب عن البترول والغاز في دول الأوبك النفطية، وبحر قزوين والقنال الإنجليزي، ومثل حق الامتياز لتجار المواد التموينية الأساسية مثل الأرز والسكر والطحين والقهوة وغيرها.

من القضايا العالمية المعاصرة للاحتكار ما حصل لشركة مايكروسفت الأمريكية وهي خاصة بأجهزة الكمبيوتر نظامًا وتشغيلا وبرمجة وإنتاجًا لمستلزمات أجهزة الكمبيوتر، ففي عهد كلينتون أقامت شركات أخرى دعوى قضائية على هذه الشركة كلفتها مليارات الدولارات نتيجة لتعاملها بالاحتكار.

ويلقي تجار القهوة في البرازيل الفائض عن الطلب العالمي لهذه المادة الغذائية في البحر، ويحولونها إلى خلطات أسفلتية مع القار ليحافظوا على سعر القهوة العالمية الذي ضمنه لهم امتيازهم واحتكارهم لهذه المادة الحيوية في العالم.

وقل مثل ذلك عن السلع التموينية الأخرى مثل السكر والأرز والطحين، إنهم يتلفون ملايين الأطنان ليحافظوا على الأسعار، والعالم يتضور جوعًا في أريتريا، والحبشة، وأفغانستان ، والفلبين ومعظم دول القارة الإفريقية. إنها سياسة حيتان المال التي تبتلع من يقع في طريقها أو يعترض مسيرتها.

واتسع مجال الاحتكار ليشمل الملابس النسائية الفاخرة، والصناعات الحربية الخاصة بالصواريخ والطائرات والبواخر والبوارج. إنها صناعة تدر آلاف المليارات. تأتي الولايات المتحدة على رأس هذه التجارة تليها دول الاتحاد الأوربي، ثم إسرائيل التي نجحت في فتح أسواق الدول الإفريقية امام منتجاتها، كما أنها فتحت أسواق الهند الواسعة أمام هذه التجارة مع تعاون إستراتيجي بينها وبين الهند على حساب الباكستان الإسلامية المجاورة. فحصلت الهند على تقنيات متطورة في مجال الذرة والصواريخ والطائرات الحربية.

ثالثا: التكتلات الاقتصادية الضخمة

التكتلات الاقتصادية العالمية الضخمة تسيطر على الاقتصاد العالمي ومن هذه التكتلات الضخمة:

ـ منظمة التجارة العالمية وتتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية.

ـ السوق الأوربية المشتركة، وهي مرشحة لأن تكون في المرتبة الثانية في العالم بعد إصدارها العُملة الأوربية الموحدة وهي اليورو، ربما ينافس الدولار خلال السنوات القادمة.

ـ منظمة دول جنوب شرق آسيا ـ دول النمور ـ تايوان، وسنغافورة، وماليزيا، وإندونيسيا، وهونج كونج.

وهذه المنظمة تعاني الآن انحسارًا اقتصاديًا، مع اشتداد وطأة الديونية العالمية بشكل يهدد وحدتها وتماسكها واقتصادها.

ـ تكتلات دول أمريكا اللاتينية.

أضف إلى ذلك تكتلات المصارف الضخمة في اليابان وشركات عالمية أخرى في إنتاج السيارات والإلكترونيات.

أين نحن من هذه التكتلات الضخمة؟ وما عسانا أن نفعل أمام اندماج الشركات الكبرى! هل سنبقى سمكًا ضائعًا أمام حيتان الرأسمالية.

ليس أقل من سوق عربية مشتركة ووحدة اقتصادية عربية، وإلا سيجرفنا التيار الاقتصادي العالمي، لتتبخر ثرواتنا النفطية والمائية والمواد الأولية لتصب في سلة الإمبريالية والرأسمالية التي يسيطر عليها بارونات يهود، يخططون لتجفيف الفرات ودجلة ونهر النيل بإقامة مشروعات وسدود مائية في دول المنابع، ثم الاستيلاء على ثروات العالم النفطية وكنوز المواد الأولية اللازمة لصناعاتهم الإستراتيجية.

المراجع

١. أ.د منير الحمش، المجلة الاقتصادية السورية، آخر عدد لسنة ٢٠٠٠م.

نهاية الفيلسوف ديكارت

خالص جلبي
القصيم - السعودية

بمناسبة مرور ٤٠٠ سنة على ولادة فيلسوف التنوير الفرنسي رينيه ديكارت Rene Des-cartes الذي اعتمد آليات الشك لتمحيص الحقيقة، وألقى في القارة الأوربية بذور النهضة العقلية، تقدم صحفي وطبيب ألماني هو آيكه بيس (٥٤ عاما) Eike Piesa ، بتحقيق هزّ فيه الأوساط الأكاديمية يزعم فيه أن الفيلسوف ديكارت لم يمت من برد السويد بالتهاب رئوي، بل مات مسموماً بجريمة مدبرة، تم ترتيبها بين مبعوث الفاتيكان الذي كان يقوم بمهمة إقناع ملكة السويد بترك المذهب البروتستانتي والتحول إلى الكثلكة، ومنافسين لديكارت داخل البلاط الملكي يعملون في حقل الفيلولوجيا Philology(١).

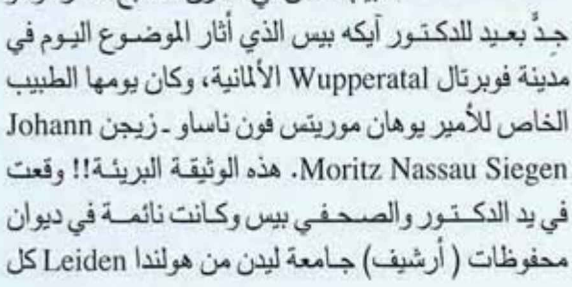
ولد الفيلسوف ديكارت في لاهي، وهي بلدة صغيرة في منطقة التورين Touraine بفرنسا عام ١٥٩٦م(٢)، وفي عام ١٦٥٠م اختتمت حياته عندما أعلنت ملكة السويد كريستينا Christine نبأ وفاته بالتهاب رئوي حاد عن عمر يناهز ٥٤ عامًا. ترك ديكارت خلفه أثرًا مزلزلاً، ومازال، في مفاصل العقل الإنساني الجمعي، فديكارت يعدّ اليوم محطة عقلية لكل من يرتاد حقل الفلسفة، ويريد تعرّف التحولات العقلية الكبرى فيها، وكل من جاء بعده ممارسًا للفكر لابد أن يتأثر بالطريقة التي طرحها بشكل أو بآخر، فيعدّ أهم ما كتب الفيلسوف سبينوزا من بقايا بصمات ديكارت عليه، فرسالته في «تحسين العقل» ينحو منحى ديكارت في كتاب «المقال على المنهج»، كما أن رسالته المهمة الثانية عندما أراد أن يفهم الأخلاق بشكل هندسي «الأخلاق مؤيدة بالبرهان الهندسي» هي من آثار ديكارت في فهم كل شيء في الكون بشكل ميكانيكي.



ديكارت

ما الذي أثار شبهة موت ديكارت مسمومًا بالزرنيخ؟

كان مفتاح هذه القصه الخطاب الذي تبادله اثنان من الأطباء، فأما الأول فهو طبيب البلاط السويدي، الدكتور يوهان فان فوللن Johann van wullen الذي عاصر لحظات ديكارت الأخيرة وتطور مرضه في الأيام الأولى من شهر/ فبراير شباط عام ١٦٥٠م، في إستوكهولم عاصمة السويد، وأما الطبيب الثاني الذي عُنون له الخطاب ولم يتسلمه قط فهو طبيب عاش في القرن السابع عشر، وهو



جدٌ بعيد للدكتور آيكه بيس الذي أثار الموضوع اليوم في مدينة فوبرتال Wupperatal الألمانية، وكان يومها الطبيب الخاص للأمير يوهان موريتس فون ناساو - زيجن Johann Moritz Nassau Siegen. هذه الوثيقة البريئة!! وقعت في يد الدكتور والصحفي بيس وكانت نائمة في ديوان محفوظات (أرشيف) جامعة ليدن من هولندا Leiden كل

تلك القرون! ولكن لماذا استقرت في هولندا ولم تصل إلى يد الدكتور وليم بيس Willem Pies الجد الأعلى للدكتور آيكه بيس المقيم حاليًا في فوبرتال؟!

كانت الرسالة وثيقة مريبة عن وصف حال فيلسوف التنوير ديكارت وهو في سكرات الموت، فالدكتور السويدي الذي كان يسجل يوميات انهيار صحة الفيلسوف بأعراض لا تُخفي مظاهر التسمم بالزرنيخ، مثل البول المدمّى، واللعاب المسودّ الغزير، ودوران العينين التائه، ونوعية تقطع التنفس المشير إلى التسمم الحاد بالزرنيخ، كما أن ديكارت نفسه ارتعب من جو المكائد التي هرب منها طوال حياته فلحقته إلى السويد. يبدو أنه أدرك أنه وقع في المصيدة، فطلب بعض الأدوية التي تحرض عنده الإقياءات، كي يتخلص من السم اللعين، ولكن يبدو أن جرعة أخرى لحقته في اليوم الثامن من كربه فألحقته بالقبر. الدكتور آيكه بيس فتح الباب إلى قصة مثيرة من القصص البوليسية التاريخية، فبموازنة الخطاب المرسل من طبيب إلى آخر، وباستعراض مظاهر المرض التي بدأت مع اليوم الثاني من شهر شباط/ فبراير من عام ١٦٥٠م والتي أنهت حياة الفيلسوف ديكارت في اليوم ١١ منه في الساعة الرابعة صباحًا، افترض أن جرعة السم الأولى أعطيت له مع جرعة النوم، وأما الثانية فكانت للقضاء المبرم عليه في اليوم الثامن. ويبقى لإثبات هذه الفرضية الإجرامية التاريخية الوصول إلى المتبقي من عظام الفيلسوف لفحصها عن طريق الطب الشرعي، فسمُّ الزرنيخ يبقى في العظام فلا يزول، ويمكن التأكد منه بفحص الجمجمة مثلا.

ما الذي قاد ديكارت إلى السويد ليلاقي حتفه فيها!!

في خريف عام ١٦٤٩م أرسلت ملكة السويد كريستينا (ابنة الملك جوستاف أدولف) Gustav Adolf ضابطًا كبيرًا برتبة أدميرال إلى الفيلسوف المتواري في هولندا، والذي كان يُروى عنه دومًا المثل: «عاش سعيدًا من توارى في الظل وأمعن في الاختفاء عن الأنظار» تطلب منه المثول أمامها في استوكهولم لتتعلم على يديه «فن التفكير الصحيح»!!

كان ديكارت يومها يعيش في هولندا متواريًا، غيّر بيته أربع وعشرين مرة في أقل من عشرين عامًا، قد سمع بأهوال محاكم التفتيش والمصير الذي تعرض له الفيلسوف والعالم الإيطالي جاليلو، كما أن حرق جيوردانو برونو الذي دُشّن به القرن السابع عشر حيًا في ساحة عامة في روما، في عام ١٦٠٠م للميلاد، عن عمر يناهز ٣٢ سنة بعد سجن وإذلال لفترة ثماني سنوات، جعل ديكارت يلجأ إلى هولندا التي انتشر فيها روح التسامح الديني، فكان يسافر إلى فرنسا بين حين وآخر لتدبير أموره المالية، ليعود إلى هولندا ويعيش حياته الخاصة بعيدًا عن الناس في صحراء اجتماعية، ولكن في جنة فلسفية. وفي هذه الدوحة الفلسفية كان يقطف ثمرات يانعة للفكر الإنساني، وفيها أنضج معظم أفكاره، فكتب معظم مؤلفاته بما فيها أعظم كتاب له، الذي اشتهر به وهو «المقال على المنهج» الذي أرسى فيه القواعد الأساسية للوصول إلى الحقيقة في العلوم.



لوحة تمثل جاليلو على فراش الموت

الشك أداة معرفية للوصول إلى اليقين!!

كان ديكارت يطمح إلى الوصول إلى الوثاقة واليقين اللذين تتمتع بصلابتهما الرياضيات، بحيث يؤسس بقية العلوم على هذه القاعدة من اليقين، وكان كتابه «المقال على المنهج» في إطار توليد اليقين من أرضية الشك.

كان الشك الذي استولى على عقل ديكارت كبيراً رهيباً، بحيث قاده إلى قطيعة معرفية مع عقلية العصور الوسطى؛ فشطب دفعة واحدة الآراء المسيطرة على المجتمع. وشق الطريق إلى اعتماد المحاكمة العقلية سبيلاً للفهم أكثر من الآراء المسيطرة، فليس هناك من وسيلة لقتل العقل مثل التقليد واتباع آراء الآباء، كما نعى ذلك القرآن الكريم على كفار قريش: *إنّا وجدنا آباءنا على أمّة وإنّا على آثارهم مهتدون*. **الزخرف:٢٢**. ومضى به الشك كما حصل مع الإمام الغزالي سابقاً، حينما اهتزت عنده حتى الضروريات والمحسوسات. كان يخاطب نفسه قائلاً: إذا كان كل الشعور موجوداً في المنام ولا يزيد المنام أن يكون وهماً كاملاً! فما الذي يضمن لي ألاّ تكون الحياة برمتها نوعاً من الوهم الخادع على صورة منام كبير؟! وإذا كانت الحواس تخدع، والمعرفة تأتي عن طريق الحواس، فكيف يتأتى لي أن أصدق هذه المعلومات المتدفقة إلى عقلي، وطريقها هو الحواس؟!. استمرت رحلة الشك حتى مرض الغزالي فكاد يهلك كما روى في كتابه «المنقذ من الضلال»، وأما ديكارت فلم يمت ولكن دماغه كاد ينفجر في ليلة حاسمة غيّرت مجرى حياته بالكامل، في شتاء قاس، وحرب الثلاثين عاماً الطاحنة تزهق أرواح الناس على الأرض الألمانية.

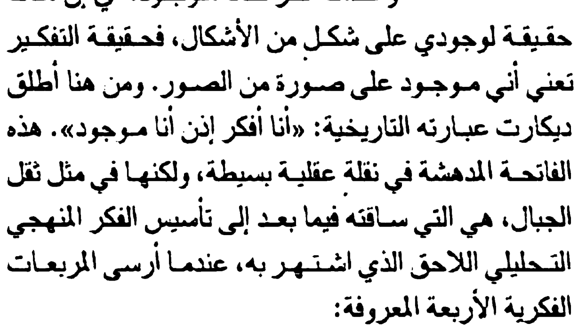

سقراط

ليلة ديكارت التاريخية

ابتدأت حرب الثلاثين عاماً الدينية على الأرض الألمانية في عام ١٦١٨م، ولم تنته إلا عام ١٦٤٨م، بعد ثلاثة عقود كاملة قتل فيها الملايين من الناس من كلا الجانبين والمذهبين: البروتستانت والكاثوليك، وعم الخراب، وانتشرت المجاعة، وتحولت ألمانيا إلى أنقاض اشتركت فيها جيوش شتى من كل القارة الأوربية، ولم تترك فظاعة إلا ارتكبت، على عادة الحروب الأهلية، ولكن أشد من عانى يومها، كان الشعب الألماني الذي مات منه ذبحاً قرابة الستة ملايين ونصف المليون، من أصل تعداد سكان يصل إلى عشرين مليوناً فقط، مما اضطر الكنيسة يومها إلى استصدار قرار اشتهر بقرار نورمبرغ، أباحت فيه تعدد الزواج استناداً إلى قصص العهد القديم، لتعوض النسل المنقرض، ولم تنتعش ألمانيا إلا بعد مرور ثمانين عاماً(٣). ويصاب الإنسان بالعجب إلى حد الانبهار، كيف تولدت أفكار المنهج عند ديكارت في جو حروب أهلية واضطرابات من هذا الحجم؟ ففي هذا الجو الجهنمي العجيب يروي ديكارت قصة عجيبة؛ عندما أجبرته الثلوج والبرد على الاحتماء طوال الشتاء في غرفة دافئة، لايعكره فيه هوى ولا هم أو حزن، حتى كانت ليلة عمد فيها إلى التفكير؛ فكاد دماغه يحترق من وهج التفكير - كما يروي (٤) ثم جاءه ما يشبه الوحي من التفكير بحيث انفتحت أمام بصيرته الطريقة الجديدة في قيادة العقل إلى الأحكام الصحيحة. إن ديكارت عندما شك في كل شيء وصل إلى طرح هذا السؤال:

إذا كنت أشك في كل شيء، فهل هناك شيء ولو كان وحيداً منفرداً لا أشك فيه يقيناً؟ كانت اللمعة العجيبة التي التمعت في ذهنه: نعم قد أشك في كل شيء ولكن الشيء الذي لا أشك فيه هو أنني أشك. والشك تفكير، فهناك حقيقة أساسية هي أنني أفكر لأنني أشك، وعندما أفكر فأنا موجود، أي إن هناك حقيقة لوجودي على شكل من الأشكال، فحقيقة التفكير تعني أني موجود على صورة من الصور. ومن هنا أطلق ديكارت عبارته التاريخية: «أنا أفكر إذن أنا موجود». هذه الفاتحة المدهشة في نقلة عقلية بسيطة، ولكنها في مثل ثقل الجبال، هي التي ساقته فيما بعد إلى تأسيس الفكر المنهجي التحليلي اللاحق الذي اشتهر به، عندما أرسى المربعات الفكرية الأربعة المعروفة:

- لا أقبل شيئاً مالم يكن في غاية الوضوح.
- كل قضية مركبة تحلل إلى عناصرها الأولية.
- بعد حل العناصر البسيطة يعاد تركيب القضية.
- تجري عمليات النقد الذاتي والاختبار للتأكد من مراحل العمليات العقلية كافة لإحكام ضبطها.



طنين الذبابة وانبثاق الهندسة التحليلية

في ضاحية باريس عمد مفكر لاهوتي، هو مارين ميرسين Marin Mersenne(٥) في مطلع القرن السابع عشر، إلى عمل لم ينتبه له أحد، ولكنه كان مثل الزلزال للعقلية الأوربية، فقد كان يعمد إلى عقد اجتماعين اسبوعيين يعقد فيهما خيوط الاتصال بين أهل الفكر الحر في أوربا، وفي مجلسه العلمي المتواضع اجتمع خيرة العقول الأوربية الحرة في ذلك الوقت، لتنتشر منها موجات التنوير من دون توقف. هذا العمل كان مثل تحركات القارات الجيولوجي، ويعني للمفكرين أملاً لا ينضب في إمكانية تحسين التفكير الإنساني.

كان ديكارت لا يكف دماغه عن العمل في كل مكان، وعندما أزعجه طنين الذبابة بدأ في التفكير عن احتمالات وجودها، فقاده هذا التفكير إلى وضع قواعد المخطط البياني والهندسة التحليلية التي أصبحت أحد أعمدة الرياضيات حتى وقتنا الحالي. يقول صاحب كتاب «عندما تغير العالم»: «ومن الطريف والمثير أيضاً أن تحدث قصة بسيطة ذات يوم أثناء الاجتماعات التي كانت تعقد في صومعة الراهب ميرسين مرتين أسبوعياً، لتسهم إسهاماً مهماً في التفسير الرياضي لتسيير الكون، فجّرتها مجرد ملاحظات شخصية، فقد سمع ديكارت طنين ذبابة تطير في المكان الذي كان يعقد في الاجتماع، فأخذ ديكارت يفكر في موقع الذبابة، فتصور أن موقعها لا بد أن يكون تحت نقطة يتقاطع عندها في زوايا قائمة خطان، أحدهما خارج من الاتجاه الجانبي، والآخر من أسفل. هذان المحوران يعطيان محورين إحداثيين لتحديد موقع الذبابة في أي وقت، ويمكن قياس بعدهما باستخدام إحداثيين متعامدين وفي مستوى واحد، وهذا النظام الجديد للإحداث الرياضي هو ما نسميه اليوم بالخط البياني(٦).



نابليون بونابرت

جمجمة ديكارت وعظامه الناقصة

حتى يثبت الدكتور والصحفي آيكه بيس مزاعمه حول تسمم ديكارت، قام برحلة بحث حول بقايا عظام الفيلسوف بعد مرور ثلاثة قرون ونصف القرن على بلاها، فتبين أن عظامه وصلت ناقصة إلى فرنسا بعد دفنه في السويد عشية وفاته، فتم استخراجها من جديد ودفنها عام ١٦٦٦م مرة أخرى في كنيسة القديس جرمان دي بري، ولم يُنتبه إلى أن الهيكل غير كامل إلا بعد فتح التابوت عام ١٨١٩م، ولم تصل الجمجمة لتوضع في المتحف الإنساني في باريس إلا في عام ١٨٧٨م. يقول الدكتور بيس عندما وضعت يدي على جمجمة الفيلسوف أردت أن أغامر فأقوم بكحت العظام وأخذ عينة منه لكشف آثار الجريمة، فالزرنيخ المعدني لا تخيب آثاره في الكشف عنها ولو بعد قرون، ولكن جرأتي خانتني في مشهد من هذا النوع!! وأما تتمة قصة الرسالة فعُرف أن الملكة كريستينا قامت بحملة سياسية لإعلان موت الفيلسوف وكأنه التهاب رئوي صاعق، وعندما علمت بأمر رسالة طبيب البلاط قامت بمصادرتها، وأحيلت إلى الأرشيف الملكي ليكشف النقاب عنها بعد تطاول القرون في أرشيف جامعة ليدن التي حفظت الوثيقة.

التصفية الجسدية لأهل الفكر

جرت العادة في العصور الوسطى أن يتم التخلص من مقلقي النوم العام، فأي فكرة تطرح يجب ألاّ توقظ نائماً، ولا تزعج مستيقظاً، فإذا انتشرت الفكرة عُدّ صاحبها من المفسدين، فالتهمة التي وجهت إلى موسى عليه السلام أنه: *يُظهِر في الأرض الفساد*. **غافر**: ٢١، وكانت العادة تجري بعزلهم عن فكر المجتمع في ثلاث صور: النفي أو السجن أو

التصفية الجسدية: *ليُثبتُوك أو يقتُلُوك أو يُخـــرجُـــوك ويمكُرُون ويمكُرُ اللهُ*. **الأنفال:** ٣٠. وينطبق على صاحب الفكر قانون الدجاجة المجروحة، فعندما تكتشف الدجاجات أن إحداهن مجروحة، تُهرع إليها فتنقر مكان الجرح النازف حتى الموت. ولكن القدر التاريخي يبدو أنه يسير في مسرى آخر، في غير هذه الصورة القاتمة، بل إن التغير الاجتماعي يحدث ضمن دورة مختلفة، ترسو في النهاية لمصلحة الفكر التغييري الأصلح، ضمن جبروت القانون الإلهي بأن الزَّبد يذهب جُفاءً وما ينفع الناس يمكُثُ في الأرض. ودفاع المجتمع عن أفكاره مسوغ في قسم منها وإلا تعرض المجتمع لهزات لا نهاية لها مع نزوات البشر من دون نهاية، ولكن صمود الفكر التغييري هو الذي يعطيه طاقة الصمود والتحدي والصبر حتى تجاوز معصرة المحنة والتطهر من خلالها، ونقل المجتمع إلى عتبة جديدة أكثر تقدمية. وأيًا كانت صحة قصة تسميم ديكارت فالتصفية الجسدية لأهل الفكر ليست جديدة، حتى إن القرآن عندما أشار إلى نفي الصلب عن المسيح كان - في تقديري - ينطلق من خلفية أهم من كونه مات على الصليب أو قُتل بطرائق أخرى، فالقرآن يشير إلى أن كثيرًا من الأنبياء قتل، وليس جديدًا محاولة صلب أحد الأنبياء: *وقَتلَهُمُ الأنبياءَ بغير حق*. **آل عمران:** ١٨١. في تقديري كانت حركة القرآن لنفي قصة الصلب وصولاً إلى تحييد العقيدة التي قامت عليها قضية الصلب: أي التثليث وألوهية المسيح، أكثر منها لنفي الطريقة التي قتل فيها، بسبب ارتباط العقيدة بطريقة القتل.

مفهوم لا إكراه في الدين

إن القرآن حينما طرح شعار: *لا إكْراهَ في الدين*. **البقرة:**٢٥٦. أراد منه تحييد الجسد في لعبة الصراع الفكري، وهذا المفهوم ينبثق عنه ثلاثة مفاهيم خطيرة مازال الجنس البشري يسعى من أجل تحقيقها، ولم يصل حتى الآن إلى بعضها إلا بشق الأنفس.


هتلر

هذه المفاهيم الثلاثة هي بالتتالي:

- تحييد العرق، وبذلك يتوقف الصراع العرقي وتزول العنصرية من العالم.

- كما يصب تحييد الجسد في مفاهيم العنف واللاعنف فيتوقف إكراه الإنسان وتعذيبه من أجل معتقداته، ولا يقتل الإنسان من أجل أفكاره، بل إن القرآن مشى في اتجاهين في مواجهة هذه المشكلة الإنسانية التاريخية:

فهو أولاً: أعلن من جهته توقف الإكراه في العالم، بكل صوره، فكلمة لا إكراه في الدين كلمة جامعة شاملة لكل المعتقدات والمبادئ والأديان، فنفى كل صور الضغط والإكراه، وضمن أي دين أو مبدأ. في اعتناق مبدأ أو تركه دخولاً أوخروجًا، وكان المثير في هذا الإعلان أنه جاء من طرف واحد، وليس في صور اتفاقيات متعددة الجوانب، وهذا يفسر قسمًا من سر انتشار الإسلام في العالم وانسياحه حتى هذه اللحظة في ضمائر البشر جميعًا.

وهو ثانيًا: ترك الهامش أمام التظاهر بالتراجع عن المبدأ في حال التعرض للإكراه: *إلا مَنْ أُكرِهَ وقلْبُه مطمئنٌ بالإيمان*. **النحل:** ١٠٦. كله في محاولة لتحييد الجسد عند اختلاف الآراء والعقائد، من أجل الوصول إلى مجتمع إنساني حر التفكير، خالٍ من كل صور الاضطهاد والضغط المادي والأدبي. فلا تستخدم أي صورة من صور الضغط لإدخال الناس بالقوة في أي مبدأ، أو إخراجهم من أي دين بالقوة، في كلا الاتجاهين، دخولاً وخروجًا، والعنف المادي الذي ضمن هذه البانوراما هو تلك الوسيلة التي تحتكرها الدولة لتحييد كل صور الإكراه على الإنسان ضمن المجتمع كي يعيش آمنًا. والجهاد بمعنى استخدام الآلة المسلحة هو لرفع الظلم عن الإنسان أينما كان، والظلم من أي جهة انطلق حتى لو قام بها مسلم، من أجل إيقاف عملية إخراج الناس من ديارهم وعقائدهم بالقوة المسلحة، فهو دعوة لإقامة حلف عالمي لرفع الظلم عن الإنسان أمميًا، وبذلك يتحول العالم الإسلامي تحت هذا المفهوم وضمن هذه

الصورة إلى مكان يهرب إليه اللاجئون السياسيون من كل مكان، وليس العكس.

ثالثا: كذلك يدخل ضمن تحييد الجسد حل جذري لمشكلة المرأة، كما يتحسن وضع المرأة في العالم، فوضع المرأة غير مريح في الشرق والغرب على حد سواء، وعندما يتم تحييد الجسد من خلال الجنس، تتوقف المساومة على جسد المرأة، التي أخذت طابع المراهنة على الجنس، ونسيان أنها إنسان كامل وروح متميزة.

مفهوم تحييد الجسد في الصراع الفكري

لعل ديكارت لو بعث في أيامنا الحالية كان سيتمتع بوضع أوربا وما وصلت إليه في الخلافات الفكرية، فالإنسان في الغرب لا يعذب من أجل أفكاره، ولا يقتل من أجل معتقداته تركًا أو اعتقادًا وتحولاً، كما أن الأرض الأوربية أصبحت شئنا أم أبينا ملجأ للفارين السياسيين، الذين يبحثون عن نجاة لجلودهم من محاكم تفتيش القرن العشرين. كذلك حققت الحضارة الصناعية ما هو أهم من إنتاج السيارات والطيارات من نقل السلطة السلمي، وتدخل أوربا الآن تحولاً مذهلاً لم يعرفه الجنس البشري من قبل وهو الاتحاد بغير طريقة نابليون أو هتلر، فحكام أوربا يجتمعون ليتحدوا من دون اجتياح أحد للآخر، ومن دون أن يخسر أحد زعامة أو مالاً أو أرضًا. ولا يعني هذا أن نهاية الرحلة الإنسانية سوف تختم على طريقة فوكوياما بالديموقراطية السياسية والليبرالية الاقتصادية الغربية، فالإنسان الغربي حقق الرفاهية والأمن الاجتماعيين، ولكنه لم ينجح في الطمأنينة الروحية بعد، أما نحن في عالم الأطراف والمحيط فالرحلة طويلة أمامنا لنتعلم ولكننا لن نخرج عن خط التحول التاريخي بحال.

الفرق بين سم ديكارت وسم سقراط

إن قتل المفكرين أو اغتيالهم أو نفيهم أو سجنهم ليس جديداً، فهو طبيعة فكر مهزوم، يقاوم خطر تلاشيه بآليات التصفية والالغاء للفكر الآخر. إن عدم فتح الحوار هو اعتراف مبطن بهزيمة فكرية من أول الطريق.

إن الفرق بين موت ديكارت وسقراط أن الأول جُرِّع السم سراً وغدراً، والثاني جَرَع السم طوعًا ورغبة من دون خوف من الموت، ومن دون محاولة فرار، فالخوف من الموت ليس له مسوِّغ عند سقراط، ولكن الخوف هو من ارتكاب الخطأ، يرى سقراط أن الموت لا يدعو إلى الخوف مطلقًا، فهو إحدى حالتين: إما نوم أبدي من دون أحلام؟ وإما نقلة إلى حياة جديدة، وهي فرحة كبرى بالانتقال إلى حالة تطورية أكثر تقدمية في كل مستوى، ففي كلتا الحالتين لا يوجد مسوِّغ للخوف من الموت(٧) وعندما شهقت زوجته باكية وهو يتجرع قدح السم صرخت ودموعها ملء وجنتيها: «إنك تموت ظلمًا وعدوانًا، وأنت من أنبل الناس، فما هذه الحياة المحكومة بالتناقضات، المشبعة بالظلم، إنهم يقتلونك بغير إدانة واضحة!» قال لها يخفف أحزانها: «أيرضيك أن يحكم علي بالموت مدانًا؟» وإلا فما جدوى أهل الفكر في تمليح الجنس البشري. هناك جدل محير في مصرع أهل الفكر، ولكن يبدو أن هناك آلية مهمة لاستنبات الأفكار، فالنبتة لا تخرج من الأرض من دون دفن الحبة فيها، ونحن نحزن على أصدقائنا بعمق حين نخسرهم بالموت إلى الأبد، والشهداء يبقون أحياء بأفكارهم التي طرحوها، وشهدوا على صدقهم فيها بموتهم من أجلها.

الهوامش والمراجع

١. تم نشر الخبر في مقال مطول في مجلة الشبيجل الألمانية في قسمها الثقافي، وأشارت المجلة المذكورة إلى طبع كتاب في هذا الصدد للدكتور آيكه بيس الذي وضع له عنوانًا «حادثة قتل الفيلسوف ديكارت»، مجلة الشبيجل، العدد٣٢، ١٩٩٦م، ص١٦٠، وعلم الفيلولوجيا هو العلم الذي يعنى بتحقيق اللغة والنصوص اللغوية، وكان ديكارت يعدّ عملهم مضيعة للوقت يومها قبل تطور علم الألسنيات الحديثة وثورته.

٢. قصة الحضارة، ويل ديورانت، الجزء٣٠، ص٣٢١.

٣. يراجع بالتفصيل عن كارثة الحرب هذه كتاب «قصة الحضارة» لويل ديورانت.

٤. كتاب المقال على المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة. ويعد هذا الكتاب من روائع النثر الفرنسي، وقوته هي في بساطته وسحر الأدب الذي يغلف كلماته.

٥. يراجع كتاب «عندما تغير العالم»، تأليف جيمس بيرك، ترجمة: ليلى الجبالي، عالم المعرفة، رقم ١٨٥، ص١٩٦.

٦. المصدر السابق نفسه، ص٢٠١.

٧. الموت في الفكر الغربي، تأليف جاك شورون، ترجمة: كامل يوسف حسين، سلسلة عالم المعرفة، رقم ٧٦، ص٤٨.

مخطوطة قديمة تروي

تاريخ الخيول العربية في بولندا

ترجمة: مؤسسة التراث
الرياض - السعودية

أثار النقع منطلقاً جوادي ... كموج البحر في وقت الهياج
وخاض الأرض منخفضاً وتلاً ... وران القطر في كل الفجاج
كدلفين يشق البحر غوصاً ... فيعلوه البياض من الثجاج
على صلد الحصاة يطير سهماً ... ينير الأفق من غير ارتجاج

مترجمة عن قصيدة للشاعر آدم ميكويتز كتبها في ذكرى الكونت ريزيويسكي

وقفت إيزابيل باوليك - زاوادسكا، وأسندت عصاها التي تنتهي برأس حصان فضي على الطاولة المصنوعة من خشب البلوط، وانحنت لتفتح خريطة أوكرانيا، ثم أردفت قائلة: «أنا سعيدة جداً برحلة الاستكشاف التي سنقوم بها هذا الربيع، فقد خططنا لزيارة مزارع الخيول البولندية القديمة، وستكون الأولى من نوعها، وليس لدينا أدنى معرفة بما سنجده هناك».

إن الشيوعية في بولندا وجارتها أوكرانيا، التي دامت ما يزيد على قرن، جعلت من الصعب البحث في هواية الفروسية عند الطبقة الأرستقراطية المندثرة. وحتى السنة الماضية، لم يكن بإمكان السياح الحصول على تأشيرات دخول إلا للمدن الأوكرانية الرئيسة. «حتى وإن تم تدمير تلك الممتلكات، فعلى الأقل يمكننا استنشاق عبق عشب البوادي الذي رعت به وركضت عليه تلك الخيول العربية».

ربع قرن مع الخيول العربية

سيكون الهواء منعشاً بالفعل لـ «باوليك - زاوادسكا»، فقد كانت الخيول العربية محور عملها ودراستها. فقد كانت



الكونت ريزيويسكي بلباسه العربي

مفتشة حكومية في أنساب الخيول العربية وأعراقها ٢٥ سنة، راقبت خلالها مراحل انتقال تلك السلالة من الظل إلى النور والشهرة العالمية، فهي رئيسة المجمع البولندي العربي لمربي الخيول، وعضو اللجنة التنفيذية للمنظمة العالمية للخيول العربية. ومع أنها متقاعدة الآن، إلا أنها لا تزال تخصص ثلاثة أيام أسبوعيًا للبحوث وتقديم الاستشارات في ميدان سلوزيويك للخيول في وارسو، والذي فتحت في مكتبته الخريطة، وتكلمت على الخيول العربية، ودلت على مدينة ساوران.

أرسل الملك ستيفن باتوري القائم على إسطبلاته بودلودوسكي إلى بلاد الشرق سنة ٩٩٠هـ/١٥٨٢م لجلب بعض الخيول لـ «نيسزينا». وقد عدّت تلك الزيارة الأولى من نوعها تحت الرعاية البولندية. لم يعرف الكثير عن رحلة بودلودوسكي ما عدا نهايتها، فقد افتخر بمشترياته بشكل علني وأحمق في إستنبول، في الوقت الذي بدأت فيه الإمبراطورية العثمانية بزيادة الضغط على الجبهة البولندية، وليس واضحًا ما إذا كان بودلودوسكي قد قتل لأسباب سياسية، أو ببساطة من قبل اللصوص، بالإضافة إلى اختفاء الخيول.

حكم الملوك السويديون بولندا في الفترة ما بين سنة ٩٩٥هـ وسنة ١٠٧٨هـ (١٥٨٧/١٦٦٨م)، وعانت حربًا أهلية متواصلة تقريبًا مع جيوش روسيا والدولة العثمانية وأوكرانيا والقوقاز التتار. وعلى الرغم من غنائم الحرب، إلا أن أعداد الفرسان أُخذت بالتناقص، ثم أبيدوا على بكرة أبيهم خلال الغزو السويدي الفتّاك سنة ١٠٦٥هـ/١٦٥٥م. بدأ بعدها البولنديون التجارة مع اليونانيين والأرمن والأتراك والشرق أوسطيين، وذلك لتعويض مؤنهم المفقودة. وتم توقيع معاهدة سلام كارلويتز سنة ١١١٠هـ/١٦٩٩م التي أنهت قرونًا من العداء بين تركيا وبولندا، ومنذ ذلك الحين أخذت

الخيول العربية بالوصول إلى بولندا عن طريق تجارة آمنة، وانتعشت المدن والأسواق على طول نهر نستر، لتصبح مراكز تجارية للتجار الأجانب، ومنهم من طوّر مزارع للخيول خاصة به.

وقد قادته علاقاته النمساوية إلى تشكيل صداقة مع الدبلوماسي والمستشرق النمساوي المرموق جوزيف فون هامر - بورجستال الذي أصبح فيما بعد المشرف على دراسات الكونت حول الشرق الأوسط في فيينا، وقام الراهب اللبناني أنطون عريضة، المحاضر في الأكاديمية الشرقية في فيينا، بتعليمه اللغة العربية، وقد تعلم الكونت اللغة التركية من رامز باشا وهو أميرال سابق في الحكومة العثمانية. في ذلك الوقت، قام الكونت أيضاً بتمويل صحيفة Mines d'orient وتحريرها، وهي أول مجلة دورية أوربية تُعنى بالدراسات الشرقية، وساهم فيها أيضاً ببعض المقالات.

نتج من عقد من الحروب تلا فترة إشهار نابليون لإمبراطوريته سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م خسائر هائلة للخيول في أوربا الشرقية. وحضر الكونت ريزيويسكي اجتماعات كونغرس فيينا سنة ١٢٢٩ و ١٢٣٠هـ/١٨١٤ و١٨١٥م لمناقشة طرائق سد النقص في خيول الإنتاج مستعينين بخيول الإنتاج العربية، وكان ذلك نقاشاً حيوياً، فقد عُدّ النقص في الخيول آنذاك ضعفاً عسكرياً، كما يعدّ النقص في الغواصات نقطة ضعف في الجيش الحديث. ترك ريزيويسكي فيينا وبذور رحلة الاستكشاف مزروعة فيه.

ريزيويسكي في خدمة الملكة

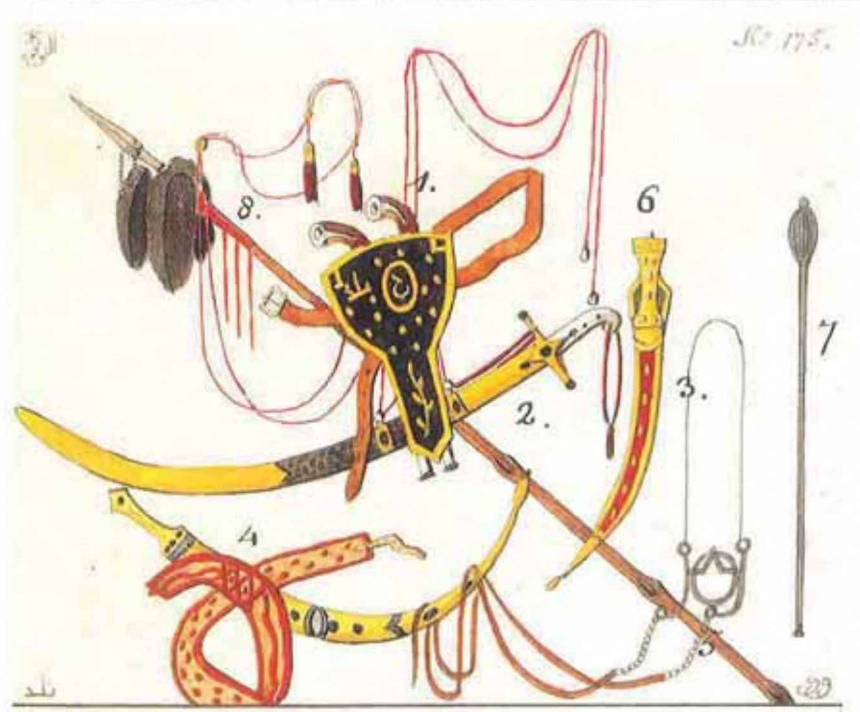
ورث ريزيويسكي ثروة ضخمة عن والده، واجتمع سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٧م بطبيبه الخاص، وخادمه القوزاقي؛ ليعيّنه رسوله الخيّال، وطبيبه البيطري والقائم على الإسطبل والمتصرف العام، وتم تكليف أمر خزينته بمسؤولية الحفاظ على أكياس ذهبه؛ وانطلق فريق العمل إلى دمشق مروراً بإستنبول.

حكم بولندا حينئذ قيصر روسيا، وكانت بولندا تعرف وقتها بمملكة الكونغرس. قابل ريزيويسكي دبلوماسيين من روسيا في إستنبول وسلّموه رسالة تفويض من كاثرين بافلونا، ملكة وورتيمبورغ وشقيقة القيصر الروسي ألكساندر الأول، تطلب فيها من الكونت جلب خيول عربية للإسطبلات الملكية في ويل بالقرب من ستتجارت،



فكتبت: «إنني أعدّها خدمة كبيرة منك أن تشتري لي خيولا عربية، فلديّ رغبة شديدة لاقتنائها، واهتمامي بتلك الخيول كبير، ولديّ في الوقت الحالي حصان جميل، وأنا أسعى جاهدة إلى تطوير تلك السلالة، وسأكون ممتنة إذا استطعت أن تحصل لي على خيول كحيلاء نادرة، وذلك سيشعرني بفرحة عارمة...، أنا في حاجة إلى ثلاثة أحصنة وثلاث مهار من الطراز الأول للإنجاب على أن تكون صافية النسل تماماً».

وفي سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م اتخذ الكونت ريزيويسكي من دمشق مقراً له، وانطلق منها برحلات إلى صحراء سورية، ثم اتجه جنوباً نحو جبل الدروز على طول مجرى وادي السرحان باتجاه الجوف، وهي تقع الآن في شمال المملكة العربية السعودية، وقد صرف كنوزه كلها في



لوحة رسمها الكونت ريزيويسكي توضح بعض أسلحته، كرمحه، وعصاه، وسيف الخيالة البولنديين، ومسدساته، بالإضافة إلى سيف عربي وخنجر، كل منها مرقم، بالإضافة إلى رموز تعريفية لسهولة استخدامها في موضع آخر من المخطوطة

صورة تبين الكونت عائداً من جبل «شمَّر»، يطارد البدو الذين حاولوا القبض عليه لولا مهرته الشهيرة «نجديةَ»، وتعليقه على الرسم يتضمن اسم عشيرة من كان يلاحقه بعد أن قام بتصحيحه



خلفية الصفحة التي تحمل عنوان «عمل ريزيويسكي»

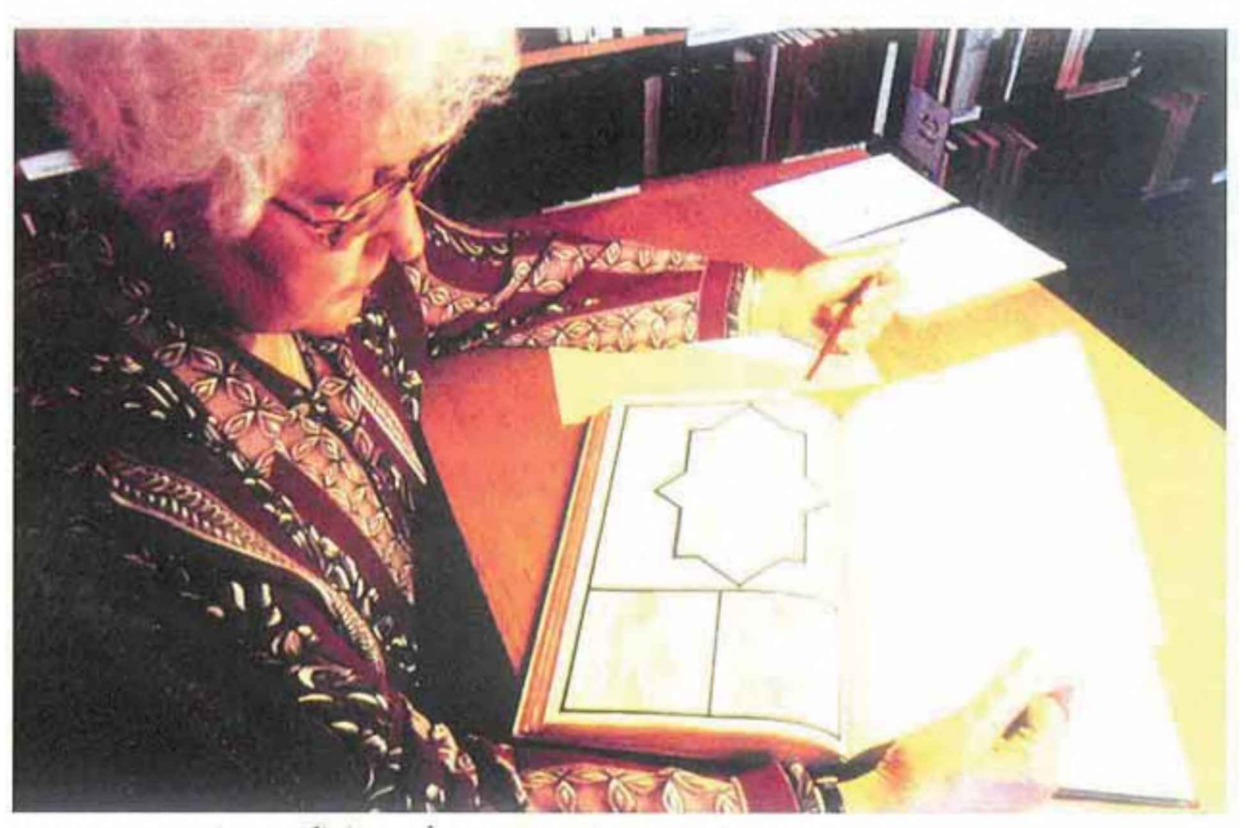
خمسة أشهر، ثم عاد إلى إستنبول محملا بأكثر مما طلبت الملكة منه: ثمانية أحصنة إنتاج مختارة بدقة بالإضافة إلى اثنتي عشرة مهرة، ثم حصل على المزيد من النقود بعد الاقتراض من البنك، ليعود إلى دمشق في السنة التالية.

الكونت في عمق الجزيرة العربية

وخلال السنتين التاليتين، سافر الكونت كثيراً إلى عمق الجزيرة العربية، بالإضافة إلى رحلة على طول طريق الحج باتجاه مكة المكرمة، وقد أكسبته مهاراته في ركوب الخيل سمعة حسنة ضمن القبائل البدوية، أسموه «أمير تاج الفخر عبد النيشاني»، ويدل القسم الأول من هذا الاسم على اسمه البولندي الأول (واكلو).

جمع الكونت خلال هذه السنين واحداً وثمانين حصاناً وثلاثاً وثلاثين مهرة من أنقى سلالات الخيل في صحراء نجد، وبازدياد خيوله، أصبح غير قادر على تحمل مصاريف رعايتها، فقد تجاوز عدد من يعمل لديه مئة رجل.

وكان بإمكان ريزيويسكي أن يبقى في الجزيرة العربية مدة أطول لولا ثورة حلب في المحرم سنة ١٢٣٥هـ أكتوبر/تشرين الأول ١٨١٩م، وكان قائد المعارضة ضد العثمانيين صديقاً له، فأصبح الكونت في ورطة مجهولة العواقب. وبعيد قمع الثورة، غادر ريزيويسكي باتجاه إستنبول على الفور ليجد أن معاملة دائنيه له قد تغيرت نحو الأسوأ. وبما أن التمويل قد توقف من أملاكه، على الرغم من كونه سفيراً لروسيا، إلا أن جميع خيوله قد صودرت، وأرسلت إلى باريس للبيع، وعاد ريزيويسكي وحاشيته إلى ساوران محبطين، فقام ببيع بعض الأراضي بسرعة، وأمّن ضمانات لقرضه، ولكن ما لبث أن أعيدت خيوله إليه في ساوران بعد سنة من حجزها ليزرعوا الفرحة في كل مكان، فلبس ريزيويسكي الثوب البدوي، وامتطى «مفتضره» وهو الحصان العربي الوحيد الذي بقي معه في رحلة عودته.



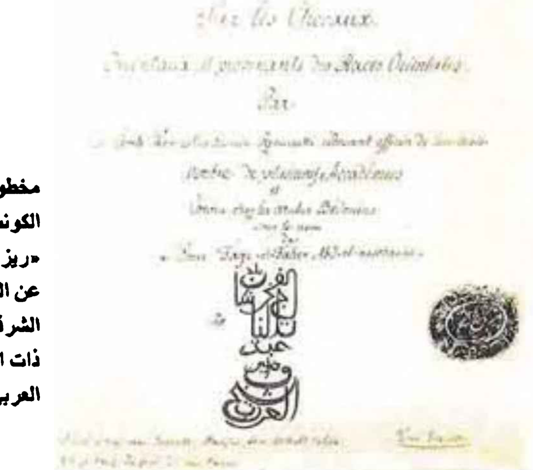
إيزابيل باوليك زاوادسكا تتفحص مجلداً من مخطوطة الكونت «واكلو سيويرن ريزيويسكي» البالغة ٨٠٠ صفحة، والتي صور وسجل فيها وصفاً دقيقاً للخيول، وعلاماتها وسلالاتها، والتقنيات العربية في تدريب الخيول وأسس تناسلها، بالإضافة إلى تفاصيل عن الفحول ووصف لحياة الصحراء والمناظر الطبيعية

حياة عربية

ومضى عقد من الزمن، نادراً ما غادر فيه ريزيويسكي أملاكه وخيوله في ساوران. فبنى إسطبلات بطراز عربي، ولبس وعاش كعربي، أما خدمه فلبسوا كالبدو. لم يعش ريزيويسكي في إسطبلاته، بل عاش في خيم مبعثرة على أراضيه، وقام بتشكيل وحدة خيالة قوية من القوزاق المحليين، ودربهم على استخدام أساليب الفروسية العربية. ولم يدل ذلك على حب شائع أو غريب للشرق، فقد انغمس في سجلاته وذكرياته ومغامراته، وأصبح جزءاً منه.

ويشير الكاتب البولندي لوسجان سيمينسكي (١٢٢٢ - ١٢٩٤هـ/١٨٠٧ - ١٨٧٧م) إلى الكونت صاحب اللحية الشقراء الذي عرف في مقتبل عمره بالأمير قائلا: «كانت عودته مميزة ملابس عربية فاخرة، وأسلوب حياة كأمير





مخطوطة الكونت «ريزيويسكي» عن الخيول الشرقية ذات الأصل العربي

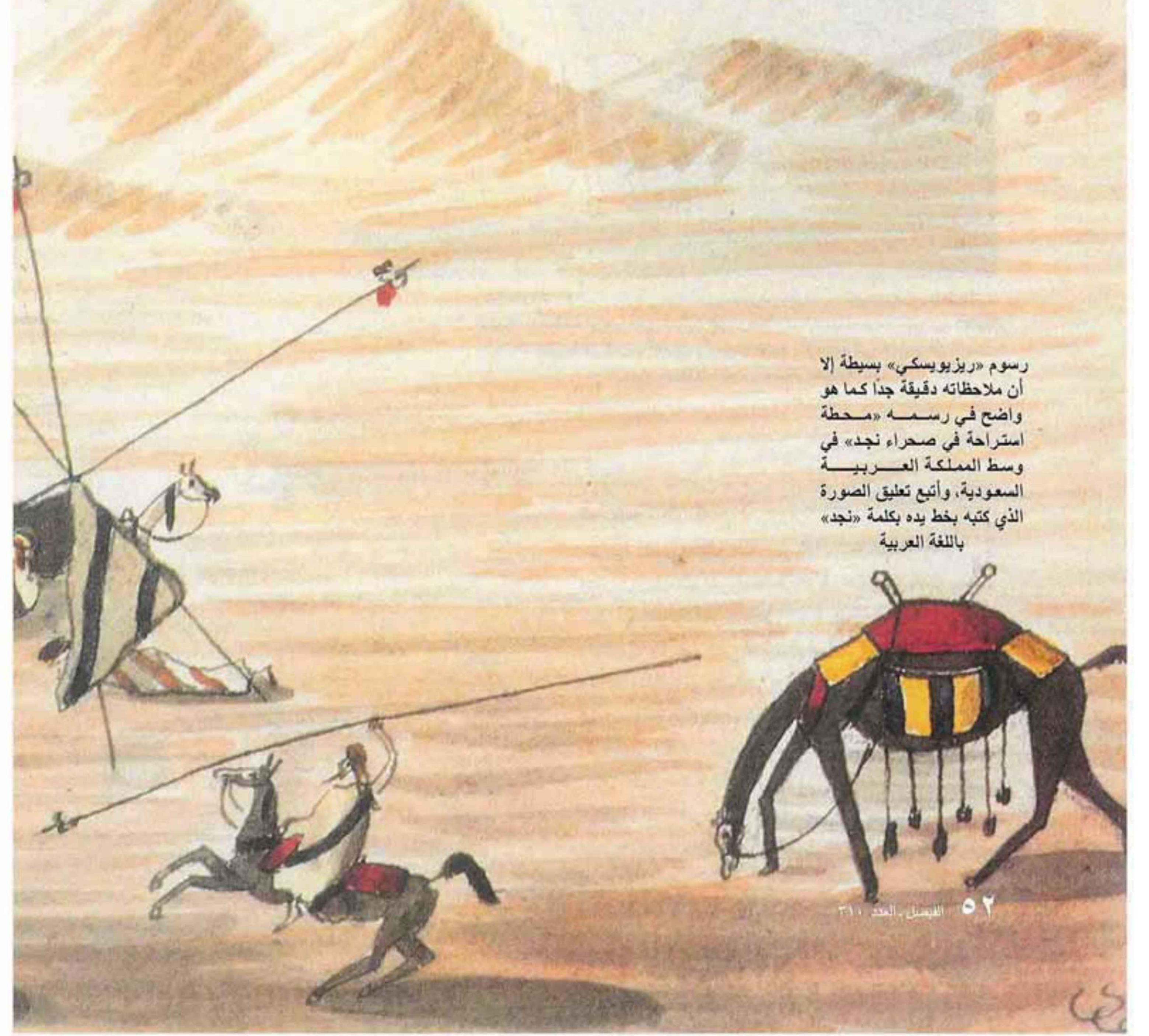
عربي، تختلف كل الاختلاف عن الأسياد البولنديين بخيولهم الرائعة السهلة المراس، كل ذلك جعل ريزيويسكي مشهوراً في مقاطعته.

عاش بعدها وحيداً في إسطبلاته، فاستقبل الزوار، وكتب القصص وقصائد الشعر ومذكرات رحلاته، واتخذ من جلد الحصان سريراً له، ومن السرج وسادته، ومن الدثار غطاء له، وأطلق عنان مخيلته في صنع سروج لخيوله لا تقدر بثمن، وعتاد لعماله القوزاق الأوفياء».

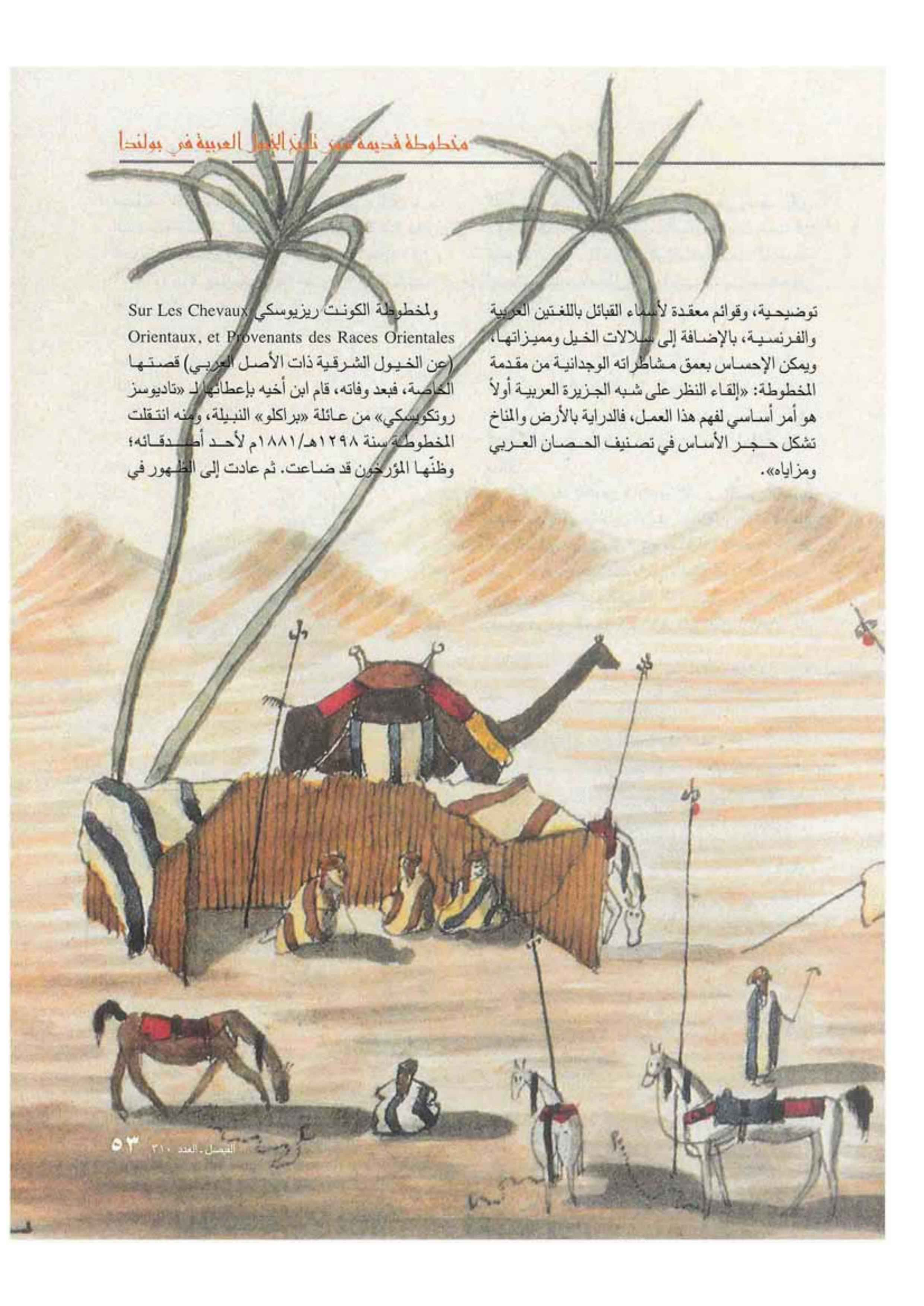
اتبع ريزيويسكي أسس زيادة النسل البدوية الصارمة بحذافيرها، فكانت خيوله العربية صغيرة الحجم، وخفيفة الحركة، وذات نوعية ممتازة، ونادراً ما باع أيًا منها. وامتلك سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م ثمانين مهرة عربية أصيلة كانت على الأرجح الأنقى نسبًا في أوربا.

مخطوطة لها قصة

أمضى الكونت وقته مع خيوله، أو في كتابة مخطوطته «عن الخيول الشرقية ذات الأصل العربي» ذات الثمانمئة صفحة، والتي جاءت بأسلوب منمق، وأرفق معها رسوماً



رسوم «ريزيويسكي» بسيطة إلا أن ملاحظاته دقيقة جداً كما هو واضح في رسمه «محطة استراحة في صحراء نجد» في وسط المملكة العربية السعودية، وأتبع تعليق الصورة الذي كتبه بخط يده بكلمة «نجد» باللغة العربية



توضيحية، وقوائم معقدة لأسماء القبائل باللغتين العربية والفرنسية، بالإضافة إلى سلالات الخيل ومميزاتها، ويمكن الإحساس بعمق مشاطراته الوجدانية من مقدمة المخطوطة: «إلقاء النظر على شبه الجزيرة العربية أولاً هو أمر أساسي لفهم هذا العمل، فالدراية بالأرض والمناخ تشكل حجر الأساس في تصنيف الحصان العربي ومزاياه».

ولمخطوطة الكونت ريزيوسكي Sur Les Chevaux Orientaux, et Provenants des Races Orientales (عن الخيول الشرقية ذات الأصل العربي) قصتها الخاصة، فبعد وفاته، قام ابن أخيه بإعطائها لـ «تاديوسز روتكويسكي» من عائلة «براكلو» النبيلة، ومنه انتقلت المخطوطة سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨١م لأحد أصدقائه؛ وظنّها المؤرخون قد ضاعت. ثم عادت إلى الظهور في

أسـلاف الكونت واسـمــه «آدم رزويسكي» الذي أخـذ المخطوطة معـه إلى فيينا حين هروبه من أوكرانـيا خلال الحرب الأهلية الروسيـة ١٣٣٦ ـ ١٣٣٩هـ/١٩١٨ ـ ١٩٢١م، وباعـهـا سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م للمكتـبـة الوطنيـة الحـديثـة، ولا تزال المخطوطـة ذات المجلدات الجلدية الثلاثة هناك حـتى وقـتنا الحـالي، ولـم يكشف النقـاب عـن أي شيء آخـر تركـه الكونت سـوى هذه المخطوطة.

ومع أنه كان مفرطًا في الرومـانسية في داخله، إلا أنه

التوسع الكبير للإقليمين البولندي والعثماني

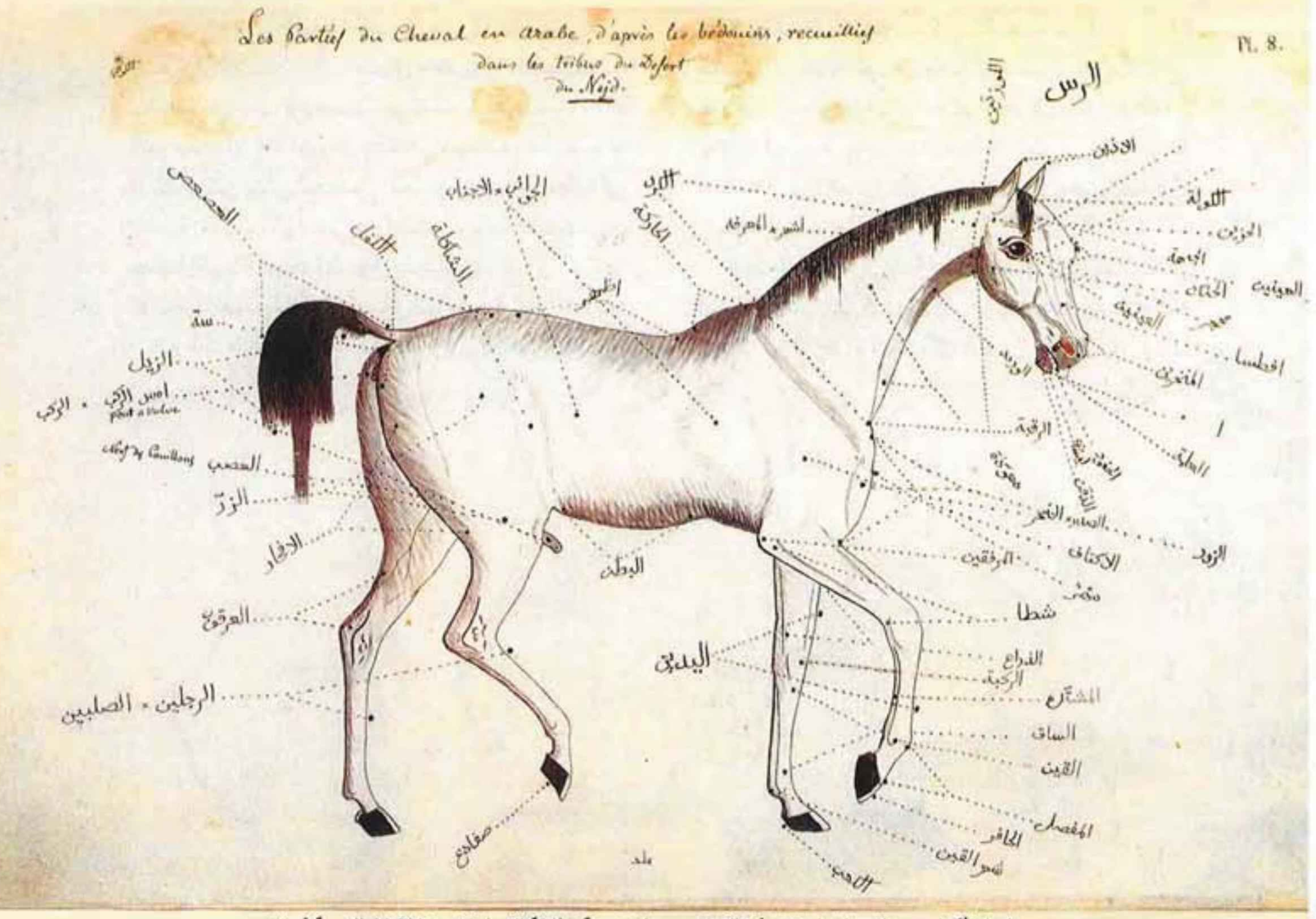
كان باحـثًا جادًا. وتحـتوي مخطوطتـه على وصف دقيق لأفـضل الخيـول العـربية، ومقاسـاتهـا، ومعلومـات عن أصـولهـا وعن عـلامـاتهـا وألوانهـا. وتـصف المخطوطة أيضًا مـشـاهد لأفضل أنواع الخـيـول، بـالإضـافـة إلى وصف لأساليب ترويض الخيول العربية والتعامل معها، وتناسلها.

وكـانت للكونت اهتـمامـات بالعـرب أيضًـا فقد كـان معـجبًا بهم، فـاهتم بتفاصـيل المجمـوعات القبليـة، وكتب قـوائـم أسـمـاء وعـبـارات بخط عـربي مـرتـب، وكـان استعماله لحروف لغة في التعبير عن مفردات لغة أخرى ممتازًا.

اندلعت بعد ذلك ثورة نوفمبر/تشرين الثاني الشعبية ضـد السـادة البـولنديين الروس المطلقين ـ الـثـانيـة من أصل عـدة ثورات، لتـتـوج سـنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م بثـورة عـارمـة امـتـدت باتجـاه أوكـرانيـا، قـاد فـيـهـا ريزيويسكي كـتـيبـة الخـيـالة المتـمـردين، وفي معـركـة داسزو في ذي الحجة ١٢٤٦هـ مايو/أيار ١٨٣١م عاد



رسم لـ «جوليوس كوزاك» موجود في متحف المقاطعة بمدينة «تارنو» يوضح الكونت «جوليوس زيدوسزكي» راكبًا حصانه «أزيت»



رسم مفصل لأقسام جسم الحصان، استخدم فيه الكونت مسميات عربية مطابقة للتي استخدمتها القبائل البدوية في نجد

حصانه الأبيض المفضل مختار ـ تاب من الخطوط البولندية مضرجًا بالدم وبلا سرج أو لجام، ولم ير أحد الأمير منذ ذلك الحين، ليغلف تفاصيل وفاته بالغموض.

استطاع الروس إخماد الثورة ضدهم، وصادروا أملاك ريزيويسكي وانتقل حصان الإنتاج من يد إلى أخرى حتى اختفى أثره تمامًا، مما شكل أكبر فاجعة على الإطلاق في تاريخ سلالة الخيول العربية البولندية.

هوّن الشعراء الرومانسيون الفاجعة بأسطورتهم التي تقول: إن الأمير قد نجا من المعركة، وإنه عاد في الليلة نفسها إلى أملاكه وأطلق خيوله بهدوء لترعى في بوادي القوقاز موطنها الأصلي. وتناقل بعض المسافرين والتجار في السنوات التالية أخبارًا بأنهم قد رأوا الأمير ذا اللحية الشقراء.

حكاية تتجدد

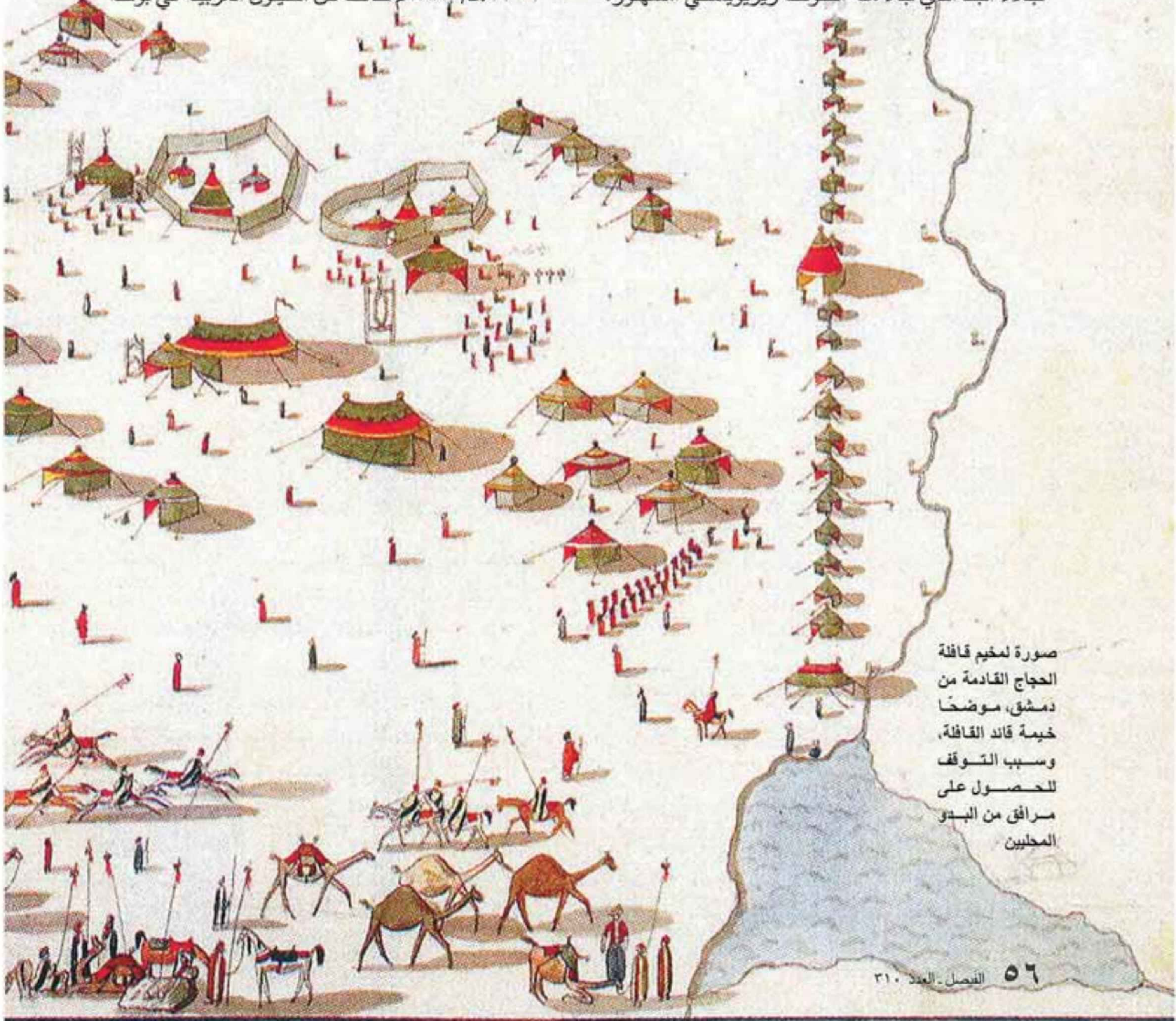
لم يمت التاريخ العربي البولندي أيضًا، ففي سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م قام نبيل آخر، وهو الكونت جوليوس زيدوسزكي مستلهمًا قصائد الكونت ريزيويسكي وتقاريره، بتنظيم حملة أخرى مدروسة، جامعًا بضعة آلاف من العملة الذهبية في خروجه.

كان والد الكونت زيدوسزكي أحد الذين حصلوا على خيول عربية من ريزيويسكي وسانجوسكوس، وقام الكونت الشاب بعملية شراء موفقة لجواد عربي رائع

اسمه بغداد، مما ألهم أحاسيسه، وإذا هو يمشي على خطا أبيه ليصبح مربي خيول مشهورًا. أخذ الكونت بالبحث عن بديل بمواصفات حصانه بغدًاد نفسها؛ وذلك لكبر سنه، إلا أنه لم يوفق بذلك في منطقته، فقام بتحديد المناطق التي يمكن الحصول فيها على خيول عربية في الشرق الأوسط، وأبحر من إيطاليا باتجاه الإسكندرية، ومنها إلى القاهرة، فشرّق باتجاه بلاد شرق البحر الأبيض المتوسط حاملا رسائل تعريف به على أنه أحد نبلاء البلد الذي جاء منه الكونت ريزيويسكي المشهور.

وكأسلافه، قام زيدوسزكي بالبحث عن أجود أنواع الخيول وأنقاها أصلاً. ومع أن سجلات رحلته قد ضاعت، فمن الواضح أنه قد عاد إلى مزرعته في جاركزاوس بعد غياب دام سنة أو اثنتين، ومعه سبعة أحصنة، والأهم من ذلك ثلاث مهار وهي الغزالة، والمليحة، والصحارى.

كتبت إيريكا شيلا قائلة: «كانت تلك المهار الثلاث من أغلى المهار التي قدمت إلى بولندا وعند وفاته سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م كانت كل الخيول العربية في بولندا



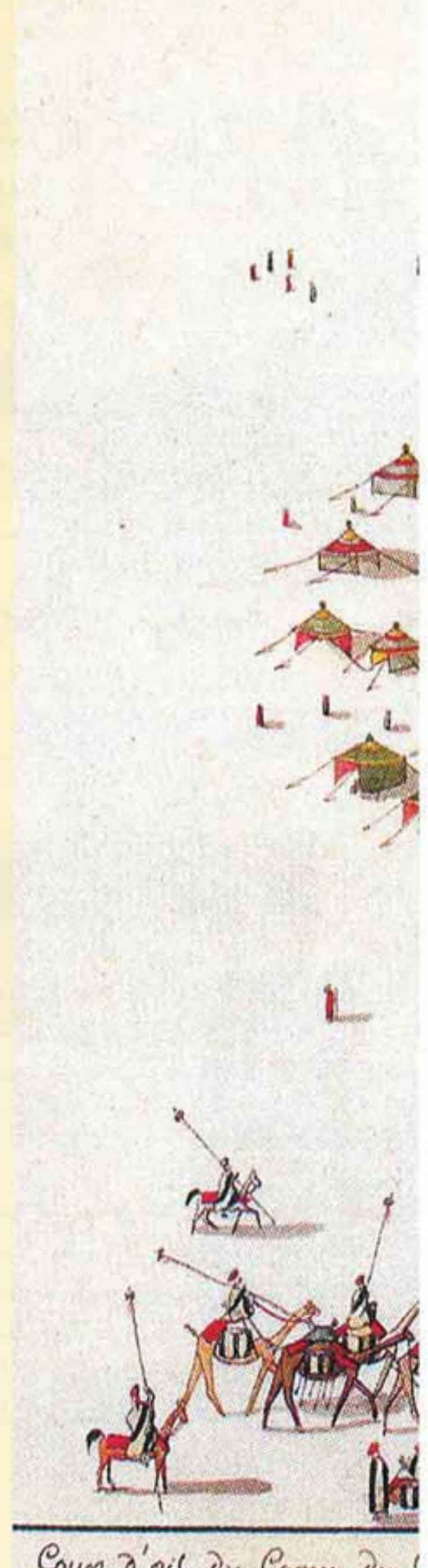
صورة لمخيم قافلة الحجاج القادمة من دمشق، موضحًا خيمة قائد القافلة، وسبب التوقف للحصول على مرافق من البدو المحليين



رسم لدابة محملة بريش النعام، وموضح مصدر ذلك الريش



مشهد لقافلة ولفريق من الحمالين، وقد أورد أسم الحمولة

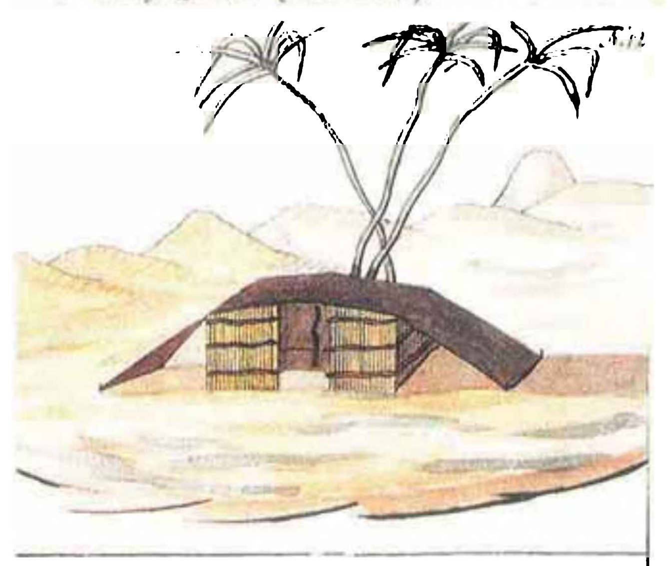


تعدّ رسومات ريزيويسكي سجلات توثيقية قيمة للزمان والمكان، غير متجاهلة مكانته الرفيعة بين مربّي الخيول العرب، ويظهر في الأعلى رسم لجمله الأسود معقول ومسروج وكأنه بعير أمير أو شيخ؛ ورسم لعائلة بدوية، وبدوي يقوم بنوبة حراسة بين الصخور في أثناء نوم رفيقه، وصورة شخصية تبدو عليها تفاصيل التطريز على ثوبه، ونسخة من ختمه العربي الشخصي، ورسم توضيحي لخيمة أتراك في سهل «إنتياش» مع ذكر لاسم القبيلة ورئيسها آنذاك

منحدرة من فرس مزرعة جاركزاوس، ونجا عدد قليل من سلالة خيول زيدوسزكي في الحربين العالميتين، وهناك الآن تسع وسبعون مهرة إنتاج أصيلة من تلك السلالة الثلاثية في نسل الخيول العربية البولندية، وهن سليلات واحدة من أصل ثلاث مهار إنتاج عربية بولندية فقط نجون حتى يومنا هذا. وياللعجب فعلى الرغم من إخفاق سلالته، إلا أن ذكرى ريزيويسكي لا تزال حية، بعكس ذكرى زيدوسزكي التي طواها الزمن مع أن سلالة الخيول التي جلبها تشكل الأساس في عرق الخيول العربية البولندية في وقتنا الحاضر».

يقول بيتر أوبتون: «يعدّ البولنديون من أهم الركائز المستقبلية لاستمرارية الخيول العربية الأصيلة، وذلك بعد العرب طبعاً».

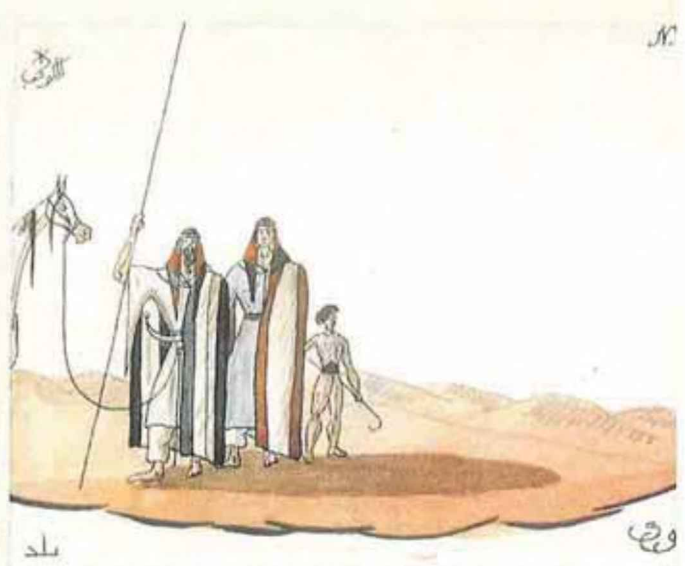
ستذهب إيزابيل باوليك - زاوادسكا مع وفد من المجمع البولندي العربي للخيول هذا الربيع في رحلة للبحث عن



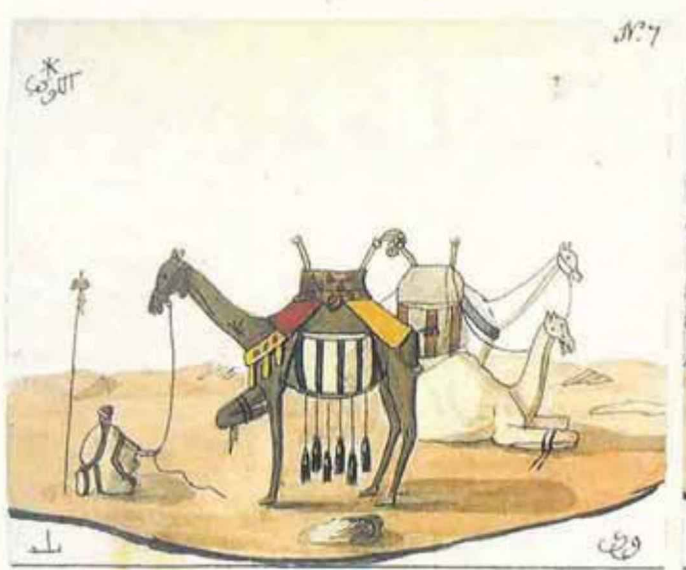


مبنى «إسطبل الساعة» في مزرعة «جانو بودلاسكي» لخيول الإنتاج التي تم تأسيسها سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٧م، وتعدّ الآن من أفضل المزارع في بولندا

الذكريات البولندية العربية، وبعد أن يجتازوا الحدود الأوكرانية وصولا إلى نهر نستر، سيقومون أولا بالبحث عن مزرعة جاركزاوس التي اختفت كمثيلاتها في ساوران ومناطق أخرى، وتقول إيزابيل: «من الممكن أن بعض هذه المزارع قد تم تحويلها إلى مدارس أو مستشفيات،



Bedouin avec sa femme et son fils.



Ma Dromadaire Noire جَخيرو entravée, et sellée à l'usage des Emirs et Scheiks.
la manière de nouer l'entrave se nomme عقال - لنا



Grand Cachet de Tag-el-Taher Abd-el-Nichaane Emir et Scheik des Arabes Bedouins Anazéhs, du Desert.



Tag-el-Taher Abd-el-Nichaane Emir et Seich des Arabes Anazéhs dans le Desert du Nejd نجد

لكننا سنتابع باحثين عن أطلال وعن أناس مسنين ممن لديهم معلومات عن تلك الفترة من الزمن، وأي اكتشاف مهما صغر حجمه هو بمنزلة إنجاز كبير لنا».

ومن هناك سيكملون طريقهم شرقًا باتجاه ساوران، وسيكون من غير الجائز أن يراقبوا الطريق في أثناء سفرهم دون أن يتخيلوا الكونت ريزيويسكي ذا اللحية الشقراء ممتطيًا أحد خيوله النجدية الكحيلاء، وتقول إيزابيل: «لقد حان الوقت لنفكر بالطريقة التي انغمس فيها تاريخ مثل تلك الخيول العربية العريقة في غياهب التاريخ الأوربي».

الهوامش

* هذه المقالة منشورة في مجلة Saudi Aramco World في عدد نوفمبر/ديسمبر ٢٠٠١م، وتمت ترجمتها بإذن خاص عن طريق مؤسسة التراث.

المسلات المصرية في الخارج بين السرقة والإهداء

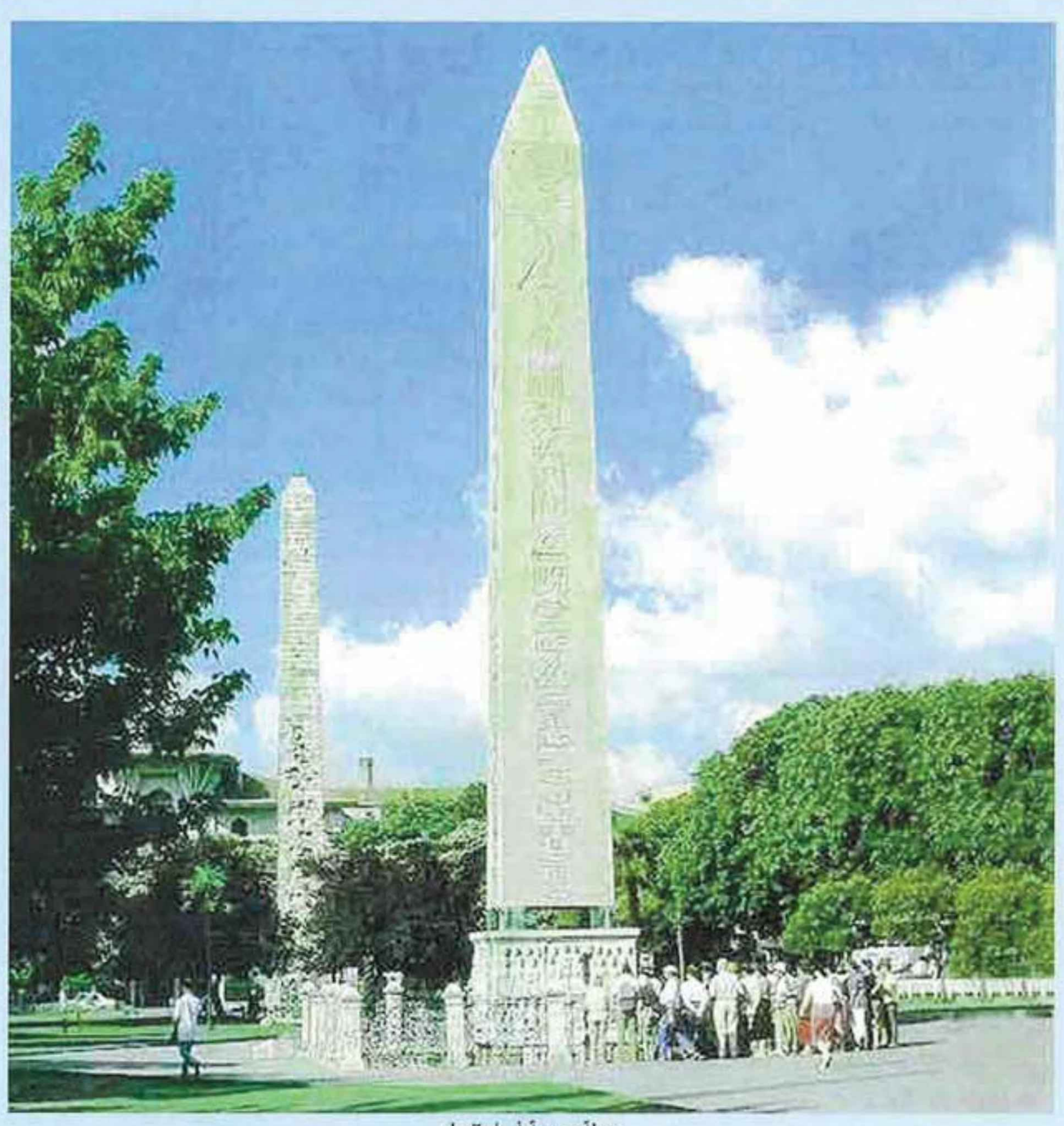
خالد خلف زيدان
المنيا - مصر

منذ آلاف السنين أقام فراعنة مصر عشرات المسلات تقربًا لآلهتهم، وتخليدًا لانتصاراتهم. لكن معظمها اختفى من أرض مصر لينهض في أفخم ميادين العالم المتحضر. وما بين رحيلها بالسطو أو السرقة قديمًا وبين رحيلها بالإهداء حديثًا نتتبع تاريخ خروجها، ونرصد كيفية نقلها وأماكن قيامها الآن.

شموع الشمس المتحجرة

منذ بواكير العصور الفرعونية شهدت مدينة أون - المطرية بشرق القاهرة حاليًا - ميلاد أعمق العبادات أثرًا في نفوس المصريين القدماء وأنضجها، ألا وهي ديانة الشمس التي استمدت شعائرها من قصة خلق الكون الأسطورية التي جاء فيها: «إن العالم في بداية تكوينه كانت تغمره مياه المحيط اللانهائي، فلما انحسرت المياه، كان أوّل ما ظهر من الأرض تلّ اعتلاه رع آتوم إله الشمس الذي خلق نفسه من نون المحيط الأزلي» وقد استلهمت من هذا التل الأزلي فكرة الحجر الهرمي «بن بن» ذي الأضلاع الأربعة التي تمثل أركان الدنيا الأربعة، والقمة المدببة التي تمثل إصبع العقيدة الذي يشير إلى عرش الإله في السماء. وتبعًا لذلك عُدّ «بن بن» رمزًا لإله الشمس وأضحى أعظم الأشياء تقديسًا في معابد أون.

ولما بدأ شأن رع يرتفع سياسيًا، وصار الإله الرسمي للدولة في عصر الأسرة الخامسة (٢٤٩٤ - ١٣٤٥ ق.م) تلاشى «بن بن» وحلت محله المسلة «تخن» التي أخذت تسمو عاليًا، وتجتاز الفضاء بجمال نسبها، ورشاقة شكلها، وطولها الفارع. وقد كانت المسلة حتى الأسرة السادسة (٢٣٤٥ - ٢١٨١ق.م) تبنى من أحجار تميل إلى الداخل حتى تنتهي بقمة هرمية صغيرة، وكانت تنهض في مؤخرة المعبد ومن أمامه مائدة متسعة من المرمر تقدم



مسلة مصرية في إستنبول

عليها القرابين التي يحرق جزء منها ليتصاعد عبيره إلى إله الشمس من عليائه.

ومنذ الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٨٦ ق.م) أخذت المسلات تجلب كل منها من كتلة حجرية واحدة من مقالع الجرانيت المنتشرة بشرق أسوان في أقصى جنوب البلاد. وشرع الملوك يقيمونها أزواجاً عند بوابات المعابد تعبيراً عن شكرهم لنعم إله الشمس عليهم، وذلك إبان احتفالاتهم بعيد سد (الثلاثيني) وهو الاحتفال المهيب الذي كان يقيمه الفرعون بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على جلوسه على العرش ليعيد لنفسه الشباب والحيوية. وما زالت إحدى المسلتين اللتين أقامهما سنوسرت الأول (١٩٧١ - ١٩٢٨ق.م) أمام معبد الشمس في أون قائمة

في مكانها حتى اليوم على الرغم من ضياع أغلب معالم المعبد.

وبداية من ظهور طيبة - الأقصر حالياً - وبلوغ إلهها المحلي «آمون» القمة بعد إدماجه مع «رع» في أيام الأسرة الثامنة عشرة (١٥٧٠ - ١٣٢٠ق.م) اهتم الملوك بإقامة المسلات أمام صروح معبد الكرنك تشريفاً لآمون رع، وتسجيلاً لذكرى احتفالاتهم المتكررة بعيد سد. وقد كان بالكرنك في وقت ما إحدى عشرة مسلة، أقام منها تحتمس الأول (١٥٢٥ - ١٥١٢ق.م) مسلتين أمام الصرح الثالث، وأقامت ابنته حتشبسوت (١٥٠٣ - ١٤٨٢ق.م) أربع مسلات بين الصرحين الرابع والخامس. وأقام حفيده تحتمس الثالث (١٥٠٤ - ١٤٥٠ق.م) الخمس الأخرى، فقد أقام اثنتين أمام مسلتي جده، وأقام مثلهما أمام الصرح السابع، بينما تركت الخامسة لموته حتى أقامها حفيده تحتمس الرابع (١٤٢٥ - ١٤١٧ق.م) أمام الصرح الثامن، وعلى الرغم من ذلك لم يكتف تحتمس الثالث بما أقامه من مسلات في الكرنك، إذ أقام مسلتين أخريين عند إحدى بوابات معبد الشمس في أون، والطريف أنه لم يبق من مسلاته في مصر مسلة واحدة.

مسلة حتشبسوت بالكرنك

وفي عصر الأسرة التاسعة عشرة (١٣٢٠ - ١٢٠٠ق.م) أقام سيتي الأول (١٣١٨ - ١٣٠٤ق.م) وابنه رمسيس الثاني (١٣٠٤ - ١٢٣٧ق.م) الكثير من المسلات في أنحاء مصر المختلفة. فأقام سيتي الأول مسلتين صغيرتين أمام المدخل الغربي لمعبد الكرنك، كما أقام خمس مسلات أخرى في معبدي أون وتانيس بشرق الدلتا، بينما أقام رمسيس الثاني مسلتين أمام معبد الأقصر، ومثلهما أمام معبد أون، هذا بخلاف أكثر من عشرين مسلة أقامها بمعبد تانيس.

ويعدّ بسماتيك الثاني (٥٩٥ - ٥٨٩ق.م) ثالث ملوك الأسرة السادسة والعشرين (٦٦٤ - ٥٢٥ق.م) آخر من شيّد المسلات من فراعنة مصر. فقد أقام مسلة عظيمة في سايس وأقام أخرى متواضعة في أون.

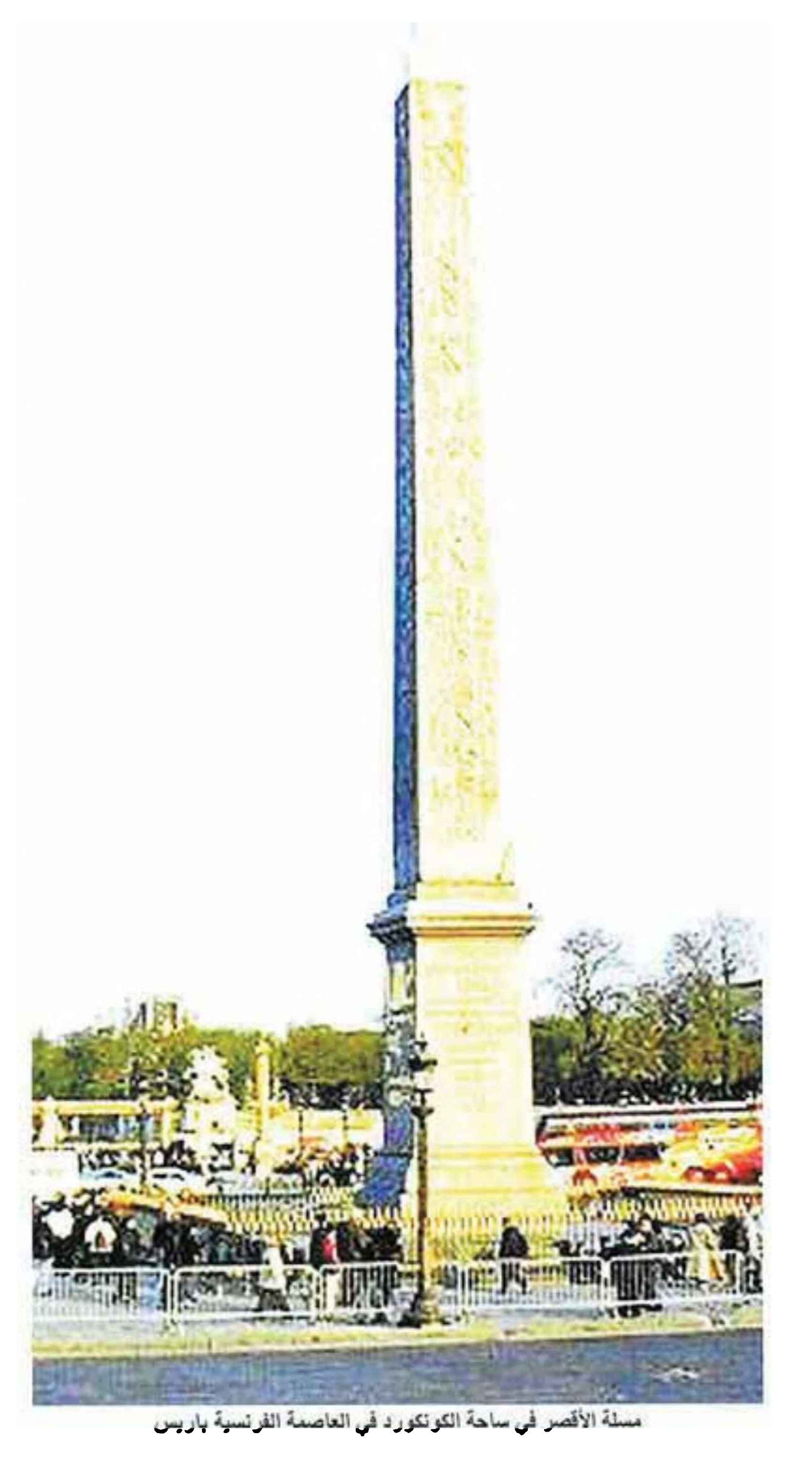
وقد استهوت فكرة إقامة المسلات عدداً من الشعوب التي اتصلت بمصر قديماً، فأقاموا في أقطارهم أمثلة مصغرة منها، فعندما توثقت الصلات بين مصر وبلاد الرافدين في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، شيّد ملوك بابل عدداً من المسلات لعل من أشهرها تلك التي شيّدها حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ق.م) وعلى الرغم من أنها أصغر من المسلات المصرية بكثير إذ لا يتجاوز ارتفاعها المترين وربع المتر إلا أن أهميتها تكمن في المادة التي دونت عليها باللغة الأكادية، والتي اشتملت على أقدم القوانين المعروفة في العالم. وكانت هذه المسلة قد سرقت على يد ملك عيلام في إيران القديمة، ونُقلت إلى هناك. وقد عثر عليها في العصر الحديث فأخذت إلى باريس.

أباطرة يسرقون

بدأت هجرة المسلات الفرعونية إلى خارج موطنها الأصلي منذ القرن السابع قبل الميلاد، وذلك عندما قام آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٤ق.م) بعد

احتلاله أرض مصر بالسطو على مسلتين من المسلات التي كان يحتضنها معبد الشمس في أون، ونقلهما إلى عاصمته آشور حيث أقامهما في الميدان الكبير المواجه لقصره الفخم الذي كان يتوسط عاصمة ملكه. وتنسب إحدى هاتين المسلتين إلى سيتي الأول، بينما تنسب الأخرى إلى ابنه رمسيس الثاني، وكان يبلغ ارتفاع كل منهما خمسة عشر متراً، وكانت ألواح من البرونز البراق تكسو قمتيهما.

وخلال القرون الميلادية الأولى شاقت المسلات أباطرة الرومان، وسُحر بها قياصرة بيزنطة، فسرقوا عند احتلالهم مصر نحو ثلاث عشرة مسلة وأخذوها إلى روما عاصمة ملكهم، كما نقلوا مسلتين أخريين إلى القسطنطينية، فبعد أن هزم أوكتافيوس (أغسطس) الأسطول المصري بقيادة ماركو أنطونيو، واحتل الإسكندرية سنة ٣٠ق.م، ومن ثم انتقلت مصر إلى تبعية الإمبراطورية الرومانية التي أعلنها تحت قيادته، شملت الأسلاب التي عاد بها من مصر أربع مسلات نقلت إلى روما على مدى ثلاث عشرة سنة (٢ ـ ١٤م). وقد نقلت أولى هذه المسلات من معبد الشمس بأون إلى زخرفة الملعب الرياضي الكبير المعروف باسم «شيركوماسيمو» وظلت مهملة عدة قرون حتى أعاد البابا سكستوس الخامس (١٥٨٥ ـ ١٥٩٠م) إقامتها في موقعها الحالي وسط ميدان الشعب. وهي المسلة الوحيدة الآن التي توجد وسط تفرع عدة شوارع، بحيث ترى عن بعد من أي منها، ويبلغ ارتفاعها ٢٣.٢٠ متراً ووزنها ٢٣٥ طناً. ويرجع المؤرخون أنها تعود إلى عصر سيتي الأول



مسلة الأقصر في ساحة الكونكورد في العاصمة الفرنسية باريس

الذي أتم قطعها عام ١٣٠٤ق.م ومات قبل أن ينقشها، فأكمل ابنه رمسيس الثاني نقشها.

وترجع المسلة الثانية إلى عصر بسماتيك الثاني، وقد نقلها أوكتافيوس من سايس ثم أقامها بميدان سان لورنزو على قاعدة من الرخام يعلوها لوح مربع من النحاس لتصبح ساعة شمسية لمدينة روما. ولكنها سقطت وأهملت حتى أعاد البابا بيوس السادس (١٧٧٢ - ١٧٩٩م) إقامتها عام ١٧٨٩م في مكانها الحالي بميدان «مونت شيتريو» أمام مبنى البرلمان الإيطالي. ويصل ارتفاعها إلى ٢١.٧٩ متراً ووزنها ٢٠١ طن.

أما المسلتان الأخريان فقد أحضرهما أوكتافيوس ليقيمهما على جانبي مدخل ضريحه، وقد عثر على الأولى مكسورة قطعتين في عصر سكستوس الخامس فأقامها أمام مدخل قصره في ميدان «سانتا ماريا ماجوري» خلف كنيسة القديسة مريم الكبرى عام ١٥٨٥م، ويبلغ ارتفاعها ١٤.٨٠ متراً، وعثر على الثانية في عصر البابا بيوس السادس الذي أقامها أمام القصر الجمهوري في ميدان «كويرينالي» بين تمثالين لمخلوقين أسطوريين كان قد وضعهما بالميدان قبل عدة قرون البابا سكستوس الخامس. ويبلغ ارتفاعها ١٤.٦٤ متراً.

ولما آلت مقاليد الإمبراطورية إلى تيبريوس في سنة ١٤م فكر في نقل مسلتين لينصبهما على جانبي مدخل قصره في عام ٣٤م، لكن القدر لم يمهله إلا لنقل إحداهما فقط كان رمسيس الثاني قد أقامها في تانيس. وقد عثر عليها البابا كليمنت الحادي عشر (١٧٠٠ - ١٧٢١م) في عام ١٧١١م فأمر باستخدامها لزخرفة نافورة صغيرة كان قد تم إنشاؤها قبل قليل بميدان «ديلاريتوندا» خلف البانثيون فأقيمت بين تمثالي وحشين



مسلة في ميدان الشعب بروما



مسلة في وسط ساحة القديس بطرس في روما

بحريين يزينان النافورة. ويبلغ ارتفاع المسلة ٦.٤٣ أمتار.

وبعد سنتين من تولي كاليجولا حكم الإمبراطورية نقل إحدى المسلات التي كانت مقامة بمعبد الشمس بأون لزخرفة ملعب نيرون الرياضي بالفاتيكان المعروف باسم «شيركو نيروني»، ولكنها أقيمت في المكان الذي أنذر فيه يوليوس قيصر مرتين بأنه سيقتل في ١٥ مارس عام ٤٤م، وقيل: إن القديس بطرس الرسول صلب بجوارها وتوجد الآن أمام ذلك الموقع لوحة من الرخام تشير إلى مكان المسلة الأصلي.

وفي عام ١٥٨٦م أمر البابا سكستوس الخامس بنقل المسلة إلى موقعها الحالي أمام كاتدرائية القديس بطرس في وسط ميدان الفاتيكان. ولكن معظم مهندسيه رأوا صعوبة تحريك مثل هذه الكتلة الضخمة التي تزن ٢٥٩ طناً، وترتفع إلى ٢٥.٣٧ متراً وإقامتها في مكان آخر.

ومع هذا اتخذ البابا الخطوات التمهيدية اللازمة. في اليوم المحدد استعد مهندسوه بثمانمئة عامل ومئة وخمسين جواداً وست وأربعين رافعة، ولكي يمكن سماع أوامر كبير المهندسين في وقت واحد من كل مكان، هدد البابا بالموت كل واحد من المشاهدين الكثيرين يحاول أن يصدر أقل صوت، ولكي يؤكد هذا، نصب مشنقة في الميدان وأعد الجلادين.

وبدأت المسلة الضخمة ترتفع قليلاً قليلاً حتى إذا وصلت إلى نصف المسافة، أخذت الحبال تصر وتهدد بالانقطاع. ومرت لحظات حاسمة عندما بدا أنها ستهوي على الأرض مرة أخرى. ولم يجرؤ أحد على أن ينطق بكلمة، إلا بحاراً يدعى بريسكا، إذ صاح قائلاً: «اسكبوا الماء على الحبال» وفعل المهندسون هذا، وزاد الماء من مقاومة حبال القنب، ونجت المسلة من الدمار. وعرض

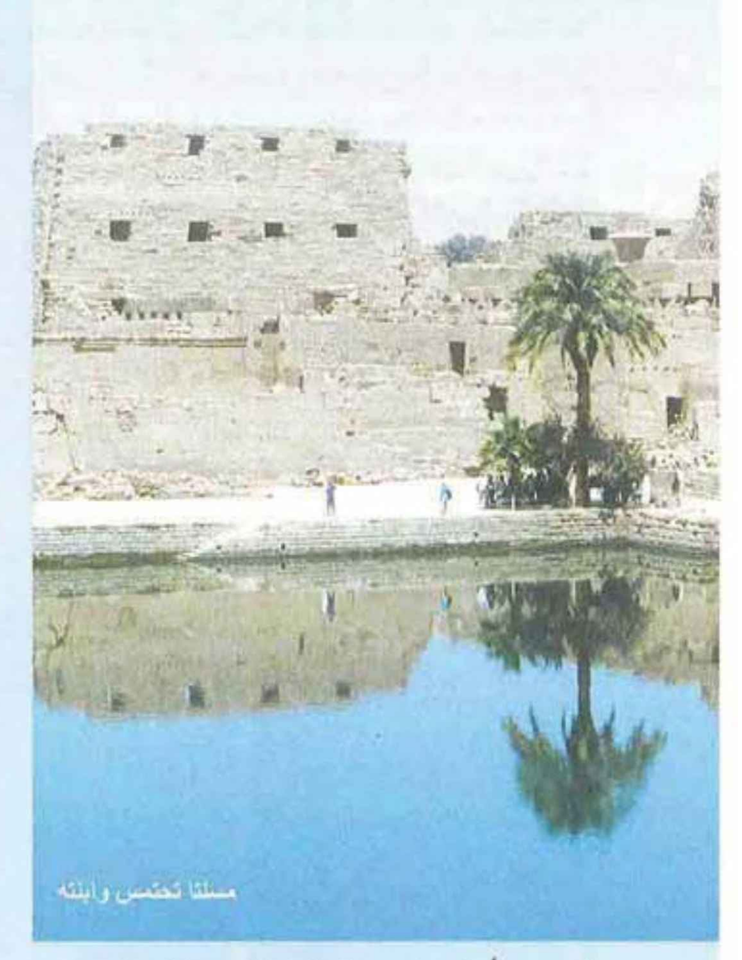


البابا السعيد على بريسكا أي مكافأة يريدها، ولم يطلب بريسكا إلا أن يمنح لنفسه ولأسرته إلى الأبد الحق في احتكار بيع كل سعف النخيل الذي يقدم إلى الكنيسة في آحاد السعف. ومنحه البابا هذا الحق، ولا تزال أسرة بريسكا تعيش في رغد بسبب هذا الاحتكار.

وعندما أصبح فسبسيان حاكماً للإمبراطورية في عام ٦٩م نقل إحدى مسلات رمسيس الثاني التي كانت مقامة في تانيس. وقد وجدها البابا كليمنت الرابع عشر (١٧٦٩ - ١٧٧٢م) عام ١٧٧١م، ولكنها لم تنهض في مكانها الحالي بميدان «مونت بنيسيو» إلا في سبتمبر ١٨٢٢م بأمر من البابا بيوس السابع (١٨٠٠ - ١٨٢٣م)، وهي ترتفع إلى ٩,٢٥ أمتار.

وفي عام ٨٠م نقل الإمبراطور دوماتيان إحدى المسلات لوضعها في بهو معبد إيزيس الذي أقيم تقديساً لسيدة العالم المصرية على شاطئ نهر التيبر وذلك خلال زياته لمصر. وهي إحدى مسلات سيتي الأول التي أقامها في تانيس وقد نصبت أمام معبد السيزاريون بالإسكندرية قبل أن تنقل إلى روما. وقد عثر عليها البابا ألكسندر السابع (١٦٥٥ - ١٦٦٧م)، وعهد إلى مهندسه الشهير جيوفاني لورينزو برنيني باختيار مكان إقامتها فنصبها في موقعها الحالي بميدان «نافونا» وهي ترتفع إلى ١٦,٥٤ متراً.

ونحا الإمبراطور هادريان منحى سابقيه، فنقل في عام ١٣٠م مسلة كان قد أقامها أبسماتيك الثاني في معبد


مسلتا تحتمس وابنته

الشمس بأون. ونصبها هادريان في مواجهة معبدي إيزيس وسيرابيس بروما. وقد عثر عليها البابا ألكسندر السابع في عام ١٦٦٠م فكلف المثال برنيني بعمل قاعدة لها تمهيداً لإقامتها في ميدان «لامينرفا» أمام البانثيون، فصنع برنيني قاعدتها على شكل فيل صغير من المرمر يطلق عليه سكان الحي «برغوث المسلة» ويبلغ ارتفاع المسلة بالفيل ٥.٤٧ أمتار.

وهكذا استمرت سرقة المسلات ونقلها من موطنها إلى روما تتوالى جهاراً عياناً على أيدي الأباطرة المتعاقبين. فقد نقل كل من كومودوس (١٧٦ - ١٩٢م) وجاليانوس (٢٥١ - ٢٥٣م) وجاليروس (٣٠٥ - ٣١١م) ثلاثاً من مسلات رمسيس الثاني التي كانت تزين معبدي أون وتانيس وهي الآن تجمل ثلاثة من أفخم الميادين الإيطالية. إذ تنهض الأولى في ميدان «اسكيلينو» ويصل ارتفاعها إلى ١٤.٧٥ متراً، بينما تنهض الثانية في ميدان «ترينتياMونتي» ويصل ارتفاعها إلى ١٣.٩١ متراً، بينما تقوم الثالثة بميدان «فيلا سيليمونتانا»، وهي أقل المسلات التي أنجزها فراعنة مصر ارتفاعاً، إذ لا يزيد طولها على ١٢.٦٨ متراً.

والحقيقة أن آخر مسلة شقت طريقها إلى روما لم يغتصبها الرومان بل خلفاؤهم البيزنطيون. ففي عام ٣٣٠م فكر قسطنطين الأول في نقل مسلة من معبد آمون بالكرنك رغبة منه في إرسالها لتجميل حاضرته الجديدة بيزنطة. وقد جرت بالفعل عملية نقلها من طيبة إلى الإسكندرية، لكن محاولة رحيلها واجهت عدة صعوبات وقضى قسطنطين عام ٣٣٧م، فبقيت المسلة في مكانها على شاطئ الإسكندرية أكثر من ربع قرن حتى نقلها ابنه قسطنطين الثاني إلى إيطاليا حين أعطى أوامره بإقامتها في ميدان مكسيموس، ولكنها لم تصل إلى روما إلا في العام التالي؛ لأن الحروب المحلية أوقفت نقلها في منطقة سيرشيو.

وفي أثناء الاحتفال بإقامتها تصدعت فجأة عند محاولة رفعها. وشاء القدر أن يموت قسطنطين في السنة نفسها، فتركت المسلة، وأهملت، وردمت. ولم يحاول أحد ترميمها أو إخراجها من مرقدها، حتى كشف عنها في عام ١٥٨٧م، ووجدت محطمة إلى ثلاث قطع، فقام دومنيكو فونتانا بترميمها وإصلاحها ونصبها في مكانها الحالي أمام كنيسة القديس يوحنا باللاتيران عام ١٥٨٨م. وتنفيذاً لمطلب البابا سيكستوس الخامس أمر بوضع الصليب على قمتها مشوهاً إياها لتكون رمزاً لانتصار المسيحية على الوثنية. والمؤسف أن التشويه نفسه قد أصاب جميع المسلات الأخرى المنتشرة في أنحاء روما!.

وتعد مسلة اللاتيران أكبر مسلة فرعونية مقامة الآن إذ يبلغ ارتفاعها ٣٢.١٨ متراً ،ووزنها ٤٥٥ طناً، وهي آخر المسلات التي أقامها تحتمس الثالث الذي عاجلته المنية قبل أن يراها مقامة أمامه، فبقيت مهملة بعد موته نحو خمس وثلاثين سنة حتى نصبها حفيده تحتمس

الرابع في مكانها الأصلي أمام الصرح الثامن، ودوّن عليها نقوشاً طويلة تدل على ورعه واحترامه لجده العظيم.

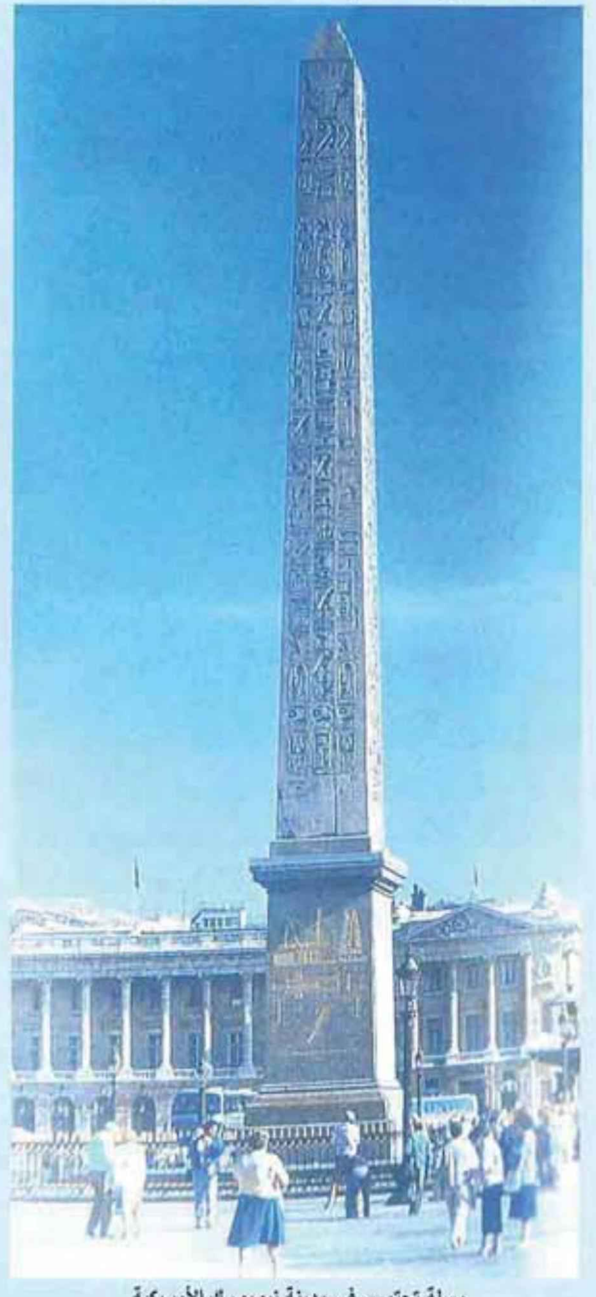
وكعادة أسلافه، عدا الإمبراطور البيزنطي ثيودوسيوس الأول في عام ٣٩٠م على إحدى مسلات طيبة، ولكنه أوقف نقلها إلى القسطنطينة عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وجعلها تتوسط مضمار السباق. وهي إحدى مسلتي تحتمس الثالث اللتين كلف مهندسه «مخبر رع سنب» بإنجازهما احتفالا بعيده الثلاثيني الثاني، وكانتا تشمخان عن الصرح السابع بالكرنك.

والواقع أن الموجود في القسطنطينية الآن هو الجزء الأعلى فقط من مسلة تحتمس الثالث ويبلغ ارتفاع هذا الجزء المتبقي منها ٢٢.٩٥ متراً وقد قام الأتراك بتهذيب نصفها الأسفل وجعلوها ترتكز على قاعدة من الرخام ارتفاعها ستة أمتار عليها نقوش بارزة من جوانبها الأربعة تصور الحاشية الإمبراطورية في مضمار السباق.

رمسيس الثاني في الكونكورد

عندما قدم نابليون بحملته إلى الإسكندرية عام ١٧٩٨م تملكته رغبة ملحة في نقل واحدة من مسلتيها لتقام في باريس رمزاً لفتحه مصر. غير أن هزيمة أسطوله في معركة أبي قير البحرية أنتجت غلالة من النسيان حول رغبته. لكن الرغبة تجددت مرة أخرى بعد أن وصل العالم الشاب جون فرانسوا شامبليون إلى مصر عام ١٨٢٨م إذ ذهل بمسلتي الإسكندرية، ووقع أسير الإعجاب بمسلتي رمسيس الثاني بمعبد الأقصر، فأخذ يراسل الدوائر المسؤولة في بلاده بضرورة الحصول على إحدى هذه المسلات. لكن محمد علي باشا والي مصر ليس على بعد خطوتين، ففي إبريل/نيسان عام ١٨٣٠م استقبل رسولاً من قبل شارل العاشر، لكي يعرب له عن امتنانه للخدمات التي أسدتها فرنسا لحكومته منحه بسخاء مسلتي الأقصر وواحدة من مسلتي الإسكندرية، لكن ثلاث مسلات كثيرة جداً. لقد اكتفوا بمسلة واحدة إذ إن مجرد نقلها كان أمراً محيراً وقصة بذاتها. واختار شامبليون تلك التي على يمين مدخل معبد الأقصر، لأنها كانت تبدو أحسن حالاً من شقيقتها.

لكن كيف يمكن نقل كتلة تزن ٢٣٠ طناً من الأقصر إلى باريس؟ من المستبعد تماماً تقطيعها إلى أجزاء، وقد وصف شامبليون مثل هذا العمل بأنه تدنيس للمقدسات. واقترح - حلاً لذلك - تشييد عوامة خاصة. واتخذت اللجنة التي شكلها ملك فرنسا قراراً بتشييد سفينة خاصة ذات قاع مستوٍ تستطيع السفر في البحر والصعود في النيل والنزول

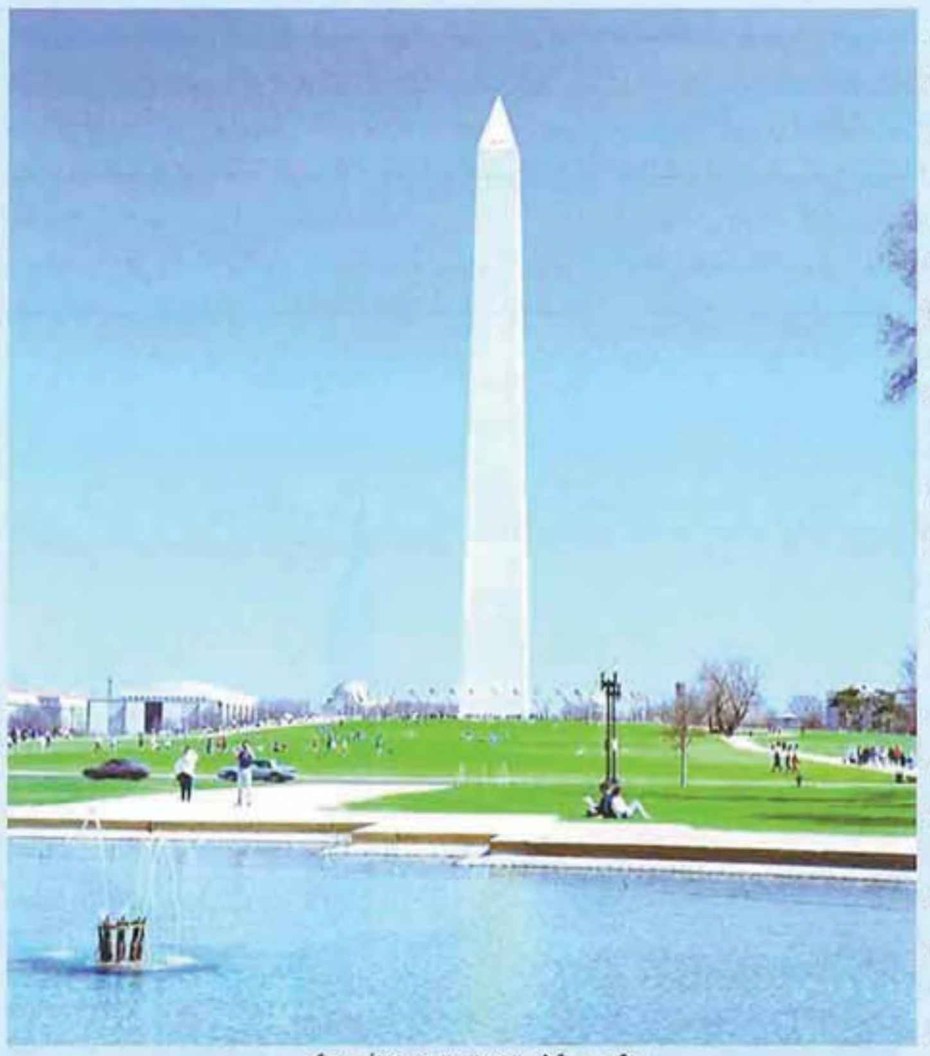


مسلة تحتمس في مدينة نيويورك الأمريكية

في السين، وقد غادرت السفينة التي سميت «بالأقصر» ميناء طولون الفرنسي في ١٥ إبريل/نيسان عام ١٨٣١م وعلى ظهرها طاقم من مئة وخمسين شخصاً بقيادة المهندس «أبولينير لوبا»، ووصلت السفينة مدينة الأقصر في ١٤ أغسطس، ونزل أفرادها المعبد، ثم قاموا بتحويل جزء من ساحته إلى حي لإقامتهم. وهكذا ولدت مدينة فرنسية في أحضان معبد فرعوني.

وبسبب تفشي وباء الكوليرا توقف العمل، ولم تغادر المسلة قاعدتها إلا في نهاية أكتوبر/تشرين الأول.

وفي اليوم التالي كتب قبطان السفينة فرنيناك سان مور إلى شامبليون يقول: «ابتهج معنا يا سيدي، لقد غادرتنا الكوليرا، وخضعت المسلة الغربية أمام أبسط الوسائل الميكانيكية الحديثة. ومن المؤكد أننا سنحضر إلى فرنسا هذا الصرح الذي لا بد أنه سيزودكم بمادة لدروسكم الممتعة، وسترى باريس أنه إذا كانت قد صنعت فنوناً مدهشة، فإن شعوباً أخرى صنعت فنوناً قبلنا بأزمان طويلة لا تزال نتائجها الدهشة تذهلنا حتى اليوم».



مسلة مصرية في الولايات المتحدة الأمريكية

وتم اتخاذ احتياطات لا حصر لها من أجل وصول هذا العملاق الذي يبلغ طوله ٢٢.٥٥ متراً على النيل، ولطول فترة التفاوض مع الفلاحين لشراء أكواخهم وهدمها لإفساح الطريق، اضطرت السفينة إلى انتظار الفيضان التالي، ولهذا لم تترك الشاطئ إلا يوم ٢٢ أغسطس/آب عام ١٨٣٢م. لكنها اضطرت إلى مد إقامتها من جديد في رشيد بسبب الصعوبات التي واجهتها في عبور النيل إلى المتوسط. وتم استدعاء إحدى السفن البخارية التي تمتلكها فرنسا، واسمها «أبوالهول» لتقوم بقطر «الأقصر» وسط بحر مضطرب بصورة خطيرة. وقبل النهاية أوقف الحجر الصحي الشحنة إجبارياً في ميناء طولون قبل أن تصعد مصب السين وتصل إلى باريس يوم ٢٣ ديسمبر ١٨٣٣م.

وقد دار الجدل الحقيقي حول موضع نصب المسلة الوافدة، إذ كان شامبليون يرى ضرورة إقامتها في أحد موضعين: أمام مدخل اللوفر، فإن لم يكن متاحاً فأمام

رواق كنيسة المادلين، أما الملك لويس فيليب الذي كان قد وصل إلى الحكم عام ١٨٣٠م فيرى إقامتها في الكونكورد مبيناً أن ساحة الميدان واسعة ومكشوفة بما لا يتعارض مع جلال هذه التحفة الرائعة. وقد ساءت علاقة شامبليون مع الملك وفارق الحياة دون أن تتم تلبية مطلبه.

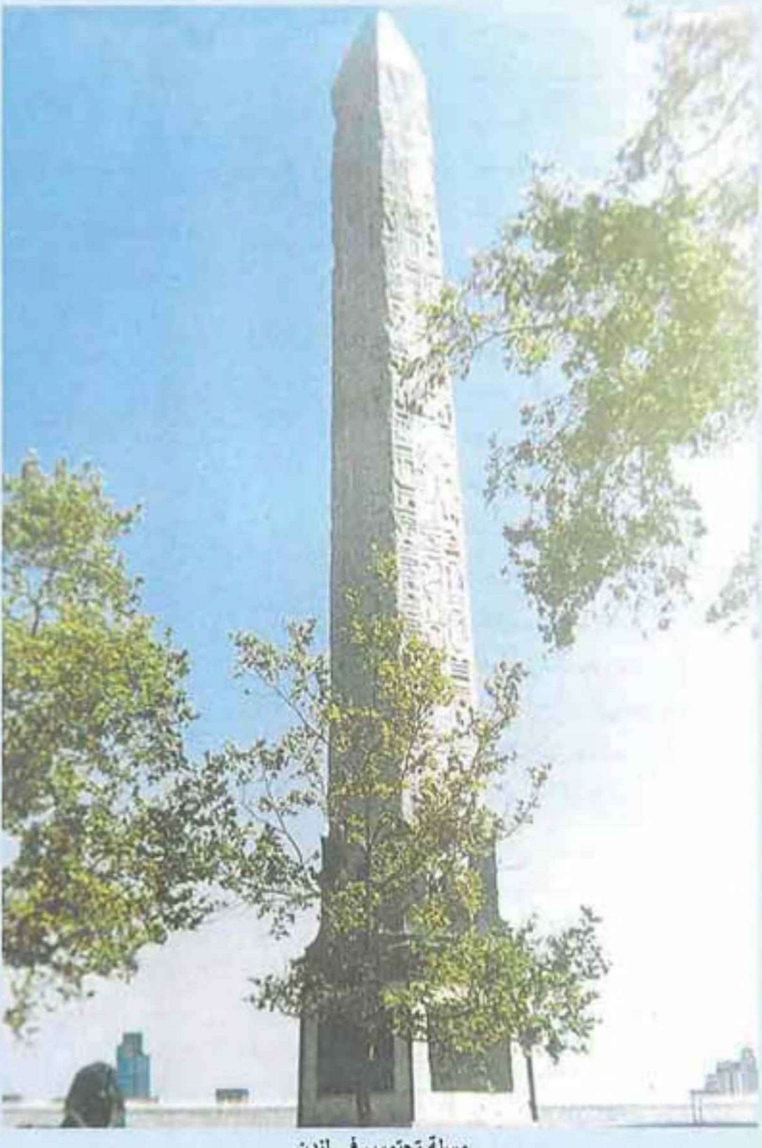
وأخيراً وفي يوم ٢٢ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٨٣٦م تجمع جمهور كبير في ميدان الكونكورد لمشاهدة نصب المسلة الشهيرة. وعلى ناصية شارع «سان فلورانتين» المجاور كانت أوركسترا من مئة عازف تعزف مقطوعة «أسرار إيزيس الخفية» لموزار. وعند منتصف النهار ظهر الملك وأسرته في شرفة واجهة وزارة البحرية. وحين أعطى المهندس «لوبا» الإشارة بدأ جنود المدفعية مسيرتهم الموزونة على نغمة البوق. وبدأت الروافع الرحوية تدور حول محورها والحوامل تنتصب وتجذب المسلة نحو قاعدتها وسط هتافات المئتي ألف نسمة الحاضرين. وارتقى أربعة رجال فوق المسلة ليضعوا الأعلام الفرنسية وغصون الغار. وفي الشرفة وقف الملك لتحية العلم الثلاثي الألوان.



مسلة في ساحة البانثيون في باريس

لعنة الفراعنة في لندن

لم يكتف نيلسون قائد الأسطول الإنجليزي بما أحرزه من انتصار حربي على إثر إغراقه لأسطول الفرنسيين في أبي قير إذ اتجهت أنظاره إلى نقل مسلة إلى لندن. ومع أن الفكرة نامت بعد هزيمة فريزر وحملته عام ١٨٠٧م. إلا أنها عادت لتلمع مرة أخرى عام ١٨٢٠م، فقد أخذ الإنجليز يتوددون إلى محمد علي ليمنحهم إحدى مسلتي الإسكندرية بمناسبة تتويج جورج الرابع على عرش مملكتهم، فوافق مقترحاً عليهم نقل المسلة الراقدة بعد أن وقعت سليمة. واستمرت المفاوضات على نقلها ووسيلة شحنها قرابة نصف قرن حتى كان عام ١٨٦٧م حين اشترى تاجر إيطالي قطعة الأرض


مسلة تحتمس في لندن

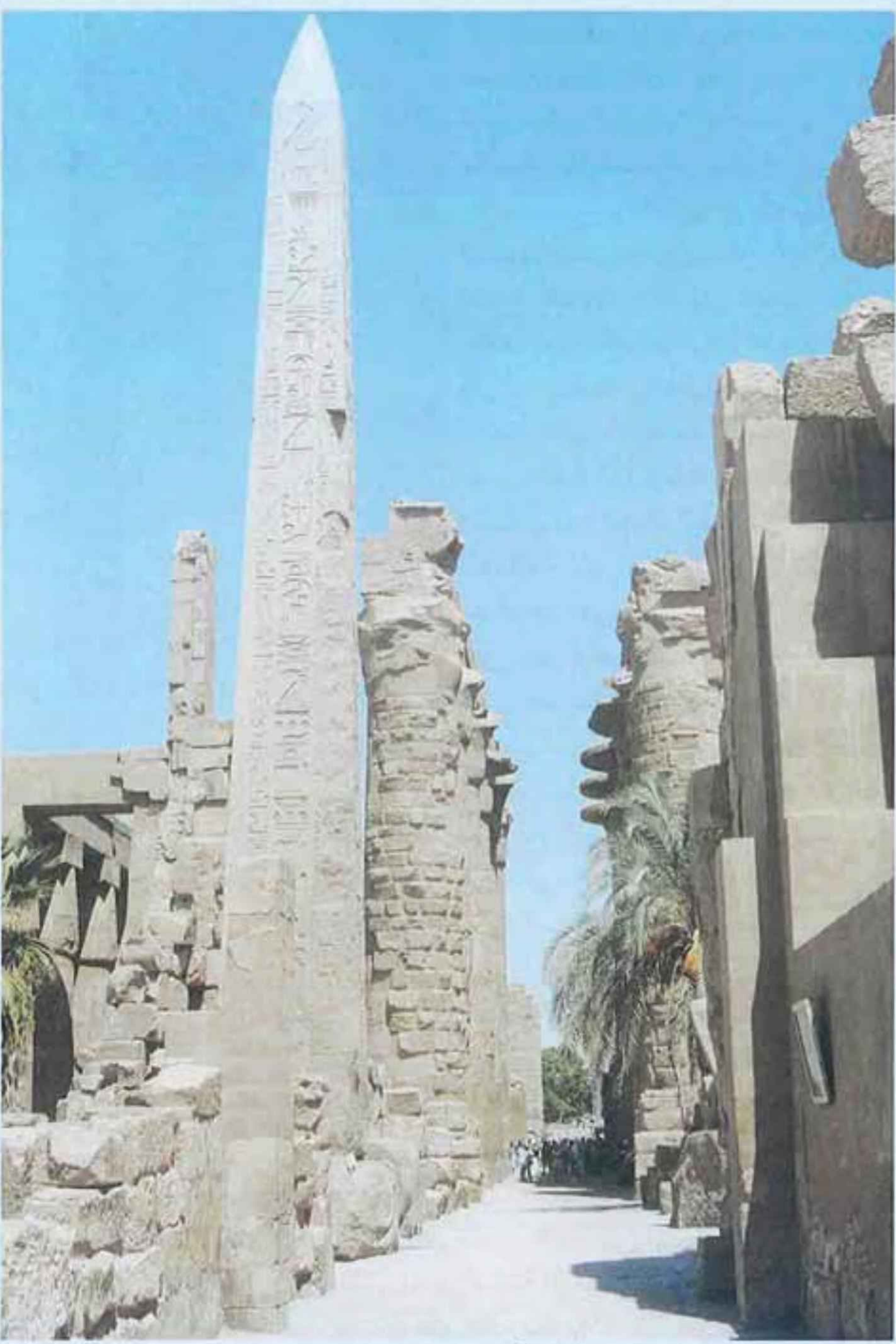
التي تحتضن المسلتين ليقيم عليها منتجعاً وكبائن سياحية للمصطافين، فاتجه إليهم للإسراع بإخلاء المكان. وبعد عشر سنوات من المكاتبات والتهديدات وصلت الفرقاطة «أوليجا» الميناء الشرقي للإسكندرية حيث كانت المسلتان عند ميدان محطة الرمل الحالي. وفي ٢٧ سبتمبر/أيلول عام ١٨٧٧م وضع المهندسون المسلة التي يبلغ طولها ٢٠,٨٧ متراً داخل تجويف معدني عبارة عن أنبوبة ضخمة فيها فراغ كبير أشبه بالغواصة، وأطلقوا عليها اسم «كليوباترا» وبدؤوا في تعويمها. وقامت الرحلة من الإسكندرية إلى الجزائر ومنها عبرت مضيق جبل طارق، وما إن وصلت إلى خليج بسكاي حتى هبت عاصفة هوجاء في منتصف ليلة لا تنساها البحرية البريطانية ولا علماء الآثار؛ وذلك ليلة ١٤ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٨٧٧م حين تقاذفت كليوباترا الأمواج العالية فكانت وكأنها دمية تلعب بها. وكادت تدمرها. ولم يكن أمام قبطان «أوليجا» إلا أن يبث الحماسة في بحارته فتقدم ستة منهم على الفور لإنقاذ الأنبوبة التي ترقد بداخلها المسلة. وفكوا الرباط الحديدي المتصل بالفرقاطة الأم. ولكن الغرق كان نصيبهم بعد أن هبت موجة ضارية على زورقهم ومع صرخاتهم ابتلعهم اليم. وإزاء هذه الفاجعة قرر القبطان ترك المسلة هائمة داخل أنبوبتها، وتصادف مرور باخرة أخرى بالقرب منها اسمها «فيتز موريس» أسرعت بإنقاذها، وأوصلتها سليمة إلى الشاطئ البريطاني.

وتناقلت الصحافة العالمية الحدث، ونسبته إلى لعنة الفراعنة، كما نسبت نجاة كليوباترا إلى عين حورس الحارسة المنقوشة على المسلة. ومراراً حاول المستر جون واينمان ديكسون - الذي أخذ على عاتقه مهمة نقل المسلة - طرح هذه الخرافات جانباً، لكن محاولاته ذهبت سدى.

وفي لندن تحيّر المخططون في مكان إقامتها. هل ينصبونها في ساحة المتحف البريطاني؟ لكنهم خافوا أن يضغط ثقلها الذي يبلغ ١٨٧ طناً على أنابيب المياه التي تمتد في باطن الأرض! أم عند ميدان سكة حديد المترو. ولكنهم خافوا أيضاً أن تضغط على النفق من تحتها. واتجه الرأي أن يقيموها في حديقة كنيسة «وستمنستر أبي» وميدانها حيث مدفن عظماء بريطانيا. ولكنهم كفوا عن كل هذه الآراء، وأجمعوا على إقامتها عند شاطئ نهر

معدني على محور متحرك يمكن بواسطته رفعها إلى الوضع الرأسي، ولم تخل تلك العملية من الأخطار، فقد اختل توازن المسلة عند رفعها مما أدى إلى قطع الحبال التي تشدها، وسقطت من فوق البرج الذي تصدع وأصيب بعض العمال، ولكن المسلة نجت بأعجوبة، ولم يصبها خدش أو ضرر، وزاد ذلك من اعتقاد الناس بلعنة الفراعنة التي أصابت البرج والعمال، والعين الحارسة التي أنقذت المسلة وحمتها.

وأزيح الستار عن حفل إقامة المسلة بنجاح في ١٣ سبتمبر/أيلول عام ١٨٧٨م. وهناك حفروا على قاعدتها الجديدة أسماءالستة الغرقى «وليم آسكن، وجيمس جاردنر، ووليم باتان، وجوزيف بنبو، ووليم دونالد، ومايكل بيرنز»، كما احتفظوا داخل قاعدتها بأشياء غريبة مثل صورة للملكة فيكتوريا، وصور لجميلات لندن، وأيضًا بزّة (بدلة) أنيقة وثوب (فستان) قصير يعكسان موضة العصر الفيكتوري، إلى جانب الإنجيل ومجموعة من النقود والعملة.



مسلة تحتمس بالكرنك

التايمز بجوار مدخل «ووترلو» كوبري لندن الأشهر.

وبدأت عملية رفع المسلة بإعداد برجين عملاقين من الحديد والأخشاب بحيث يمكن رفعها آليا حسب الطلب، يرتكز عليهما طرفا المسلة ويحملها من الوسط برج

ناطحة سحاب فرعونية

بدأت فكرة الحصول على مسلة لمدينة نيويورك في أكتوبر/تشرين الثاني عام ١٨٧٧م عندما تناقلت الصحف الأمريكية خبراً مضمونه أن «المستر ديكسون



من آثار الأقصر

يتوسط لدى الخديوي إسماعيل لإقناعه بإهداء مسلة إلى نيويورك».

وقد باشر المستر هنريك - ج - سبتنز مدير المتنزهات العامة لمدينة نيويورك مهمة الحصول على الأموال اللازمة لنقل المسلة في حالة تحقيق الرغبة وإقامتها. وقد رأس وليم فاندربلت الاكتتاب، ولكنه تطوع بمحض إرادته أن يتكفل بجميع النفقات اللازمة للقيام بهذا العمل. وبعد تبادله لبعض الرسائل مع المستر ديكسون ساد صمت عميق حتى مايو ١٨٧٩م حين ردت الحكومة المصرية على رسالة المستر فارمن القنصل العام للولايات المتحدة قائلة «لقد قررنا منحكم مسلة الإسكندرية وافعلوا بها ما تشاؤون».

وقد وصل القومندان جورنجز إلى الإسكندرية في أكتوبر/تشرين الثاني عام ١٨٧٩م لكي ينفذ عملية نقل المسلة. ولكن ثمة مشكلة كانت بانتظاره، وهي قيام الإيطالي صاحب الأرض يدعمه قنصله العام في الإسكندرية محتجاً متقدماً للمحكمة المختلطة بتظلم بأن هؤلاء إنما يشغلون أرضه التي أصبحت عليها كبائن للحمامات والمتنزهين وبعد مرافعات ومداولات حكم «بأن المسلة ما دامت على أرض مصرية مهما كان صاحبها فهي ملك للحكومة المصرية ولها أن تتصرف فيها كيفما تشاء» وراحت احتجاجات الإيطالي في الهواء الذي رفرفت فيه الراية الأمريكية التي نصبت فوق المسلة لتؤكد انتقال ملكيتها بعد الإهداء إلى أمريكا.

وقد غلفت المسلة بألواح خشبية وأنزلت تدريجياً داخل صندوق معدني مغلق على شكل ماسورة ضخمة حتى لا تصل إليها المياه وتبقى طافية على سطح الماء مهما واجهها من أنواء وعواصف وزج بالصندوق في البحر وسحب حول جزيرة فاروس القديمة حتى وصل إلى الميناء. وهنا وضع في الباخرة «دسوج» من خلال فتحة في جانبها على مقربة من مقدمتها. ولم تبحر الباخرة من الإسكندرية إلا يوم ١٢ يونيو/حزيران عام ١٨٨٠م، فقد استغرقت عملية نقل المسلة وإنزالها في نيويورك قرابة خمسة أشهر.

المسلات الباقية في مصر

المسلة ومكان إقامتها	المدينة	الارتفاع بالمتر	الوزن بالطن
مسلة حتشبسوت بمعبد الكرنك	الأقصر	٢٩,٥٦	٣٢٣
مسلة رمسيس الثاني بمعبد الأقصر	الأقصر	٢٥,٠٠	٢٥٤
مسلة سنوسرت الأول بالمطرية	القاهرة	٢٠,٤١	١٢١
مسلة تحتمس الأول بمعبد الكرنك	الأقصر	١٩,٩٠	١٤٣
مسلة سيتي الأول بالزمالك	القاهرة	١٣,٥٠	٩٦

ولكن ما زال على الأمريكان الانتظار عدة شهور أخرى حتى تستوي هديتهم على قاعدتها التي أعدت لها في قلب الحديقة المركزية التي تطل على أشهر طريق في نيويورك، وهو الشارع الخامس، حيث يشرف عليها من الجانب الآخر متحف المتروبوليتان. غير أن الانتظار لم يدم طويلاً؛ إذ سرعان ما أقيم احتفال مهيب في ٢٢ يناير/كانون الثاني عام ١٨٨١م حضره رئيس الولايات المتحدة ابتهاجاً بشموخ أثر عظيم من أقدم حضارات الكون في سماء درة العالم الجديد.

وبالموازنة تزيد مسلة نيويورك ارتفاعاً ووزناً على شقيقتها المقامة في لندن، حيث يبلغ طولها ٢١.٢١ متراً ووزنها ١٩٣ طناً، كما أنها لم تطرح أرضاً كشقيقتها التي عصفت بها زلازل عام ١٣٠١م بل ظلت شامخة منذ أن أقامها تحتمس الثالث وشقيقتها بأون، ثم نقلتا إلى الإسكندرية عام ١٢ ق.م على يد المهندس الإغريقي بونيتس. لكن ما يثير السخرية أن بعض الباحثين ينسب المسلتين خطأً إلى كليوباترا التي لا علاقة لها بهما سوى أنها هي التي أنشأت معبد السيزاريون الذي أقيمتا أمامه فترة طويلة قبل نقلهما إلى الخارج. ويشهد المؤرخ ويجل شهادة حق حين يعلق على ذلك بقوله: «إذا كان غرور جيل مضى من الإنجليز قد استحل لنفسه إقامة مسلة في بلادهم، فإن أقل ما كان يمكن أن يقوموا به في أيامنا هذه من الاحترام والتقدير لهذا الجندي القديم - تحتمس الثالث الذي لا بد أن يحتدم غيظاً وحنقاً - هو أن يحافظوا على نظافة أثره فيميطوا عنه ما لحق به من أذى وألا يسموه بالاسم المفجع الخاطئ مسلة كليوباترا».

ويضيف أنجلباخ مهندس البناء الإنجليزي قائلاً: «ماذا عساه يكون شعور تحتمس الثالث لو أدرك أن واحدة من مسلاته ستنقل إلى أرض لم يكن يحلم بوجودها في العالم، وأن الثانية ستقع في يد قوم كانوا وقتئذ شعباً يهيم على وجهه في الأحراج؟ وماذا عساه يفعل لو علم أن مسلاته الفخمة ذات المجد الأثيل الغابر قد أخذت تفقد رواءها وجمالها، بل ونسبها أيضاً في تلك البلاد الباردة. لا شك أنه كان سيفكر ألف مرة قبل أن يقدم على تشييدها».

المراجع

١. العمارة في مصر القديمة، محمد أنور شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م.
٢. مصر وكيف غدر بها، ألبرت فارمان، ترجمة عبدالفتاح عنايت، القاهر ١٩٦١م.
٣. مصر ولع فرنسي، روبير سوليه، ترجمة لطيف فرج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م.
٤. أمجاد من تراثنا، عزيز مرقس منصور، مكتبة الشرق، القاهرة، د.ت.
٥. موسوعة مصر القديمة، سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٦. تاريخ مصر القديمة وآثارها، وزارة الثقافة والإعلام، القاهر، د.ت.
٧. الفن الروماني، ثروت عكاشة، دار سعاد الصباح، القاهرة، ١٩٩١م.
٨. مافيا الآثار وسرقة تاريخ شعب، فاروق فهمي، دار التحرير، القاهرة، ١٩٩٥م.
9 - The Obelisks of Egypt Skyscrapers of the Past: Labib Habachi - The American University- Cairo Press, 1984.
10- Cleopatra's Needles and Other Egyptian Obelisiks: Wallis Budge- London - Religious Tract Society, 1926.
11- Egyptian Obeliska: Henry Gorringe- New Your;- Puplished by The Author, 1882
12- Towers of the old world: Davies Charles- New York- A.D.F. Randolph, 1961.
13- Ramses The Greet, Master ot the world: William Macquitty London, 1983.

- مصادر الصور: «الإنترنت»

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٠٧)

المحرم ١٤٢٣هـ/مارس - أبريل ٢٠٠٢م

الفائز الأول: **محمد رضوان علي مهنا - المنصورة - مصر.**

الفائز الثاني: **عبدالله إسماعيل راجح - صنعاء - اليمن**

الفائز الثالث: **عمر بلكيس - مراكش - المغرب.**

الفائز الرابع: **سليمان عبدي العلي - الدوحة - قطر.**

الفائز الخامس: **إسماعيل نوري مسير - عمان - الأردن.**

الفائز السادس: **هنادي أحمد شريتح - دمشق - سورية.**

الفائز السابع: **موسى عبدالمجيد محمد عبابنة - إربد - الأردن.**

الفائز الثامن: **ميرغني محمود طه - مكة المكرمة - السعودية.**

حل مسابقة العدد (٣٠٧)

١- وإني شقي باللئام ولا ترى

شقيًا بهم إلا كريمَ الشمائل

قائل البيت: هو الطرِمّاح بن حكيم.

٢- «روبنسون كروزو» قصة من تأليف: دانيال ديفو.

٣- الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني سمي بالنابغة:

لأنه قال الشعر بعد أن تقدمت به السن.

٤- كيل: قناة تصل بحر الشمال ببحر البلطيق.

٥- مرصد مراغة الفلكي أسسه: نصير الدين الطوسي.

أسئلة مسابقة العدد (٣١٠)

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: آلةُ العيشِ صحّةٌ وشَبابٌ   فإذا وَلَيا عن المرءِ وَلّى!
☐ أحمد شوقي ☐ المتنبي.

(٢) فرانسيس بايكون ☐ سياسي وفيلسوف إنجليزي، وأحد رواد العلم التجريبي الحديث
☐ فيزيائي أمريكي، منح جائزة نوبل في الفيزياء (بالمشاركة) عام ١٩٠٣م.

(٣) البِبْتون: ☐ مادة تنشأ عن البروتينات نتيجة للهضم ☐ آلة لقياس درجة التخمر في المواد البروتينية.

(٤) السَّنِيس: ☐ أحد أبناء المهاجرين اليابانيين إلى الولايات المتحدة ☐ طبقة المحاربين الأرستقراطيين اليابانيين.

(٥) «المقابسات» كتاب شهير من تأليف: ☐ أبي حيان التوحيدي ☐ ابن باجّة.

الاسم: ________ المدينة: ________ ص.ب: ________ هاتف: ________

العنوان: الدولة: الرمز البريدي: ناسوخ:

■ نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني حسب أوراقهم الثبوتية ليسهل على الفائزين صرف مكافآتهم.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى:	١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة:	(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة:	مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

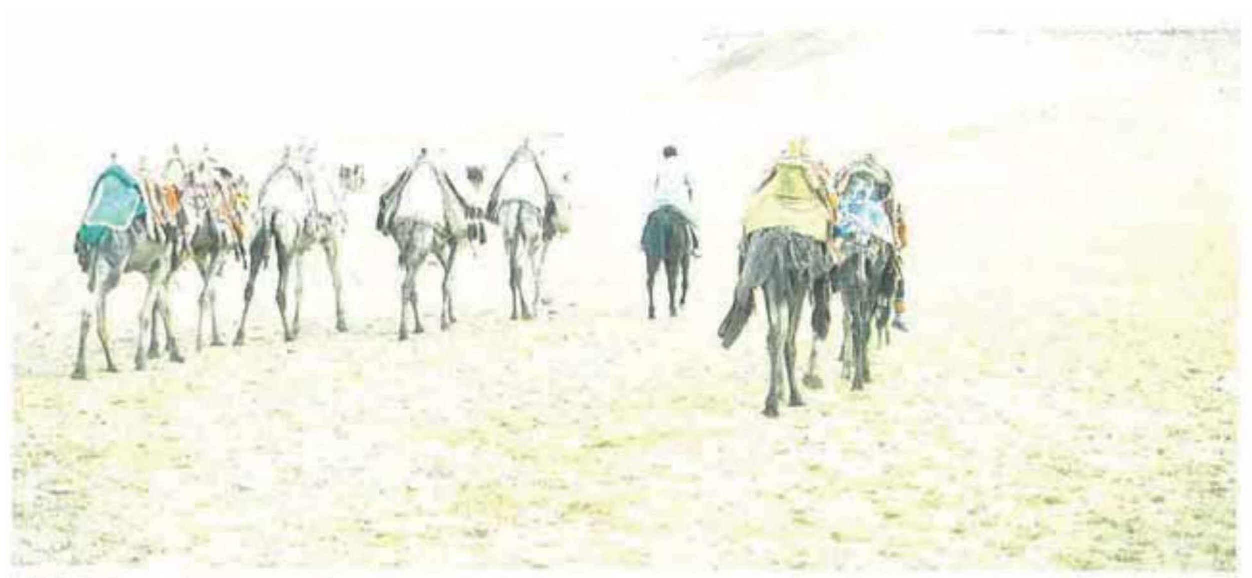
ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

البيئة العربية ماهيتها وعناصرها ومشكلاتها

حسام فتحي أبوجبارة
قلقيلية - فلسطين



البيئة Environment بمعناها الواسع: هي كل ما يحيط بالكائنات الحية، ويؤثر فيها بطريقة أو بأخرى. وفي علم الأحياء: هي مجموعة العوامل البيولوجية والكيماوية والطبيعية المحيطة بمساحة معينة يقطنها كائن حي، أو هي التفاعلات بين الكائنات الحية وبيئاتها.

وأدى ازدياد تأثير الإنسان في البيئة إلى ظهور مشكلات وقضايا بيئية كثيرة، ومن ثم إلى ظهور ماسُمّي بالعلوم البيئية Environmental Sciences التي تعرّف بأنها دراسة «مجموعة النظم الطبيعية، والاجتماعية التي تعيش فيها الكائنات الحية، والتي تستمد منها حاجاتها، وتؤدي فيها نشاطاتها».

مكونات النظام البيئي الطبيعي

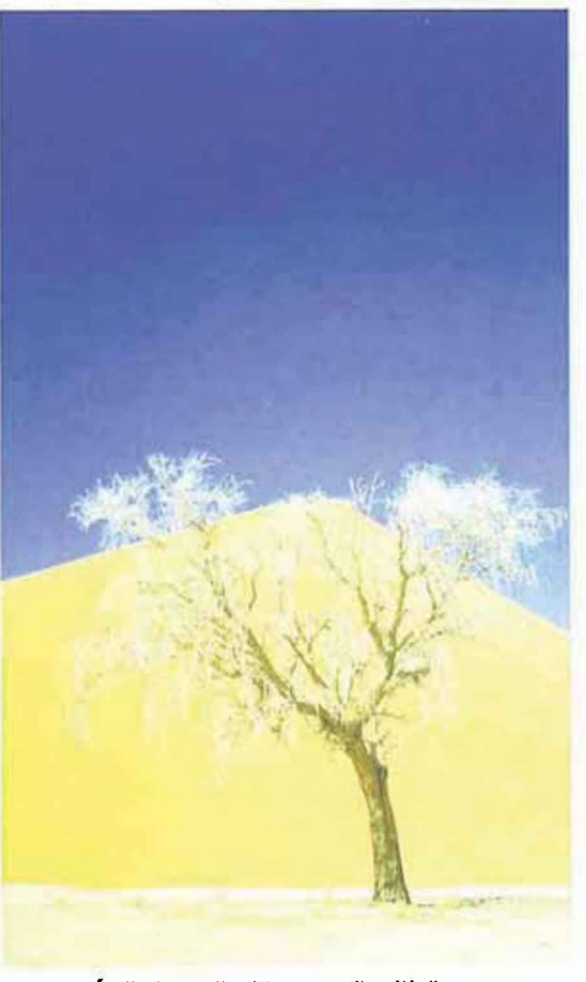
يعدّ النظام البيئي الطبيعي وحدة الدراسة في علم

البيئة، وهو يتكون من عناصر حية وغير حية تربط بينها علاقات وظيفية معقدة في تفاعل مستمر يولد توازناً مستمراً بين هذه العناصر.

ويعدّ هذا التوازن في استعمال المواد والطاقة وإنتاجها وتبادلها أمراً ضرورياً من أجل استمرار دورة العناصر «المواد البيوجيوكيماوية» في الطبيعة.

أولاً: المكونات غير الحية Abiotic Components: وتمتاز بخلوها من مظاهر الحياة وتشتمل على عوامل فيزيائية مثل الضوء «الأشعة الشمسية» والأمطار والرياح ودرجة الحرارة، وتشتمل أيضاً على عوامل كيماوية مثل العناصر الغذائية اللازمة لحياة الكائنات الحية، والمياه والتربة.

ثانياً: المكونات الحية Biotic Components: وتمتاز بوجود مظاهر الحياة كالتغذية والتكاثر والنمو فيها. ويمكن تقسيم هذه المكونات بحسب وظيفتها في النظام البيئي إلى:



الجفاف والتصحر من نتائج الجور على البيئة

- **المنتجات** Producers

وتشتمل على النباتات الخضراء والطحالب الخضراء، وهي كائنات حية ذاتية التغذية تستخدم طاقة الشمس لصنع المواد الكربوهيدراتية من عناصر غير عضوية بسيطة، كالكربون والهيدروجين والأكسجين في عملية التمثيل الضوئي.

- **المستهلكات** Consumers

وهي كائنات حية غير ذاتية التغذية، معظمها من الحيوانات، تحصل على غذائها بأكل النباتات أو بأكل حيوانات أخرى وتقسم المستهلكات بحسب مصادر غذائها إلى:

أ - كائنات حية مستهلكة تتغذى على النباتات فقط وتسمى آكلة الأعشاب وتعدّ هذه مستهلكة أولية.

ب - كائنات حية مستهلكة تتغذى على اللحوم وتسمى آكلة اللحوم، وتعدّ هذه الحيوانات مستهلكة ثانوية إذا تغذت على آكلة الأعشاب، وتعدّ مستهلكة ثالثية إذا تغذت على غيرها من آكلة اللحوم.

ج - كائنات حية تتغذى على نباتات وحيوانات، وقد تكون هذه كائنات مستهلكة أولية أو ثانوية أو ثالثية.

- **المحللات** Decomposers

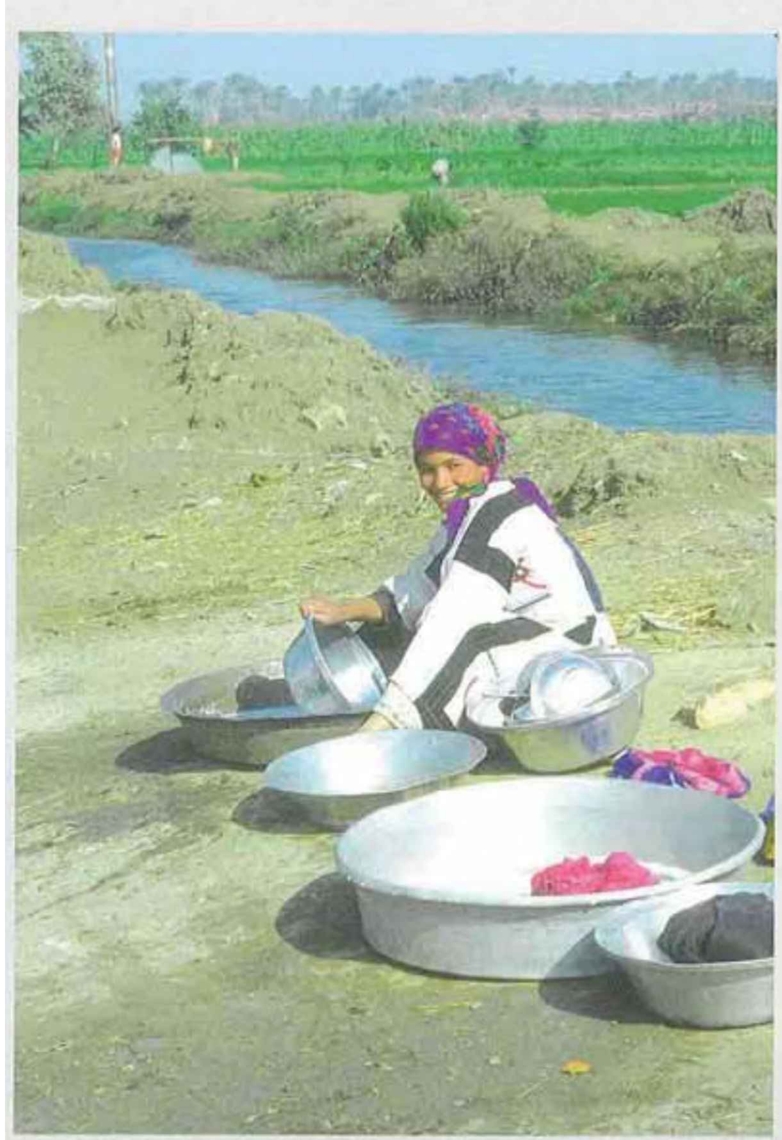
وهي كائنات حية غير ذاتية التغذية تعتمد في غذائها على المواد العضوية الميتة. وينتج التحلل عادة بوساطة كائنات دقيقة مثل البكتيريا والفطريات.

وهكذا يمكن تعريف النظام البيئي الطبيعي بأنه: «مجموعة العلاقات المباشرة وغير المباشرة للكائنات الحية مع المحيط الذي تعيش فيه».

الإنسان والبيئة

الإنسان واحد من الكائنات الحية التي تشارك في النظام البيئي، وهو العنصر الأكثر فعالية من حيث التأثير والتأثر، فيبقى حلقة الوصل النشيطة والدائمة بين مكونات البيئة ومفاهيمها وقيمها الأخرى.

وتاريخ العلاقة بين الإنسان والبيئة يمكن توضيحه


عدم التزام شروط النظافة من ملوثات المياه والبيئة عامة

في مسألتين رئيستين:

المسألة الأولى: هي أن الإنسان بدأ حياته على الأرض، وهمه الأكبر حماية نفسه من غوائل البيئة، خاصة ما يعايشه من حيوانات مفترسة أو كائنات دقيقة. وتدرجت العلاقة إلى أن أصبح هم الإنسان الأكبر هو حماية البيئة من غوائل فعل الإنسان. وبرزت قضية استنزاف مصادر الطبيعة غير المتجددة، وما يمثله ذلك من تهديد لحياة الأجيال القادمة. وبين هذين الطرفين - وهما حماية الإنسان من غوائل البيئة وحماية، البيئة من غوائل الإنسان - يكون المدى، بين التخلف والتقدم، إذ لاتزال المجتمعات المتخلفة واقعة تحت تهديد العوامل البيئية، بينما تجاوزت الدول المتقدمة بالصناعة ذلك المدى وأصبح التلوث البيئي شغلها الشاغل.

أما المسألة الثانية: فهي أن الإنسان المعاصر تتصل حياته بالتفاعل الوثيق بينه وبين العلم وتطبيقاته التقانية (التكنولوجية) والصناعية من جهة، والبيئة بوصفها مصدر الثروة وخزانها العظيم الذي يضمن حياة الإنسان من جهة أخرى.

لقد أطلق العلم وتطبيقاته للإنسان عنان السيطرة على قوى عظيمة تحمله إلى آفاق الفضاء وأغوار المحيطات، واستعذب الإنسان ذلك، حتى كاد ينسى العلاقات الأساسية الحاكمة لعلاقته ببيئته الطبيعية.

وقد قام المواطن العربي - ويقوم - بممارسات كثيرة كان لها أثر كبير في بيئته، مما أدى إلى تفاقم المشكلات البيئية، كالتلوث واستنزاف مصادر الثروة. ومن أهم الأسباب التي أدت إلى تفاقم المشكلات البيئية في الوطن العربي ما يأتي:

- الاستغلال المفرط لمصادر الثروة الطبيعية.
- الرعي الجائر، وتكثيف زراعة المحاصيل؛ مما يضر بالتربة ويستنزفها، ويعرضها للتعرية ويحرمها من قدرتها على تعويض خصوبتها.
- مناخ البلاد الدافئ الذي يؤدي إلى سرعة تحلل المواد العضوية، وما يصاحب ذلك من روائح كريهة، ونشوب الحرائق التلقائية.
- الآثار السلبية للصناعات المختلفة.
- الإفراط في استعمال الأسمدة الكيماوية والمبيدات.
- عدم معالجة النفايات المختلفة الناتجة من نشاط الإنسان.


تتعدد أسباب الحرائق والنتيجة اعتداء صارخ على البيئة

ـ البناء غير المتناسق والفراغات والحدائق.

ـ نقص المعلومات عن القضايا البيئية.

حماية البيئة: دواعيها وفلسفتها

تستند حماية البيئة إلى مبدأ فلسفي فحواه: ضرورة التزام المواطنين إزاء أنفسهم وإزاء الأجيال القادمة توفير الشروط اللازمة لتحقيق التوازن بين التنمية والنشاطات البشرية من جهة، والأنظمة البيئية ذات الصلة من جهة أخرى.

وقد أصبح الإنسان في عصرنا الحاضر يدرك أهمية المحافظة على الموارد البيئية ضمن مفهوم النظام البيئي الذي يتكون من مجموعة من الظواهر المرتبطة بعضها مع بعض بعلاقات متبادلة بحيث يتأثر كل جزء من هذا النظام بالتغيرات التي تطرأ على أي جزء آخر فيه.



- مثلاً - مثلا فينبغي أن يحدد مقدار الطلب عليها بدقة، وتقويم الجوانب السلبية والإيجابية فيه من أجل إنجاح أي برنامج محدد للمحافظة على هذه الموارد البيئية.

وما من شك في قيام اختلاف كبير بين العصر الحاضر والسنين الماضية من حيث زيادة عدد سكان الأرض، والارتفاع الهائل في الاستهلاك للطاقة والمواد، ونضوب الموارد الطبيعية، وتغير وجه الأرض في غطائها النباتي والمنشآت البشرية المختلفة، وزيادة المصنوعات والمخلفات البشرية من صناعية وغيرها كماً وكيفاً، والتأثر السلبي لكثير من الأنظمة البيئية بهذا كله. ولم يكن بد من أن تنعكس الأزمات الحالية في البيئة والطاقة والتنمية على مجالات شتى تشمل قضايا السياسة والاقتصاد والمستقبل والأخلاق وغيرها.

ومن الناحية الفلسفية يلاحظ أن فلسفة البيئة ومفهومها يختلفان لدى كثير من الباحثين، فمن المفاهيم ما يتسع مداه على الطريقة الصوفية بتقديس كل شيء في الطبيعة والتوحد معه، ومنها ما يتبنى المنهج الحيوي (البيولوجي) العلمي الذي يرى البيئة الغلاف الجوي الحيوي وعناصره المحلية، ومنها ما يقتصر مفهوم البيئة عنده على البيئة المحلية التي ينخرط الفرد فيها عملياً.

إن التوجه المحلي في أمر البيئة لا يتناقض مع التصور الواسع لها، فمن الضروري أن يعي من يهتم بمنزله الخاص وجود منازل للآخرين يهتمون بها أيضاً، وإن التواصل والتداخل قائمان بين مختلف البيئات المحلية، والتركيز في بيئة معينة أو جانب منها لايكفي، وإنما يستلزم الأمر أيضاً، تعاوناً محلياً ودولياً لمواجهة المشكلات البيئية التي تهدد العالم.

وينبغي عند وضع برامج معينة للمحافظة على المصادر الطبيعية تحديد نوع الموارد البيئية متجددةً كانت أم غيرَ متجددة، ومقدار الطلب على هذه الموارد، إذ ينبغي أن يُراعى في استخدام الموارد المتجددة، كالحيوانات والنباتات ألا يزيد معدل استهلاكها على معدل تكاثرها الطبيعي حتى تبقى قادرة على تجديد نفسها ولا تتعرض للفناء.

وأما إذا كانت المصادر غير متجددة، كالثروات المعدنية

أهم المشكلات البيئية وانعكاساتها على الإنسان والحيوان والنبات

على الرغم من كثرة المشكلات البيئية التي يعانيها الوطن العربي فإنه يمكن إجمال أهم هذه المشكلات وانعكاساتها على الأرض ومستقبل الإنسان وحياته بما يأتي:

ـ تلوث المياه

يعرف التلوث البيئي بأنه «وجود مادة غريبة أو أكثر في أي مكون من مكونات البيئة يجعلها غير صالحة للاستعمال أو يحدّ من استعمالها». ويعرف تلوث المياه بأنه «وجود مخلفات فيها من أي مصدر من المصادر من شأنها التأثير في هذه المياه وأوجه استخدامها المختلفة، أو الإضرار بصحة البيئة بوجه عام». أما أهم مصادر تلوث المياه فهي:

أ ـ المياه العادمة المنزلية (غير المعالجة): وهي غالبًا ما تُترك لتتدفق خارج التجمعات السكنية في مناطق مكشوفة وفي الأودية وعبر أراضٍ زراعية، وأحيانًا عبر مناطق مأهولة بالسكان، مما قد ينتج منه تلوث المياه السطحية والجوفية. وتعدّ المياه العادمة المستخدمة في ريّ المزروعات خصوصًا أهم المسببات الرئيسة للأمراض المعوية: الأميبا، والجارديا، والإسكارس، إضافة إلى الكوليرا، والتيفوئيد، ومرض الكبد الوبائي، والالتهابات المعوية الفيروسية.

ب ـ الاستعمال الزائد أو غير الصحيح للأسمدة والمبيدات الزراعية: ويمكن لهذه المواد أن تصل إلى المياه الجوفية عن طريق الارتشاح من خلال التربة، وكذلك عن طريق المياه العادمة الزراعية ومن الحفر الامتصاصية.

ج ـ المخلفات الصلبة المتراكمة: التي ينتج منها مواد سامة مثل النيترات التي تصل إلى المياه الجوفية عن طريق الارتشاح وتؤثر هذه المواد خصوصًا في المرأة الحامل، إذ تؤدي إلى حدوث تشوهات في الأجنة والأطفال.

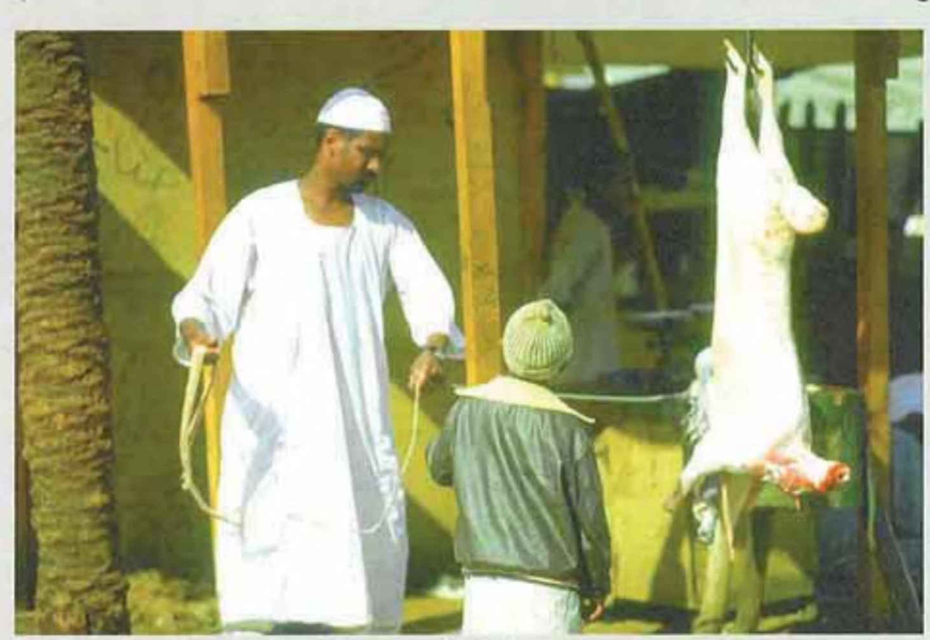
ـ تلوث الهواء

تعرف الملوثات الهوائية بأنها «مواد كيماوية سائلة أو صلبة أو غازية أو إشعاعية أو جرثومية يمكن أن تسبب ضررًا للإنسان أو الحيوانات أو النبات أو الإنشاءات». وأهم مصادر تلوث الهواء هي:

أ ـ مقالع الحجارة والكسارات: وهي تنتج غبارًا وملوثات تؤدي إلى أمراض الحساسية عند بعض الناس وإلى ضيق في التنفس وتشنج في العضلات، والتهابات متنوعة.

ب ـ الحرائق (حرق النفايات، حرق الإطارات، حرق الأعشاب....إلخ): وهي تنتج غاز co الذي يعدّ من أشد الغازات الملوثة للهواء خطورة بسبب قدرته على الاتحاد مع هيموجلوبين كرات الدم الحمراء بقوة مكونًا كاربوكسي هيموجلوبين COHB الذي يتميز بعدم قدرته على الاتحاد بالأكسجين في أثناء عملية الشهيق؛ مما يؤدي إلى نقص في إمداد أنسجة الجسم بالأكسجين، وربما انتهت إلى إحداث قصور في الشريان التاجي، وإلى الموت أحيانًا.

ج ـ المبيدات الحشرية: وهي تسبب عند اختلاطها بالهواء أمراضًا كثيرة للإنسان والحيوان، فهي تسبب السرطان، وتلفَ الجهازِ العصبي، والعقم، والعيوب الخَلْقية، والتقرحات الجلدية، والضعف العام،



مسلخ في قارعة الطريق

والفيروسات والبكتيريا عند الإنسان، وإذابة الدهون في أجسام الطيور وفقدانها لريشها وموتها بردًا.

د- المركبات الآلية: وتعدّ مسؤولة عمّا يقارب ٩٥٪ من الرصاص المنبعث في الجو، والذي يؤدي إلى الإصابة بفقر الدم، وتلف أنسجة الدماغ، وحدوث خلل في وظائف الكلى وشلل في الأطراف، وفقدان الشهية وعسر الهضم، وألم المفاصل.

وقد يؤدي تعرض الأم الحامل للهواء الملوث بالرصاص إلى الولادة المبكرة، أو ولادة أطفال ناقصي الوزن، أو ظهور تشوهات خلقية في الجنين. ويؤدي التدخين وشرب الكحول إلى زيادة تأثير تلوث الهواء بالرصاص في الإنسان، فقد وجد أن تركيز الرصاص في دماء المدخنين أو الذين يشربون الكحول أعلى من تركيزه في دماء غير المدخنين أو الذين لا يشربون الكحول.

هـ - المصانع المختلفة: ومن أهم الملوثات التي تنتجها هذه المصانع، ثاني أكسيد الكبريت الذي يؤدي إلى وقف نمو بعض النباتات مثل السبانخ والفاصوليا والشعير والقطن والتفاح، وأول أكسيد الكربون الذي يراوح تأثيره تبعًا لتركيزه في الهواء بين الصداع والشعور بالغثيان والتقيؤ والإعياء وصعوبة التنفس، إلى إحداث قصور في الشريان التاجي. وهناك أيضًا أكاسيد النيتروجين التي تنتج من احتراق الوقود، وتؤدي إلى تقليل مدى الرؤية. كما تنتج مصانع الورق والخشب والمطاط غاز كبريتيد الهيدروجين الذي يصيب الجهاز العصبي المركزي مسببًا خمولاً في التفكير ونقصًا في القدرة على التركيز وتقدير الوقت، إضافة إلى ضرر على أنسجة العيون والغشاء المخاطي المبطن للجهاز التنفسي.

و- العواصف الرملية والغبارية والمطر الحمضي: وهي تؤدي إلى تأكّل مواد البناء، وانجراف التربة، وإعاقة نمو النبات، إضافة إلى إعاقة الرؤية وتهيج العيون والحنجرة.



تشوه البيئة بسبب التنافر في الشكل المعماري

- النفايات الصلبة

وهي المخلفات التي يمكن نقلها، والتي يرغب منتجوها في التخلص منها بحيث يكون جمعها ونقلها ومعالجتها بطريقة صحيحة من مصلحة المجتمع. وتشتمل على:

أ- النفايات الصلبة المنزلية: وهي تنتج من المنازل والمطاعم والفنادق.

ب - النفايات الصلبة الزراعية: وهي تنتج من الأنشطة الزراعية (النباتية والحيوانية) ونفايات المسالخ.

جـ المخلفات الناتجة من التعدين، كالأتربة التي يمكن أن تؤدي إلى تلوث الهواء بالغبار، وإلى تعطيل قنوات الري والمجاري العامة، والتقليل من السعة التخزينية للسدود المائية عند تراكمها فيها.

د - المخلفات الناتجة من هدم المنشآت المختلفة وبنائها.

هـ - الحمأة Sludge: ويقصد بها المواد الصلبة العضوية وغير العضوية.

أما أهم المشكلات الناجمة عن النفايات الصلبة فهي:

- هدر الأراضي عن طريق استعمالها مكبّات للنفايات أو لدفن النفايات فيها، وما ينجم عن ذلك من تلوث للمياه الجوفية والسطحية والتربة.

- تحول أماكن تجميع النفايات ودفنها إلى مصادر إزعاج دائمة بسبب الروائح الكريهة التي تنتج منها، والأمراض التي تسببها الغازات الناتجة من حرق النفايات، مثل ضيق التنفس، والذبحة الصدرية، وأمراض القلب والرئتين.

ـ تشويه جمال الطبيعة وما ينتج من ذلك من تأثيرات نفسية في المشاهدين.

ـ إصابة بعض الحيوانات إصابات داخلية أو نفوقها نتيجة تناولها للمخلفات البلاستيكية في الحقول الزراعية.

ـ النفايات الطبّيّة

تعدّ النفايات الطبّيّة من أخطر الملوثات البيئية، وهي تنتج من المراكز الطبّيّة من مستشفيات وعيادات ومختبرات. وقد تحمل هذه النفايات معها عدداً من الأمراض الخطيرة، مثل التهاب الكبد الوبائي، والكوليرا والإسهال والتسمم والسرطان. ويمكن أن تنتقل إلى الإنسان بعدة طرائق، منها: اختراق الإبر لجسم الإنسان أو الحيوان، ونقل الجراثيم والفيروسات بواسطة الحشرات أو الحيوانات المنزلية والطيور.

ـ التلوث بالضجيج

يعدّ الضجيج، وهو كل صوت غير مرغوب فيه أو ضار بالصحة، من أشكال التلوث التي يعانيها الإنسان في المسكن أو الطريق أو العمل. ويختلف ردّ فعل الإنسان على الأصوات ودرجة تأثره بها بحسب نوعها وترددها وفترة دوامها وطبيعة الشخص نفسه. أما الآثار السلبية للضجيج في الإنسان، فهو يؤدي إلى تناقص القدرة على السمع لديه، وقد يؤدي ذلك في نهاية الأمر إلى فقدان السمع تماماً. وكذلك يقلل التعرض للضجيج من القدرة الإنتاجية للأفراد من خلال تأثيره في عمل القلب والجهاز العصبي والهضمي، وفي القدرة على النوم، ويصبح الأفراد غير قادرين على التركيز مع شعورهم بالتعب والضيق والإثارة العصبية.

ومن أهم مصادر التلوث بالضجيج: المركبات الآلية، والبناء، والصناعة، وحركة الطائرات.

ـ تلوث الغذاء

تتلوث الأغذية بفعل عوامل وطرائق كثيرة. وهناك نوعان من التلوث الغذائي: الأول عضوي (تلوث الغذاء بمسببات الأمراض)، والثاني كيماوي (تلوث الغذاء بالمعادن الثقيلة أو المبيدات وغيرها من المركبات الكيماوية الضارة). وقد يحدث تلوث الغذاء في أثناء عمليات إنتاجه أو تجهيزه أو تصنيعه أو تخزينه.

ـ التلوث البصري

التلوث البصري هو إحساس فطري بالنفور فور رؤية أي منظر أو مظهر أو شكل غير جميل داخل عناصر البيئة العمرانية، سواء في الكتل البنائية أو الطرق والجسور والحدائق والفراغات.

ومن أسباب التلوث البصري:

أ ـ التنافر وعدم التناغم بين الهياكل والطرق العمرانية مثل التفاوت في ارتفاع المباني، والاختلاف الشاذ في الحجم والألوان والمناظر الطبيعية المحيطة، والاعتداء على الشارع والرصيف، والنتيجة هي فقدان الشخصية والهوية المعمارية وتشتت النسيج الحضري (جمالياً ووظيفياً).

ب ـ الفوضوية وعدم التزام التشريعات والقوانين المنظمة لأعمال البناء والتنظيم واستعمالات الأراضي.

ج ـ الاشغالات المستمرة للأرصفة والطرق والميادين.

د ـ إهمال الأشجار والمناطق الخضراء، وتركها مدة طويلة من دون عناية وري مما يؤدي إلى ذبولها وتساقط أوراقها وفقدان البعد الجمالي للخضرة ورائحة الأزهار.

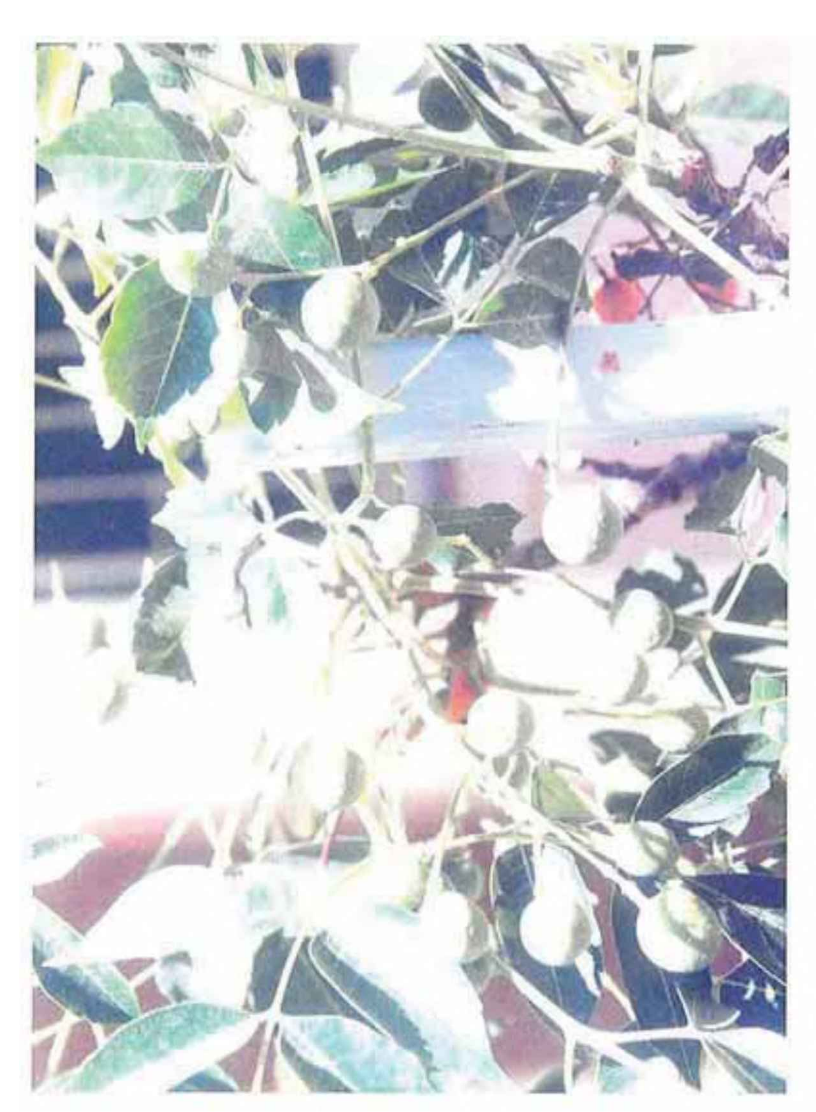
هـ ـ الأشكال المتنافرة من حيث الأحجام والألوان والمواد المستخدمة في الإعلانات (بلاستيكية، خشبية، معدنية، نيون، ورقية)، واللصق الفوضوي للإعلانات على أي مكان.

هذه هي باختصار أهم المشكلات البيئية التي تعانيها البلاد العربية في الوقت الحاضر مع ملاحظة احتمال وجود مشكلات بيئية في المستقبل، مثل الأوزون، فقد اكتشف مؤخراً ثقب في منطقة الأوزون فوق البحر الميت. وهناك أيضاً خطر النفايات النووية والسامة التي تدفنها إسرائيل في الأراضي الفلسطينية وغيرها.

المراجع

١. حماية البيئة الفلسطينية، محمد سليم اشتيه وعلي خليل حمد، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ١٩٩٥م.
٢. قضايا بيئية: أفكار في البيئة والتنمية، نجيب صعب، المنشورات التقنية، بيروت، ١٩٩٧م.
٣. نحو عالم أخضر، ماريان بروكوب، ترجمة عبدالحليم حزين وحزامة حبايب، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٥م.
٤. مجلة العلم، العدد ٢٧٠، مارس ١٩٩٩م.
ـ مصادر الصور: أرشيف «الفيصل».

النِّيم صيدلية متكاملة



جاسر خليل أبوصفية
عمّان - الأردن

قدّم ديفيد سوزوكي في برنامجه العلميّ «طبيعة الأشياء» حلقة عن شجرة هندية أسماها النِّيم Neem، وذكر لها عدّة فوائد. فاستوقفتني هذه الكلمة، ورحت أبحث في كتاب اللغة والنبات العربية، فوجدت أن لفظة «النّيم» مذكورة في لسان العرب، وفي كتاب «النبات» لأبي حنيفة الدّينوري.

اسم الشجرة

ذكر «معجم ويبستر» Webster أن اسم الشجرة Neem مأخوذ من الهندية Nim وهذه من السنسكريتيّة Nimba.

والمعروف في الدراسات الحديثة أن اللغة السنسكريتية أخذت حروف هجائها ودلالة ألفاظها من اللغة العروبية القديمة؛ عندما تبنى العالم كله حروف الهجاء العربية اليمنية (المسند) ثم حروف اللغة العروبية الكنعانية التي أُطلق عليها خطأً الفينيقية. ولكن اللغة السنسكريتية أسقطت ستة أحرف من الأبجدية العربية، كما ذكر محمد أحمد مظهر في كتابه Arabic the Source of all the Languages.

وتسمّى في الشام ومصر الزّنْزلخت، ويقال لها أيضا الجرود. وفي أقدم لغة عروبية (الأكّديّة) تعرف بالزّنزلخت Zanzaliqqu.

وعليه فالكلمة عربية خالصة دخلت اللغات الأخرى ونسيها أهلها المحدثون.

قال في «لسان العرب»: «النّيم: ضربٌ من العضاه. والنّيم والكتم: شجرتان من العضاه. والنّيم: شجر تعمل منه القداح».

ثم نقل قول أبي حنيفة الدّينوري في وصف الشجرة.

ومما يؤسف عليه أن كتب المفردات الطبية العربية لم تذكر النّيم باسمه الذي يُعرف به عند العرب، وإنما ذكروا شجرة أخري، أطلقوا عليها اسماً مختلفاً، وإن كان الوصف مطابقاً للنيم، وشجرة «الأزادرخت». وخلّط النباتيون العرب بينها وبين شجرة أخرى هي «اللّبخ»، كما جاء في كتاب «عمدة الطبيب».

واللّبخ شجرة مختلفة في ورقها وثمرها وفوائدها عن النيم.

أمّا كتب النباتات الطبية الغربية فكانت أكثر دقة من العربية في بيان اسم الشجرة وصفتها؛ إذ أطلقت على شجرة النّيم اسمها العربي القديم دون أن تذكر أن الكلمة عربية، بل نسبتها إلى الهندية.

ففي موسوعة النباتات الطبية The Encyclopedia of Medicinal Plants ذكر أن الاسم العلمي هو: Azadi-rachta indica ومرادفها Melia azadirachta. وتعرف بالنّيم Neem.

وفي كتاب النباتات الطبية في إفريقية ذُكر اسمها العلمي وأسماؤها الشائعة ومنها: Holy tree, Indian Li-lac tree، شجرة السّبمة Neem, Nim, Margosa tree, Bead tree وذكر من أسمائها العربية الزّنزلخت، وفي لغة الهوسا Dogon yaro.

وفي الكتب العربية الحديثة باللغة الإنجليزية عرفت بالنّيم؛ ففي كتاب «النباتات الطبية في ليبيا» ذكر اسمها العلمي وهو: Melia Azadirach و Lin Meliaceae وعن اسمها باللغة الإنجليزية قال: هي: Margosa و Neem و Nim tree. أما اسمها المعروف في ليبيا فهو: الزنزلخت وشجرة حرّة وسباحيّة.

وفي كتاب «الثروة النباتية في العراق» ذكر أن اسمها الهندي النّيم Neem.

وفي كتاب «النباتات الطبية في السعودية» يعرف بالنيم أو شُبْشعان.

ويعرف في الأردن بالنّيم ويزرع في الشوارع والجامعة الأردنية للزينة.

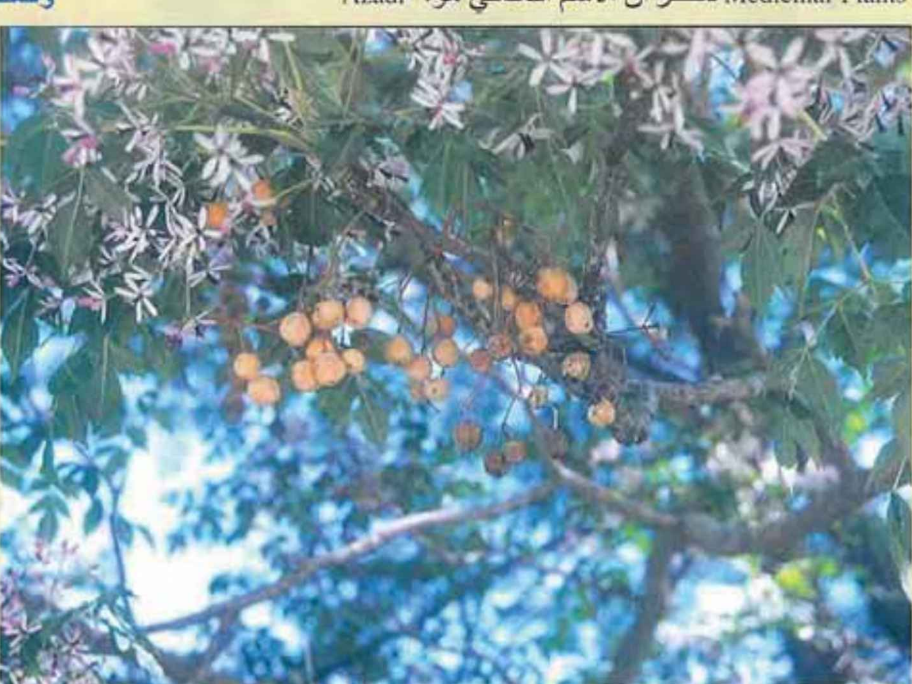
وصف الشجرة

قال أبو حنيفة الدّيْنَوريّ (ت: ٢٨٢هـ) في كتاب «النبات»: «النيم شجر عال، له شوك لين، وورق صغار، وله حبّ كثير متفرق أمثال الحمص، أخضر حامض، فإذا أينع أسودّ وحلا، وهو يؤكل، ومنابته الجبال، واستشهد ببيت شعر لساعدة بن جؤية الهُذلي يصف وعلاً:

ثم ينوش إذا آدَ النّهار له
بعد التّرقّب من نيم ومن كتَم

ونقل هذا التعريف ابن سيده في «المخصّص» وابن منظور في «لسان العرب».

وهذا الوصف يشبه إلى

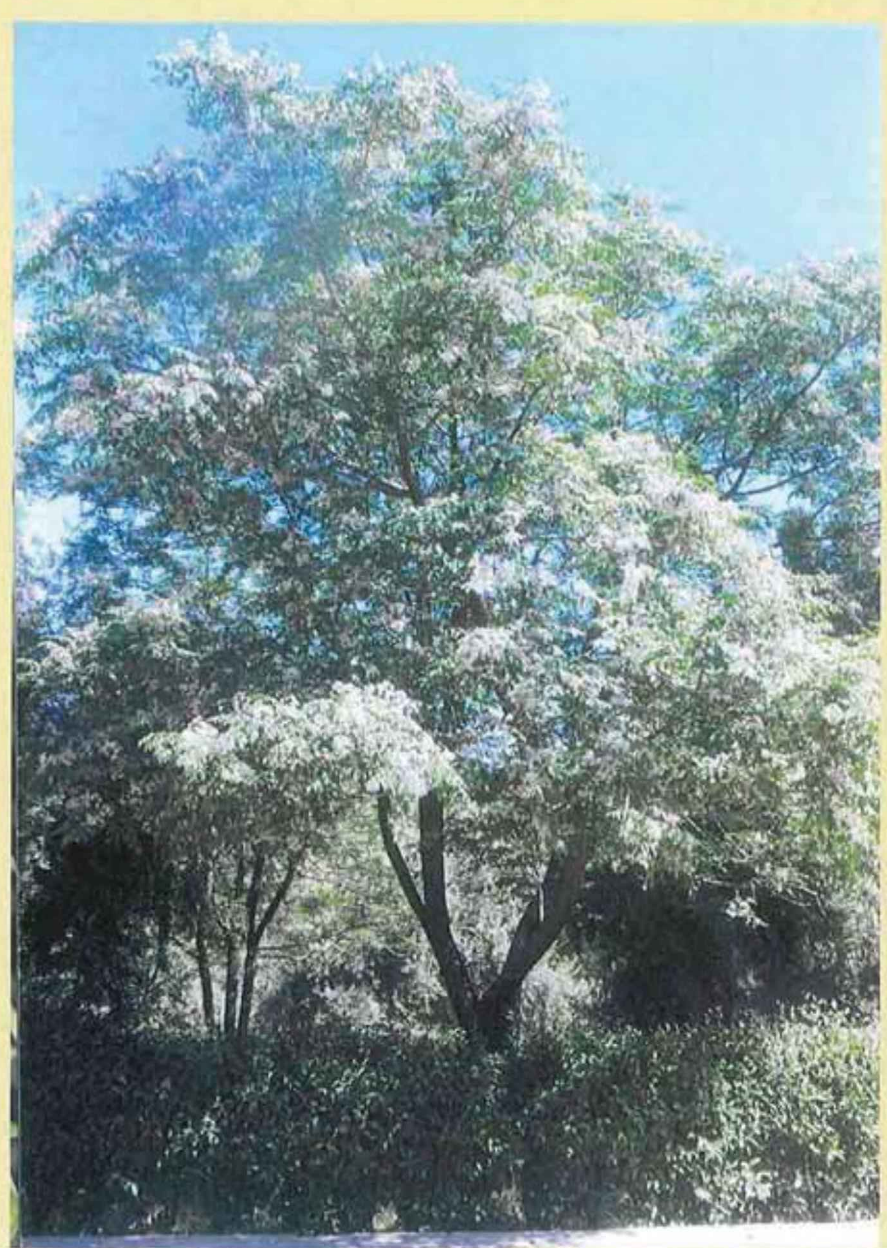


زهر النيم بنفسجي اللون

حد كبير شجرة النِّيم الموصوفة في كتب النباتات الطبية الحديثة باستثناء طعم الحب إذا أينع ولونه، فإنه لا يحلو كلّه، وإنما الذي يحلو هو «اللب»، أما البذور فتظل مُرة. ولونه إذا أينع لا يكون أسود، وإنما عاجي اللون. كما يتضح من الصورة. وذلك يعود إلى تعدد أنواعه وصفات ثمره؛ لأنه من عائلة العضاه التي منها الزّعرور والعنّاب والنّبق. وليس لشجرة النِّيم المعروفة اليوم شوك لين.

وفي وصف القدماء لشجرة الأزادرخت خلطوا بين عدّة أصناف من الشجر، منها: اللّبخ والعُنّاب الأبيض، ولكنهم وصفوا الشجرة وزهورها وثمرها بصورة مقاربة لشجرة النِّيم المعروفة.

قال في «عمدة الطبيب»: «... وهو من الشجر العظيم التّدويح والارتفاع، ورقه يشبه ورق العنّاب، مشرف مثله، غير أنه أطول وأشد خضرة وأطول قضباناً، لين المجسّة - أعني ورقه - ... وورقه على تلك القضبان متوازية منتشرة كالأجنحة، وزهره بنفسجيّ اللون». وقال عن حبّه الناضج إنه عاجيّ اللون.



لشجرة النيم جذع قاس بني أدكن

أما وصف الشجرة في الكتب النباتية الحديثة فهي شجرة مظللة، دائمة الخضرة، يصل ارتفاعها إلى ٢٥ متراً، وفي بعض الأماكن يصل إلى ١٦ متراً، وفي غرب إفريقية تكون معتدلة الطول.

ويسقط ورقها شتاءً في بعض البلدان، كما هو الحال في الأردن، وتزهر في الربيع زهراً بنفسجياً دقيقاً ناعماً، ثم تعقد حبّاً أخضر مدوراً، فإذا اقترب الشتاء تغير لونه وصار عاجياً، ثم ييبس ويسودّ. وطعم الأخضر مُر مائل إلى الحموضة، وهو بقدر حب الحِمّص في عناقيد متفرقة، فإذا أينع حلا اللّب الموجود بين القشرة والبذور. وتحبه العصافير.

ولشجرة النِّيم جذع قاسٍ بُني داكن، مع تفرّعات عريضة طولياً، وورقها مركّب مشرَف فيه حزوز.

وتنتشر شجرة النِّيم اليوم في الهند وإندونيسيا وأستراليا وغرب إفريقية وسريلانكا وبعض البلاد العربية وغيرها من بلدان العالم، ويناسبها الجو الجاف، وتزرع للزينة في معظم البلاد العربية

فوائد النِّيم الطبية

كانت شجرة النِّيم جزءاً من تراث الشعب الهندي وتاريخه في العلاج الشعبي، وما تزال تحتفظ بقيمتها العلاجية عندهم حتى اليوم؛ إذ يعدّونها صيدلية متكاملة، فكل جزء من الشجرة له استعمال طبي، وينظرون إليها نظرة تقديس.

الأجزاء المستعملة

- اللحاء

يُعمل منه مستخلص بالغلي يشرب عَقُولاً للبطن، ولعلاج البواسير. ومنقوعه، دون غلي، يشرب لتخفيض الحمّى.

ويستعمل اللحاء في الساحل الغربي لإفريقية علاجًا لمرض الملاريا؛ إذ هو أفضل علاج لها. ويندر أن ترى شجرة سليمة قرب البيوت ليست مقشورة اللحاء.

وصبغة اللحاء تستخدم في علاج اليرقان، وإزالة التعب والحمّى التي تتبع الإصابات.

- الأوراق

يُعمل من منقوعها شراب لمكافحة الملاريا، وعلاج قرحة المعدة والديدان المعوية. كما يفيد عصير الأوراق المنقوعة، دون غلي، في عمل مرهم يستعمل خارجيًا لعلاج التقرحات والجروح والبثور الجلدية والأكزيما (النملة).

وتستعمل صبغة الورق فاتحًا للشهية، ولكنها تسبب الإمساك. وتستعمل أيضًا لمعالجة الكدمات والخدوش والتواء المفاصل وآلام العضلات بالدّلك.

وتوضع الأوراق بين طيات الملابس الصوفية فتحفظها من (العث) والحشرات القارضة.

- الأماليد (الأغصان الصغيرة)

تستخدم الأماليد في تنظيف الأسنان، كالسواك؛ فتقوي اللثة وتمنع أمراضها؛ لأنها تحتوي على مادة مضادة للبكتيريا



ورق النيم يشبه ورق العنّاب

والعفونة؛ فهي مطهّر جيد للفم والأسنان واللثة، كما تزيل الرائحة الكريهة من الفم.

وقد استخلصت بعض الشركات من أغصان النِّيم الصغيرة وأوراقه معجونًا طبيًا للأسنان يخلو من المادة المسرطنة المسببة للرغوة.

- الزيت

يستخلص من بذور النِّيم زيت يستعمل في علاج آفات الشّعر وتقويته، وهو مضاد للفطر والفيروس، ويمنع تكون القمل وغيره من الطفيليات.

ويستعمل زيت النِّيم في علاج البرص واليرقان وعسر الهضم، وأمراض الروماتيزم والآفات الجلدية.

ويحضر منه الهنود الصابون، كما يدخل في تركيب كثير من الأدوية.

ومن أهم استعمالات زيت النِّيم أنه علاج فعّال في القضاء على الآفات الزراعية دون أن يسبب أمراضًا سرطانية كالمبيدات الحشرية الأخرى، وهو غير سام للإنسان وللحيوان.

ويعمل زيت النِّيم على تخفيض سكر الدم. وتجري عليه التجارب الآن بوصفه مانعاً للحمل عند الرجال والنساء.

- الجذر

استعماله محدود في علاج رطوبة العين، وذلك بعمل مستخلص بالغلي ويفيد في طرد الديدان المعوية.

- النُّسغ Sap

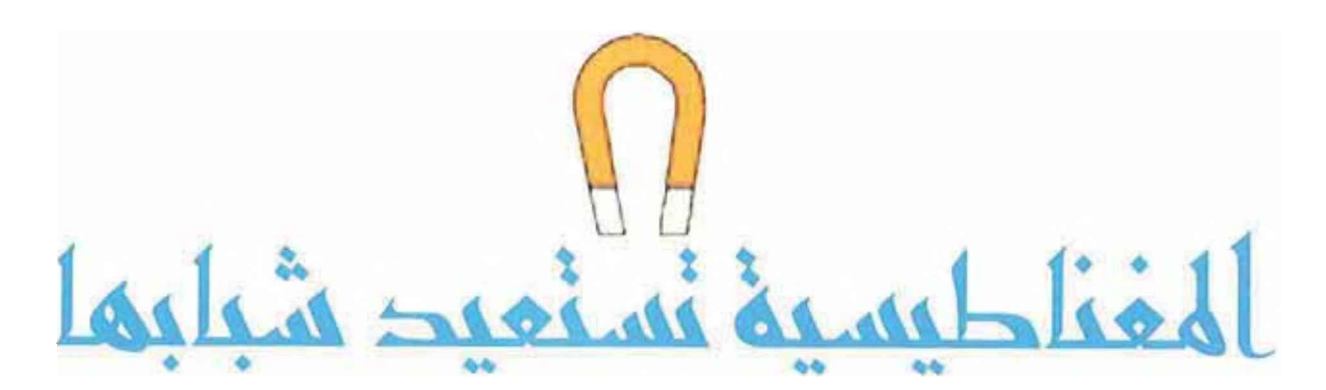
وهو العصارة التي تجري في أوعية النبات حاملة الماء والغذاء. وهو علاج للبرص.

- الزهور الجافة

تستعمل مقوية وفاتحة للشهية أو للمعدة، شُربًا. وتستعمل من الخارج علاجا للأكزيما.

تحذير

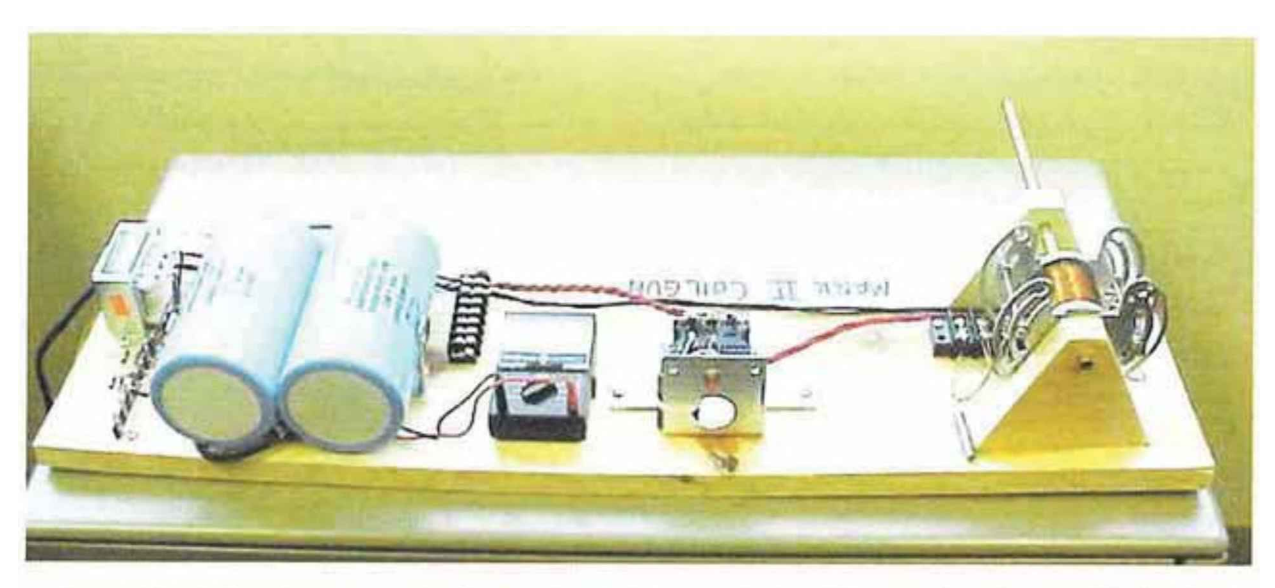
لا يجوز إعطاء النِّيم للأطفال الرُّضّع أو الشيوخ أو واهني القوى.



المغناطيسية تستعيد شبابها

مظفر شعبان

حلب - سورية



عرف الإغريق (اليونانيون القدماء) حجر المغناطيس وقدرته على جذب قطع الحديد في نحو عام ٥٠٠ ق.م. ولعل أشهر الظواهر الدالة على المغناطيسية هي قوة التجاذب والتدافع المؤثرة بين المواد المغناطيسية مثل الحديد. ومع أن المغناطيسية هي إحدى القوى الأساسية الأربع في الطبيعية، إلا أنها تبقى في أذهان الجميع على أنها أحد فصول الفيزياء المدرسية. ونبادر فوراً إلى القول: إن الأزمنة الحديثة شهدت آثاراً قوية للمغناطيسية تم اكتشافها في جميع أشكال المادة، مما مهد السبيل إلى اكتشافات علمية وتكنولوجية كثيرة تدفعنا إلى القول إن المغناطيسية تستعيد شبابها.

الحقل المغناطيسي

لقد أدى جذب المغناطيس للأجسام دون أن يمسها إلى قبول فكرة أن للمغناطيس نوعاً من التأثير ينتشر في الفضاء حوله. وقد تبنى العلماء فكرة «المجال» المغناطيسي لتفسير هذه الظاهرة. فالمغناطيس يؤثر في منطقة حوله يجذب فيها المواد المغناطيسية ويتبادل فيها التنافر أو التجاذب مع المغناطيسات الأخرى. وهذه المنطقة تسمى مجال القوة أو المجال المغناطيسي، وهي

تدعى كذلك الحقل المغناطيسي أو الساحة المغناطيسية.

يمكن الحصول على صورة المجال المغناطيسي علميًا بوضع ورقة فوق مغناطيس ورش قليل من برادة الحديد عليها. عند نقر الورقة بشكل خفيف تنتظم البرادة في نسق محدد تتجمع وفقه في المناطق التي يكون عندها تأثير المغناطيس أشد. ويلاحظ تجمع البرادة قرب القطبين، وانتظامها في خطوط تمتد بوضوح بينهما.

يطلق على هذه الخطوط اسم خطوط المجال (خطوط القوة) المغناطيسية، وهي خطوط وهمية تمتد من القطب الشمالي للمغناطيس إلى قطبه الجنوبي. وتبين الاتجاه الذي يؤثر فيه المغناطيس على شيء يوضع في مجاله. وبما أن تأثير المغناطيس يتضاءل كلما ابتعدنا عنه لذا نقول: إن مجاله يضعف.

PHOTO-MAGNETIC SEMICONDUCTOR

IRON NEEDLES

للمغناطيس نوع من التأثير ينتشر في الفضاء حوله

المغناطيسية والحياة

تستخدم المغناطيسية الآن على نطاق واسع سواء في الأبحاث العلمية أو الصناعية أو حتى في الحياة اليومية. فالمغناطيس الدائم والمغناطيس الكهربائي موجودان في المولدات وفي المحركات الكهربائية ومن دونهما تبقى معظم وسائط النقل كالسيارات والقطارات والطائرات والبواخر غير قادرة على العمل.

والجدير بالذكر أن الظواهر المغناطيسية اليوم لا تمثل محور اهتمام المهندسين فقط ولكنها تستقطب كذلك اهتمام الكثير من الأطباء والبيولوجيين. فإلى جانب التخطيط الكهربائي للقلب يقوم الأطباء بتسجيل التخطيط المغناطيسي لمرضاهم، فيحصلون على معلومات قيّمة عن عمل القلب.

وبما أن الساحة المغناطيسية تؤثر في كل ما هو حي، فقد اهتم العلماء بتحديد مستوياتها الآمنة على الحياة. ومع أن تأثير المجال المغناطيسي في العمليات الكيماوية التي تجرى في جسم الإنسان يدرس منذ فترة من الزمن إلا أن فيزيائية هذا التأثير غير واضحة حتى الآن.

مع ذلك، فإن أحدًا لا يستطيع أن ينفي تأثير الساحات المغناطيسية في الكائنات الحية؛ إذ بينت التجارب المجراة على الفئران أن الساحات المغناطيسية الخارجية تؤثر في تطورها. أما الساحات المغناطيسية القوية وغير المتجانسة فقادرة حتى على قتل الكائنات الصغيرة.

النظرية الكهرمغناطيسية

كما أسلفنا، كانت المغناطيسية معروفة منذ القديم للإغريق والرومان والصينيين. وتشير المراجع إلى أن البوصلة التي اكتشفها الصينيون أولاً استعملها الغربيون في وقت ما في منتصف القرن الثالث عشر مما ساعد على تحقيق الكثير من الاكتشافات الجغرافية في القرون التالية.

في عام ١٦٠٠م أصدر الطبيب البريطاني ويليام جيلبرت كتابه «عن المغانط والمغناطيس العظيم على الأرض» أشار فيه إلى أن الأرض نفسها تتصرف كمغناطيس هائل.

في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر تحققت اكتشافات مهمة متعلقة بالمغناطيسية والكهرباء. ففي عام ١٨٢٠م وجد الفيزيائي الدانماركي هانز كريستيان أورستد أن الإبرة المغناطيسية يمكن أن تنحرف بتأثير التيار الكهربائي الساري عبر سلك مجاور. وتعود أهمية هذا الاكتشاف إلى أنه بيّن وجود علاقة بين المغناطيسية والكهرباء. وتبع ذلك اكتشاف مثير قدمه العالم الفرنسي أندريه ماري أمبير، الذي درس القوى المتبادلة بين سلكين يحملان تيارين كهربائيين يسيران بالاتجاه نفسه أو باتجاهين متعاكسين. أما الفرنسي دومينيك فرانسواجين أر اغوا فقد نجح في مغنطة قطعة من الحديد بوضعها بالقرب

من سلك يمر فيه تيار كهربائي. وفي عام ١٨٣١م اكتشف العالم البريطاني مايكل فاراداي أن تحريك مغناطيس بالقرب من سلك يؤدي إلى تحريض تيار كهربائي فيه، وهذه الظاهرة الأخيرة معاكسة لتلك التي اكتشفها أورستد: لقد بيّن أورستد أن التيار الكهربائي يخلق حقلاً مغناطيسياً، بينما بيّن فاراداي أنه يمكن استعمال الحقل المغناطيسي لتوليد التيار الكهربائي، وللدلالة على الأهمية الكبيرة لاكتشاف فاراداي نقول: إن ٩٥٪ من الكهرباء المولدة في العالم حالياً يتم بناء على مبدأ فاراداي المذكور. بعدها نجح الفيزيائي البريطاني جيمس كلرك ماكسويل بتوحيد النظريتين المغناطيسية والكهربائية بشكل كامل، وتنبأ هو نفسه بوجود الموجات الكهرمغناطيسية.



تؤثر الساحة المغناطيسية في كل ما هو حي

بعد ماكسويل تركزت الدراسات المتلاحقة في فهم الأصول الذرية والجزيئية لخواص المادة المغناطيسية. ففي عام ١٩٠٥م طرح الفيزيائي الفرنسي بول لانجفان نظريته حول علاقة الخواص المغناطيسية للمادة بدرجة الحرارة، وذلك اعتماداً على تركيبها الذري. وتعدّ هذه النظرية مثالاً مبكراً على الربط بين الخواص المغناطيسية للمادة مع المواصفات المعروفة للإلكترونات والذرات.

بعدها توسّع الفيزيائي الفرنسي ارنست ويس في دراسة الخواص المغناطيسية بتفصيل أكبر اعتماداً على نموذج الفيزيائي الدانماركي نيلز بور للذرة، إذ بيّن السبب الذي يجعل المغناطيسية تتبدى في العناصر العابرة مثل الحديد والعناصر الأرضية العابرة، أو في المركبات الحاوية على هذه العناصر. وقد بيّن الفيزيائيان الأمريكيان صامويل غودسميت وجورج أوهلنبك في عام ١٩٢٥م أن للإلكترون نفسه لفًا ذاتيًا، وأنه يتصرف مثل قضيب مغناطيسي صغير. وفي عام ١٩٢٧م أعطى الفيزيائي الألماني فيرنر هايزنرغ تفسيراً تفصيليًا لحقل ويس الجزيئي وذلك اعتماداً على نظرية الكم التي قام بتطويرها آنذاك.

إننا نصادف في الطبيعة حقولاً مغناطيسية وكذلك في المنشآت الصناعية. وحتى يصبح بالإمكان إظهار جميع القيم بشداتها المتباينة على مخطط بياني واحد تم اللجوء إلى المقياس اللوغاريتمي، فتأشيرتان متجاورتان تختلفان بعضهما عن بعض بعشر مرات. واحدة القياس تحمل اسم الفيزيائي السويدي الشهير هانز كريستيان أورستد ويرمز إليها بالحرف E. شدة الحقل المغناطيسي تعطى في نظام الواحدات س.غ.ث (سنتمتر، غرام، ثانية) بالأورستد، وفي نظام الواحدات الدولية S I فإن الواحدة هي الأمبير على المتر. وهاتان الواحدتان مرتبطتان بعضهما مع بعض بالعلاقة.

الأورستد = ٧٩٫٥٧٧٥

أي إنه للحصول على قيمة شدة الحقل المغناطيسي في النظام SI يجب تقسيم القيمة المبينة في الجدول على ٨٠ تقريبًا. الحقول المغناطيسية الضعيفة مثل تغيرات حقل المغناطيسية الأرضية، تقاس بالغاما، وهي جزء من مئة آلاف جزء من الأورستد (١ أورستد = $10^{5\gamma}$).

وقد تبين أن أقوى الحقول الموجودة في الكون تنشئها النجوم النترونية والبولسارات. أما في المختبر فيمكن الوصول إلى شدات للحقل المغناطيسي أضعف بألف مرة ومن أجل فترة زمنية قصيرة جدًا تقدر بأجزاء الثانية. فلو أمكن في المختبر استكمال الشروط المتوافرة في الكون لتشكيل حقول قوية قابلة للموازنة مع تلك التي تنشئها نجوم النترونات، لكنا شهودًا على ظواهر مدهشة. مثلاً، الحديد وكثافته ٧٫٨٧ غرام/سم٣ يتحول بتأثير مثل هذا الحقل إلى مادة ذات كثافة ٢٧٠٠ غرام/سم٣. ومكعب من هذه المادة أبعاده ١٠سم إذا وضع على الطاولة لأدى إلى انهيارها. إذ إن كتلته ستبلغ عندها ثلاثة ملايين غرام.

وهناك قيم وسيطة للحقول المغناطيسية لجميع الأجسام والظواهر المعروفة بالنسبة إلينا. مثلا تتغير شدة المجال المغناطيسي للأرض من ٠٫٢٤ أورستد (في البرازيل) إلى ٠٫٦٨ اورستد في القطب الجنوبي. ولهذا السبب يعدّ المجال المغناطيسي الأرضي مساويًا ٠٫٥. أورستد.

(وهناك حالات شاذة بلغت شدة الحقل المغناطيسي الأرضي فيها ٢ أورستد). وتقسم الحقول إلى ضعيفة، ومتوسطة، وقوية، وقوية جدًا. فشدة الحقول الضعيفة لاتتجاوز ٥٠٠ أورستد، أما الحقول المتوسطة فشدتها تقع في المجال من ٥٠٠ أورستد حتى ٤٠ كيلو أورستد، والحقول القوية تراوح شدتها بين ٤٠ كيلو أورستد و١ ميغا. أما شدة الحقول القوية جدًا فهي تتجاوز ١ ميغا اورستد.

التأثير المتبادل المغناطيسي يؤدي دورًا مهمًا في الحوادث التي تجري في الكون.

وهاكم مثالين على ذلك يؤكدان الأفكار المذكورة. من المعروف أن الحقل المغناطيسي للنجوم يولد الريح النجمية الشبيهة بالريح الشمسية التي، وهي تقلل كتلة النجم وعزم عطالته، تغير مسار تطوره. ومن المعروف كذلك أن الكرة المغناطيسية (الماغنيتوسفير) المحيطة بالأرض تحمينا من الآثار المميتة للأشعة الكونية. ولو لم تكن هذه الكرة المغناطيسية موجودة لتغير تطور الكائنات الحية على سطح الأرض.



المغناطيسية وتطبيقات جديدة ومتجددة





تطوير مواد مغناطيسية جديدة مهم في مجال صناعة الكمبيوتر

التطبيقات

للمغناطيسية والمواد المغناطيسية عدة تطبيقات برزت إلى الواقع في غضون السنوات المئة الماضية.

فالمغناطيس الكهربائي، مثلاً، هو أساس المحرك الكهربائي والمحولة. وفي السنوات الأخيرة كان تطوير مواد مغناطيسية جديدة مهمًا كذلك من أجل صناعة الكمبيوتر، فتصنيع ذواكر الكمبيوتر يتم باستعمال قطاعات الفقاعة Bubble Domains. وحسب هذا الاتجاه. فإن «الفقاعة» تشير إما إلى واحد وإما إلى الصفر، وبذلك فهي مفيدة كواحدات في النظام الثنائي العددي في الكمبيوترات. المواد المغناطيسية مهمة كذلك بصفتها عناصر أساسية في الأشرطة والأقراص المستعملة في تسجيل البيانات وتخزينها.

بالإضافة إلى الوحدات المغناطيسية ذات الحجم الذري فالمغانط الكبيرة القوية مصيرية، ولا يستغنى عنها لعدد من التكنولوجيات الحديثة. فقطارات الرفع المغناطيسي تستعمل مغانط قوية تسمح للقطارات بالطوفان فوق السكة فينعدم الاحتكاك بين العربة وبين السكة. كما وتستعمل الحقول المغناطيسية القوية في التصوير بالطنين المغناطيسي النووي، وهي أداة مهمة للتشخيص المرضي يستعملها الأطباء اليوم.

أما المغانط ذات الناقلية الفائقة فتستعمل اليوم في أقوى مسرّعات الجسيمات للمحافظة على الجسيمات المسرّعة مركزّة، وتتحرك في مسار منحنٍ يحقق أغراض البحوث العلمية.

الخاتمة

باختصار شديد، المغناطيسية صفة عامة للطبيعة، وهي تحيط بكل شيء. ومع أنها قديمة قدم التاريخ، إلا أننا - حتى الآن - لا نعرف عنها الكثير. ومع أن عنوان المقالة الحالية يوحي بأننا نعيش في ثورة جديدة للمغناطيسية وبأنها تمر بمراحل متتالية من المد والجزر، إلا أن الأصح أن نقول: إن المغناطيسية هي هي تعيش صعوداً مستمراً وتطبيقات جديدة ومتجددة، وهي تساهم في جميع الإنجازات الهندسية الحديثة من دون استثناء.

ولا أدل على ذلك من ثورة المعلومات التي نعيشها حالياً حيث يتم تخزين المعلومات واسترجاعها بشكل مغناطيسي. إن كشفنا لأسرار المغناطيسية سوف يفسح المجال لحل الكثير من المسائل التقنية التي يفرزها الواقع المعاصر، مما سيقودنا إلى آفاق مستقبلية أوسع وأرحب.

المراجع

١. د. مظفر شعبان: المغناطيسية والحياة، مجلة «الجيل»، أيار/مايو ١٩٩٦م.
٢. المغناطيسية: مجلة «العلم والحياة» الروسية، شباط/فبراير ١٩٨٨م.
٣. بإشراف أحمد شفيق الخطيب: الموسوعة العلمية الميسرة ط٢، مكتبة لبنان ١٩٨٥م.
٤. ميتشل ويلسون (تعريب وجيه السمان): الطاقة، منشورات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٤م.
5 - "Magnetism" Microsoft Encarta 98 Encyclopedia. Microsoft Corporation.
٦. ج. د. ليفنكستون: مئة عام على الذواكر المغناطيسية، مجلة العلوم، شباط/ فبراير ٢٠٠٠م.

مصادر الصور: الإنترنت

لا وطن ولا منفى!!

سعود بن سليمان اليوسف
الرياض - السعودية

إلى أين
يا من تهاجر مثل طيور الصدى!
قد اهترأت لثغاتُ الربابة
جفّت خطاك على مرهق الدرب
جفّت
وما زلتَ تغدق حلوَ الحدا!!
إلى أينَ
يا منْ تسافرُ في اللاشعور
كطفل يتيم
- وقد أترف البؤسُ أحلامَه -
وهاهو في ليلة العيد
بالثوب قد وعدا
إلى أين
يا جارفَ التيه
هذي نجومُ الهدى
تمدُّ إليك اليدا
وأنتَ ترفُّ ترفُّ
كبشرى صغير
أضاع بباذخ فرحته
رونقَ المبتدا!!
إلى أين؟!
أدمنتَ أنت الرحيلَ
إلى أن غدا
يسافر فيك الرحيل
متى تمنحُ الراحةَ الموعدا؟
حقائبُك المرهقاتُ تُعبئها غربةٌ
حاملاً نحو منفاك زنزانةً من شجون
تبادلك الطرقات!
فمن كفُّ منفى



إلى كفِّ منفى !!
سُدًى في سدى
نثرتَ زوابعَ الذكريات
وتنحتَ لونك في كلِّ أرض
تعلّق صوتك ممتقعًا
فوق جيد المدى
إلى أين
تُسرج صهوةَ ذاك الضياع
تهاجر نحو غد
كلما انفثأتْ شهقةُ الأمس في الذاكرة
وتُطعم نفسك للدرب
تنبش نفسك من بين بين ركام الورى
كبُؤس النّدى
إذا لم يرَ الزهراتِ الندى
تُغنّي...
ولكن لمن أنت تشدو
إذا شحّ حتى يردّ أغانيك الشاحبات

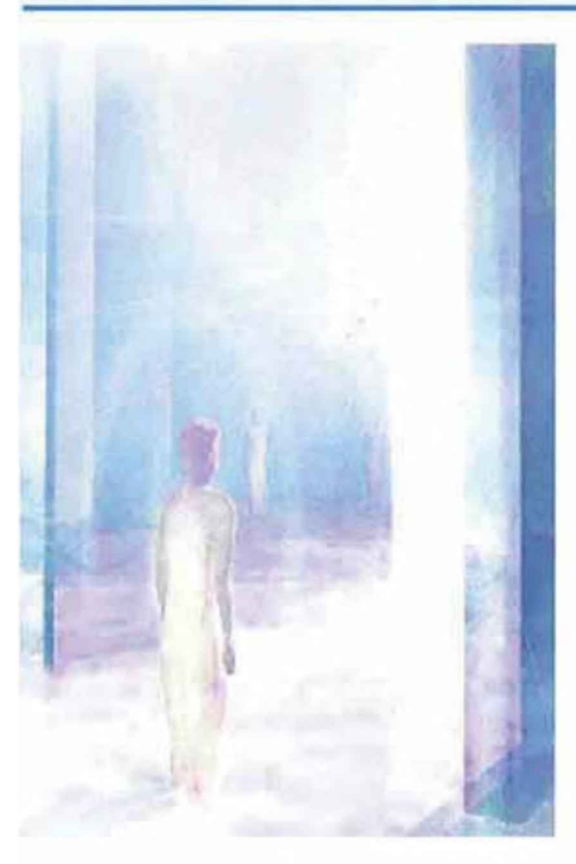
الصدى؟!
إلى أين؟!
ياجامحَ الفكر
مثلَ حصانٍ
وفارسُه مثخنٌ بالطموح
رويدكَ
أرهقتَ ظلّكَ
أشعلتَ حمحمةَ الدرب
مهلاً
فلن يأتيَ الغدُ إلا غدًا
إلى كم تُفتّش عن موطنٍ؟
أنت أنت الوطنُ
متى تمنح الوطنَ الموعدا؟
إذا أنت غنّيتَ...
يكفيكَ
أنك تَطربُ أُنسًا
لصوتك حين شَدا

رهبة الظل

محمد إبراهيم يعقوب

جازان - السعودية

صحا بدءُ ترحالي وأدركَ آخرَه
ولم يدرِ ما الذكرى ولا من يُذاكرُهْ
على إثر ما همّت به الريح.. طوّفت
به الروح.. والزاد المُسجّى مشاعرُهْ
تشهّاه صوت الليل حتى أدارهُ
كؤوسًا.. وحتى لم تعتّق دوائرُهْ
يُروّي به العشاقُ قلبًا مُدلّهًا
وتاريخُ وجْدٍ قد تراخت ستائرُهْ
أيرقص في رُجعى حنايا تناثرت
رحيلٌ.. وفي كلّ التفاتٍ تُساورُهْ!
رأى النفسَ لا تقوى على البَوح فانتهى
به السعيُ.. أن تحنو عليه ضمائرُهْ
وقد كان نجواها التي لم يبُحْ بها
وإن كان أحيانًا تُرجّى محاجرُهْ
يُحدّثُ عنها من ترى سوف يشتهي
حديثَ غريبٍ.. ضنَّ بالطرْقِ زائرُهْ
وينحت تمثالاً لها من صبابةٍ
وما نفع تمثالٍ.. إذا عنّ خاطرُهْ
وأقسى من الخطْو الذي صار لوثةً
ملاذٌ.. وإحساسٌ.. ودمعٌ أحاذرُهْ؟
وكيف اتّقائي رهبةَ الظلّ والمدى
نبوءاتُ شمسٍ والزوايا خناجرُهْ
وكيف أعيد الحلمَ ليس سوى فمي
وليس سوى وجه المرايا أحاورُهْ؟
معي كلُّ ما يصبو له الرّكْب من مُنى
ولكنّ لي حظًا تقدّم عاثرُهْ

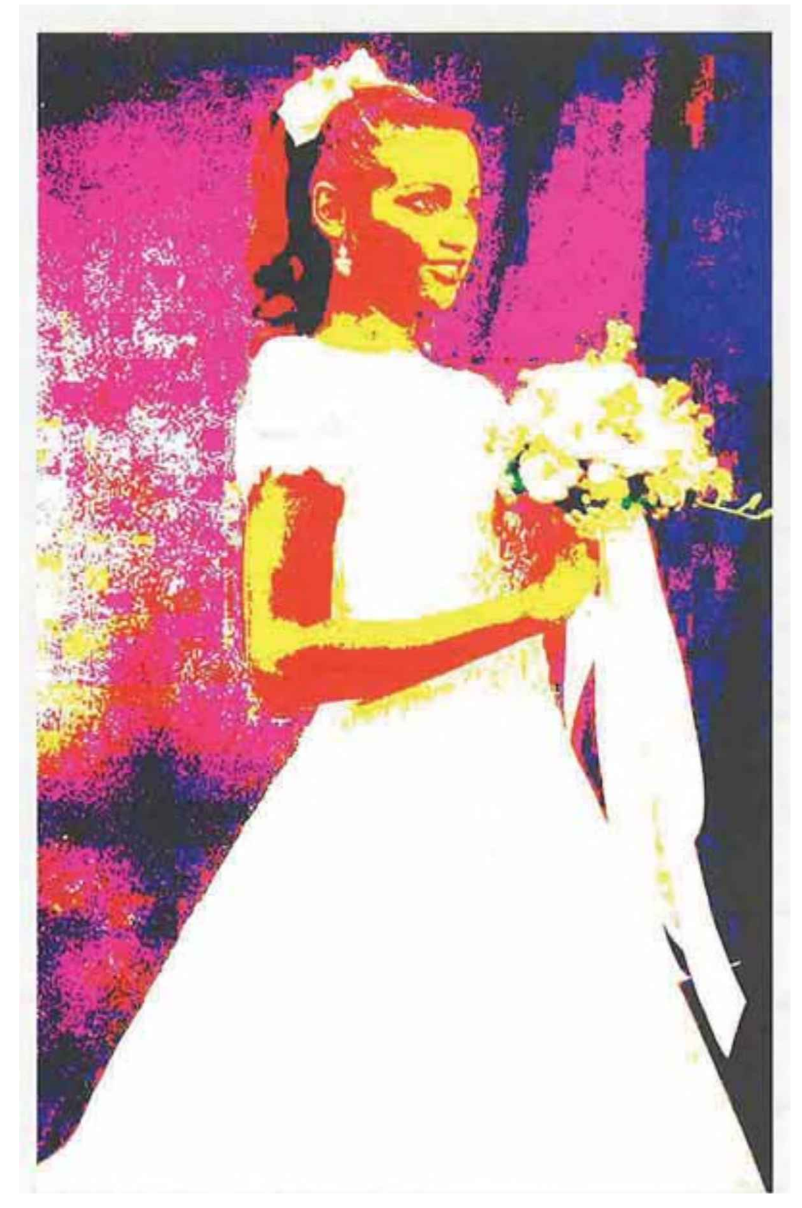


وقد يسرق الموتى حياةً.. وربما
يبيت اللبيبُ الحرُّ تدمى محابرُهْ
حياةٌ لعمري ترشق الصدقَ بالكوى
وتُغوي.. على أن الغوى لا تُخامرُهْ
حياة على حدّ الشفاه.. تزلّفتْ
إلى الخرْس والفنُّ استُبيحتْ منابرُهْ!
وما كلُّ من أسدى إليك صنيعةً
تُكِنُّ له ودًا وتحلو مرائرُهْ
ولا كلّ من يحنو عليك تُجِلُّهُ
ولا كلّ من أثنى عليك تُبادرُهْ!
وبين اقتطاف الصبرِ والصبرِ والجنى
مسيرةُ منبوذٍ تغشّى بصائرُهْ!
فيا أيّها العمرُ الذي قام دونه
طموحي الذي أشقى به وأكابرُهْ
لقد كنت أرجو هدأةَ الحبّ في دمي
ولكنّ بعض الحبّ.. تُبلى سرائرُهْ



خالد أبو حمدية

إربد - الأردن



لم أرها في الثوب الأبيض

تحمل إكليل الورد، وتجلس ذات زفاف

فوق «اللّوج»(١)

لكن أذكرها

حين باحت بمساءٍ شتوي

ما نفع الحب إذا عاث بمركبه

البحرُ، وكسّر دفّته الموجْ

لم أرَها

لكنّي بعد سنين رأيتُ على صفحة

أحلامي

عيني أنثى ذابلتين

جفّفَ ماءهما

طفلان

وزوجْ.

الهوامش

١. «اللّوج» الشيء المرتفع، وهو المكان الذي يجلس عليه العروسان في العرس، تعلوه الزينة والورد.



اليتيمة

سُويد بن أبي كاهل*

بَسَطَتْ رابعةُ الحبلَ لنا
فوصَلْنا الحبلَ منها ما اتّسعْ(١)

حُرّةٌ تجلو شتيتاً واضحاً
كشُعاعِ الشمسِ في الغيمِ سطعْ(٢)

صقلَتْهُ بقضيبٍ ناضرٍ
من أراكٍ طيِّبٍ حتّى نصعْ(٣)

أبيضَ اللونِ لذيذاً طعمُهُ
طيِّبَ الرِّيقِ إذا الريقُ خدعْ(٤)

تمنحُ المرآةَ وجهاً واضحاً
مثلَ قرنِ الشمسِ في الصحوِ ارتفع

صافيَ اللونِ وطرْفاً ساجياً
أكحلَ العينينِ ما فيه قمَعْ(٦)

وقروناً سابغاً أطرافُها
غلّلَتْها ريحُ مِسْكٍ ذي فنَع(٦)

وكذاك الحبُّ ما أشجعَهُ
يركبُ الهولَ ويعصي من وزع(٧)

وإذا ما قلتُ ليلٌ قد مضى
عطفَ الأوّلُ منه فرجع

يَسْحَبُ الليلُ نجوماً ظُلَّعاً
فتواليها بطيئاتُ التَّبَع(٨)

فدعاني حبُّ سلمى بعدَ ما
ذهبَ الجِدَّةُ مني والرَّيَع(٩)

خبَلَتْني ثُمَّ لمّا تشفني
ففؤادي كلَّ أوبٍ ما اجتمع(١٠)

تُسمِعُ الحُدّاثَ قولاً حسناً
لو أرادوا غيرَه لم يُسْتَمَعْ

كم قطعنا دون ليلى مَهْمَهاً
نازحَ الغَوْرِ إذا الآلُ لمع(١١)

في حَرورٍ يَنْضَجُ اللحمُ بها
يأخذُ السائرَ فيها كالصقع(١٢)

من بني بكرٍ بها مملكةٌ:
منظرٌ فيهم وفيهم مُستَمع

الهوامش

*هو أبو سعد سُويد بن شُهيب أبي كاهل بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد بن سعد بن جُشم بن ذُبيان؛ وأمه امرأة من بني غُبر كانت زوجاً لرجل من بني ذبيان مات عنها وهي حامل فتزوجها أبو كاهل شُهيبٌ. فلمّا وُلد سُويدٌ ألحقه أبو كاهل بنسبه، وقيل بل كان سويد يافعاً لمّا تزوّجت أمه أبا كاهل.

جاور سويد بني شيبان فأساؤوا جواره فانتقل عنهم وهجاهم، كما هاجى زياداً الأعجم.

وقد أدرك سويد دهراً في الجاهلية ثم عاش في الإسلام حتى أدرك ولاية عامر بن مسعود الجُمحي على الكوفة (٦٤ ـ ٦٥هـ/٦٨٣م)، ثم مات بعد أن أسنّ كثيراً.

١. رابعة: محبوبة الشاعر. بسطت لنا الحبل: أتاحت لنا فرصة الوصال والتمتع. فوصلنا الحبل منا ما اتسع: تمتعنا بها ما أمكن التمتع.

٢. حرة: بيضاء اللون بياضاً لا يخالطه عيب من كلف أو نحوه. تجلو: تبدي (إذا فتحت فاها). شتيتاً (أسناناً متفرقة)، وذلك من علامات الجمال والسعد في الإنسان. واضحاً: أبيض نقياً.

٣. قضيب ناضر (أخضر، جديد) من أراك: شجر تتخذ منه المساويك. ٤. خدع: فسد، تغير ريحه (إذا ريق غيرها تغيرت رائحته).

٥. الساجي: الهادئ، الساكن. القمع: كمد (اغبرار في اللون) أو ورم في طرف العين.

٦. القرون: ذوائب أو جدائل الشعر. سابغاً أطرافها: طويلة. غللتها: تخللتها، شاعت فيها. الفنع: ذكاء (شدة) رائحة المسك. ٧. الحب (بكسر الحاء): المحب، العاشق. وزع يزع: عذل، منع، نهى.

٨. الظلّع: جمع ظالع: من ظلع النجم في السماء إذا بدا وظهر. التوالي: (النجوم) التي تتلو غيرها... غابت نجوم (بدأ الليل ينقضي)، ثم أبطأت التوالي (النجوم الباقية) في اتباع النجوم التي غابت.

٩. الجدة: نشاط (الشباب). الريع (في الأصل بسكون الياء): أفضل (الشباب) وأوله.

١٠. خبلته: سلبت عقله (بحبها). لما تشفني: لم تشفني إلى الآن (وأمل أن تشفيني في المستقبل). كل أوب (صوب): مشتت، حائر.

١١. المهمه: القفر، الصحراء. نازح (بعيد) الغور: العمق (وهنا ـ الامتداد والاتساع). الآل: السراب. لمع السراب: كثر واشتد (اشتد الحر).

١٢. الحرور: شدة حر الشمس. كالصقع: شيء كالصقع (الحر الذي يصيب الدماغ، ضربة الشمس).

قبور مؤقتة

زهور أونيسي
القبة ـ الجزائر

خطوة نحو التاريخ وأنا أدخل البوابة الكبيرة للمتحف، شعور بالغربة حملت عدواه إلى قلبي نظرات الشخصيات المؤطرة على جدران المعرض، نظرات فيها العنفوان والثقة وكل معاني النبل، كانت النظرات تفتقد إلى معنى واحد هو معرفة هذا الحاضر الذي أعيشه ويعيشه غيري من الناس، لقد كانوا يجهلون جهلا كاملاً ما يخبئه الغيب، ومفاجآته.

وقفت أتأمل الوجوه الرموز للمرة الألف، وللمرة الألف كنت أحس بذلك الخيط الرفيع المتين الذي يربط بين دنياي ودنياهم، يربط بين اغترابي في دنيا اليوم، واغترابهم عن دنيا اليوم، الدنيا بالنسبة إليهم كانت لحظة تضحية يدفعونها فدية إلى دنياي اليوم، ودنيا غيري من الناس، دون أن يعلموا أن أجمل حالات الدنيا القادمة هي لحظة تضحيتهم.

ويخرجني من حالة التيهان داخل الاغتراب في ماض قريب بعيد، صوت لطيف يحمل التحية ويباشرها بالفعل.

تحية الناس في شرق بلادي، لا تقتصر على المصافحة، إنهم يعشقون القبلات، وفي بعض الأرياف يقبلون من الفم إلى الفم.. صاحب التحية وهو يسلم علي كان كنخلة راكعة، أو قامة مسلجة، وعينان تقولان كل شيء ولا تقولان شيئًا.

كان خجلاً وجلاً وجريئًا في آن.

قلت مُرحِّبة:

ـ مالك؟ أين ابتسامتك؟

ـ قال: ها أنا ذا أبتسم، ألا ترين ذلك؟

ـ قلت: بل أراها، لكنها تخلو من الشباب.

ـ قال: إنه جدي.

ـ قلت: أنت أم جدك؟

ـ قال: بل هو جدي، إنني مقيد، سجين دنياه، رهين أفكاره، منذ أن كنت مشروع حفيد له، أفكاره قبل أربعين سنة تطغى على أفكاري اليوم، تكاد تقول كل شيء عن عالم الأمس وعالم اليوم، لقد قال كل شيء، ولم يترك لي مجالا لقول شيء، انظري وجهه، ألا يبدو لك حيًا أكثر من غيره من الوجوه؟!

قلت: ووالدك ما رأيه في ذلك؟

قال: والدي جاء بيني وبين جدي، وكأنه حامل لرسالة بيولوجية، أنجبني وأعطاني اسم جدي الشهيد، لقد انتهت المهمة بالنسبة إليه بتخليد اسم والده، ولم يكن ليهتم كثيرًا بأفكار جدي المبعثرة هنا وهناك في أوراق الماضي.

قلت: تريد أن ترتب أفكار جدك من جديد؟ ألم تكن مرتبة؟ لقد قرأناها جميعًا وفهمنا محتوياتها، وكانت بالنسبة إلينا نقاطًا مضيئة في ليل كان دامس الظلام. وظرف جفت فيه الأحلام، ونضبت معه عيون الأمل.

قال: ولا تزال كذلك، لكن...

قلت: ولكن ماذا؟ تريد أن تلبسها ثوبًا حديثًا؟ إنها حديثة مادام موضوعها يحدث كل يوم، الحرية، الجمال، الفن، الإبداع، القيم الإنسانية، ألا ترى معي أن نقطة البداية في الدائرة تلتقي مع نقطة النهاية؟

ـ قال: أي نعم، إني أرى كل ذلك.

ـ قلت: ولكنك خائف، لماذا؟

ـ قال: ولمَ لا أخاف؟ أخاف من الموت، إنني لا أعلم لماذا ولدت، ولأي هدف أعيش؟

ـ قلت: لنتحدث عن الحياة والموت.

ـ قال: بل عن الحياة بعد الحياة.

قلت: ولماذا لا نتحدث عن الموت في الحياة، وعن اغتراب الجسد، وغربة الروح والفكر.

قال: لنرجع، لنرجع إلى بيوتنا، قبورنا المؤقتة.

في هذه الأيام أحسست فعلاً بالوحدة، لقد كانت الوحدة تتنافس في داخلي بالرغبة.. الرغبة في كل شيء رغبة تلفها وحدة، تخفيها عن الأنظار، عن الرياح العاتية، والشمس الحارقة، تخفيها لتساعدها على النماء أكثر، كانت نفسي لها حوضاً كبيراً أو جوهرة داخل صدفة تائهة في بحر وجدان هائج.

المتحف يغص بالناس رائحين غادين أشكال من الناس.. يجمعهم خيط يدعى الذكرى، الاهتمام... اهتمام يدعى الإنسانية...

أطفال المدارس بملابسهم الملونة، شقائق نعمان بشرية، رؤوس صغيرة تخلو من الرطوبة والتعفن والأحكام المسبقة وجوه مشرئبة الأعناق نحو الوجوه الرموز وسؤال كبير يحوم في العين واللسان دون أية خلفية سوى حب الاطلاع والمعرفة:

ـ من هؤلاء؟ هل هم الأنبياء؟ هل هم الملائكة؟

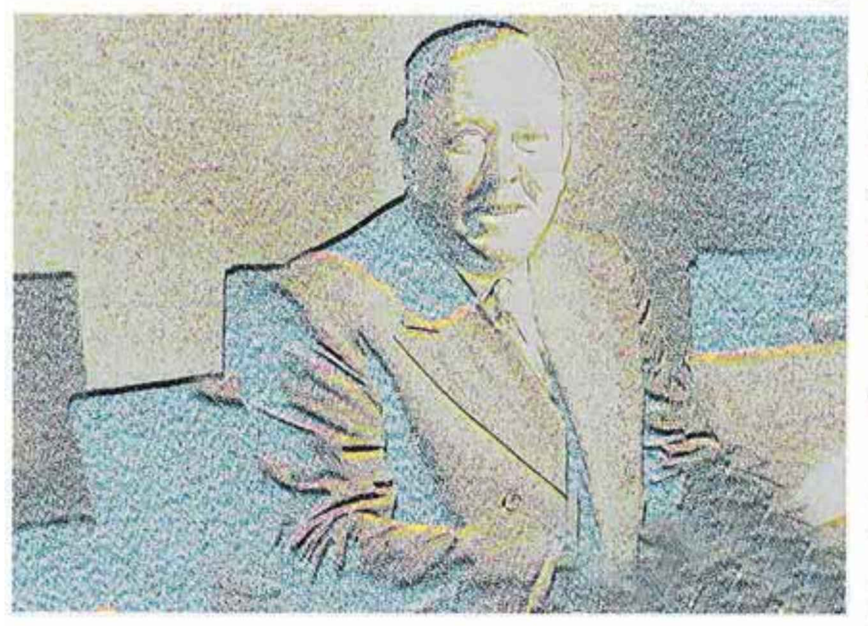
ـ لا هذا ولا ذاك إنهم.. المروءات.. إنهم النبلاء الشرفاء.. إنهم الفدائيون في كل العصور والأزمنة. إجابة لا تصلهم، إنها بداخلي فقط.

ـ وهل لإجابتي هذه صدق الحقيقة؟ من قال: إن الفداء قمة الإنسانية؟ أصبح ذلك هراء اليوم، قمة الإنسانية اليوم أن تسالم وتستسلم.. أن تبحث عن السلم في فضلات الحرب؟ أن تنكش في مزبلة الخنوع.. عن شيء اسمه المصالحة، في ركام العبودية عن ذرة أثر للحرية..

تغيرت المفاهيم.. ووجوه الرجال الرموز.. لا تريد أن تتغير أو تفصح عن شيء.. وصاحبي الضاحك الباكي يحاول أن يجد جواباً لسؤال جده عبر والده الذي كان حلقة بين جيلين، فقط جاء ليضعه على هذه الأرض بيولوجياً.

وأنا لا تزال تتحرك رجلاي، ويشرئب عنقي نحو الوجوه تماماً، مثل أطفال المدارس شقائق النعمان لقد حفظت أسماءها وأسماء غيرها ألف ألف مرة، ألفتها خيوط الذاكرة وقد عاشت بعضها مع بعض في أرض الواقع والحياة.. قبل أن يصبح هذا البعض هيولياً.. وأطياف ذكرى وكأنها لم تكن في يوم من الأيام إلا أضغاث أحلام وخيالات وأساطير.

يدق الجرس لندخل القاعة الكبرى حيث سنحتفل بذكرى هذه الرموز، سيتكلم الخطباء، ويشهد الشاهدون من الذين عاشوا مع هذه الرموز ولا يزالون على قيد الحياة.



وأستمع إليهم.. دون أن أفهم شيئاً.. إنهم يكررون كلاماً قيل المرة السابقة والتي قبلها وسيقولونه غداً دون استخراج أية عبرة أو نتيجة، كلام معاد مكرر هذا الذي يقولون..

أنظر حولي.. هل هناك سبيل للخروج.. للهروب، للتسلل دون أن يتفطن لي أحد... وأنسحب.. تاركة القاعة تصفق كالبكاء... لأجد نفسي مرة أخرى مع الوجوه الرموز وأعناق الأطفال مشرئبة.. تحمل ألف سؤال وسؤال.. ولا إجابة عنها سوى عيون الرجال الرموز وهي تملأ الجدران في صمت الموت وسر الحياة أعمق وأصدق من كل الكلمات.

الدَّرِيئة

شاهين تاتيكيان
ترجمة: نوفل نيوف
موسكو - روسيا

دوّت أربع طلقات في وقت واحد تقريباً.

جفل أرنب فوثب. إلا أنه كان قد ارتعب لا غير. ثمّ قفز قفزتين وولّى الأدبار.

فغر المقاتلون أفواههم وهم ينظرون إلى الأرنب الهارب.

دوّت ضحكة مرحة.. كان الضاحك جندياً بينهم لم يطلق النار على الأرنب، بل ظل متكئاً على بندقيته حريصاً على مراقبة ما يدور، ثم أطلق ضحكته فجأة.

التفت إليه رفاقه متعجبين، ثم ضحكوا هم أيضاً، ولكنهم كفّوا عن الضحك فجأة.

قال أحدهم:

ـ توقف، ما الذي يضحكك؟

ـ يضحكني؟ أرنب بحجم الفيل..

ـ انتظر، ـ قال الجندي نفسه وتقدّم منه خطوة. ـ إذا كانت إصابته سهلة إلى هذا الحد، فلماذا لم تطلق عليه النار؟

ـ لكنت أصبته. ـ ردّ الجندي بيقين. ـ كان أرنباً بحجم الفيل تقريباً.

ـ توقف. ـ وتقدم الجندي منه خطوة أخرى. ـ لا، توقّف.

كان شاباً ضخم الجثة، عريض المنكبين، وحين توقف بجانب رفيقه تبدّى للناظر الفرق الكاريكاتوري بينهما. فقد كان الجندي الذي ضحك أقصر بمرتين من هذا الجندي الجسيم الذي كان قائد المجموعة، ورأى في ضحك الصبي انتقاصاً من هيبته. كان بوسعه أن يلقّنه درساً لا ينساه، ولكن أيستأهل الأمر التورط مع هذا المخلوق الهزيل؟!

ـ عيب عليك ـ قال أخيراً ـ أنت نفسك لم تطلق النار، والآن تضحك من رفاقك. ما تزال غراً، لا تعرف قوانين صداقتنا، وإلاّ لشوّهت خطمك. ـ ثم أدار له ظهره راضياً، إلا أنه مع ذلك سأله ثانية:

ـ لماذا، إذاً، لم تطلق النار؟

ـ أشفقت على الأرنب!.

ضحك الجنود.

ـ ولدٌ ظريف!.

ـ أشفقت على الأرنب. ـ كرّر القصير مؤكداً أنه لا يمزح.

نفد صبر الجسيم فقال:

ـ انظروا إلى هذا المتبجِّح!

ـ لكنتُ أصبته!

ـ إذاً، فأنت ماهر في الرمي إلى هذا الحد؟

ـ لكنتُ أصبته!

التفت الجسيم إلى أصدقائه وغمزهم كمن يقول: انظروا ماذا سأفعل به الآن، ثم قال موجهاً حديثه للقصير: هل تريد أن نتراهن؟

قال القصير: إنني لا أخطئ الهدف.

قال الجسيم: اسمع لقد رأيت متبجّحين كثيرين، ولكنني لم أصادف نظيراً لك. تعال نتراهن.

قال أحد الجنود: علينا أن نسير.

اعترض الجسيم: لا، لا بدّ لي من تأديبه. أنتراهن؟

سأل القصير: ما الرهان؟

ـ نتراهن على كيس تبغ.

تم الاتفاق.

ثبّتوا علبة صفيح فارغة على جذع شجرة في الجهة المقابلة من الوادي، وتقرّر أن يطلق كلّ منهما خمس طلقات.

ـ من الأول؟

أجاب القصير: سيّان لدي.

كانت ثقته بنفسه قد أخرجت الجسيم عن طوره.

قال بغضب: ستبقى دون كيس تبغ. دوّت في الوادي خمس طلقات متقطّعة.

ركض الجميع نحو الشجرة إلاّ القصير.

قال لهم: إنني أصدقكم.

ـ هتف أحدهم بعد أن رأى علبة الصفيح: آه، ياولدي، لا تضيّع وقتك. تخلّ عن كيسك، لأنك مهما سعيت لن تحقق نتيجة أفضل.

ثبّتوا على جذع الشجرة علبة صفيح أخرى.

قال القصير عندئذ:

ـ القضية ليست فقط في التسديد الدقيق. بل يجب أن نأخذ في الحسبان حركة الهواء وقوّته، ودرجة الحرارة، وبعد إطلاق النار يجب أن نعرف رقم الطلقة. فبعد كل طلقة تتغير حالة البندقية والكتف واليد.

همهم الجسيم: يا سلام عليك، أمّا بروفيسور! لسنا بحاجة إلى ثرثرتك. أطلق النار، لقد أضعنا كثيراً من الوقت!

استمرّ القصير قائلاً بطمأنينة: لكنّ المسافة هنا ليست كبيرة جداً، ويمكن أن نلفت النظر إلى هذه الشروط. أمّا علبة الصفيح فإنها بحجم جمل، ـ غمغم قائلاً وتنكّب البندقية ثم أطلق منها خمس طلقات دون تسديد.

خُيّل للجميع أنه يطلق النار لعباً، دون هدف.

قال لهم: تحققوا، ثم تناول كيس تبغه واقتعد حجراً مريحاً وشرع يلفّ سيجارة.

قال الجسيم ببشاشة وهو ينظر إلى القصير: لا بأس، لقد أصبح كيسك لي ولكنني أضيّفك.

صاح نافد الصبر منادياً رفاقه الذين كانوا يتفحصون علبة الصفيح متعجبين: ... هيا يا شباب.

قال أحدهم: اعط كيسك لهذا الشاب، إنه يستحقّه. لقد كان له الحق في أن يتبجح.

ظن الجسيم لأول وهلة أنهم يمزحون، إذ إنّ هذا الشيطان أطلق دون تسديد. ولكن حين دقق النظر في وجوه رفاقه تناول علبة الصفيح وقلّبها بين يديه، ثم مد يده بكيس تبغه للقصير.

ـ لا بأس، قال الرابح وهو ينظر إلى العملاق بشيء من اللطف: لا تخجل، لفّ لنفسك سيجارة. ليكن، إنني أضيّفك.

ـ اسمع، إذًا فقد أشفقت على الأرنب حقًا؟

ـ آ ـ ها...

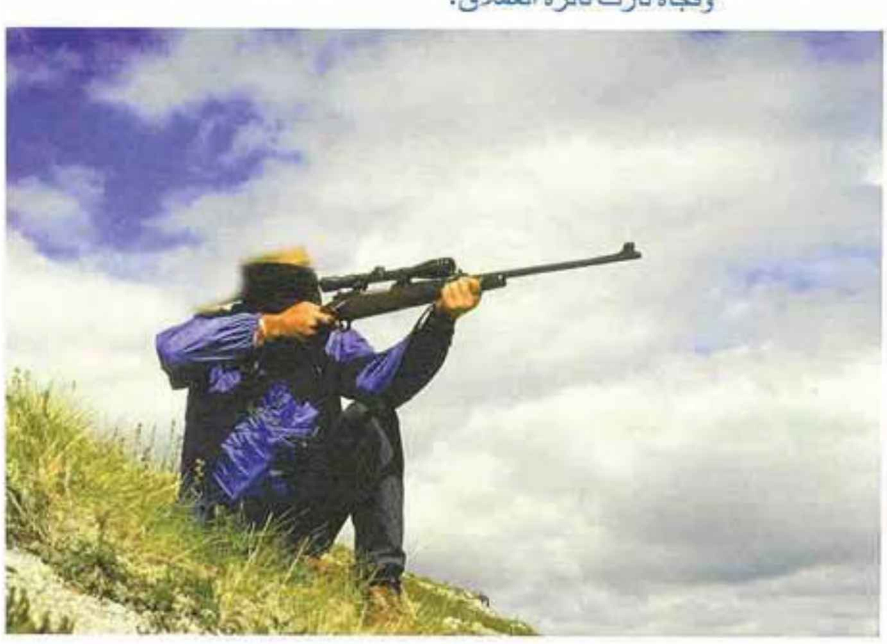
ـ فلماذا تعلمت الرماية، إذًا؟

ـ كنت رياضياً. رياضياً من الدرجة الأولى. اختصاصي هو الرماية. بل وقد اشتغلت في السيرك.

كان الجنود متحلّقين حوله، يدخّنون وينصتون.

ـ ثمّ دُعيت إلى الخدمة... وفرزوني عندكم.

وفجأة ثارت ثائرة العملاق:



ـ أنت، اسمع! هات كيسي.

بدأ القصير يقول: لكنني ربحته برهان شريف...

ـ لم تربحه في أي رهان شريف! أنت محترف. انظر إليه، يقول: إنه أشفق على الأرنب، ولكنه يبتزّ تبغي!

قال القصير: هاك، وناوله الكيس قائلاً: لكن هذا ظلم.

هتف الجسيم: ظلم! ودسّ الكيس في جيبه وهو ينهض.

ـ أشفق على الأرنب! انهضوا يا شباب، آن لنا أن نمضي.

نهض الجنود. وسار القصير في أعقابهم. كانت ترتسم على وجهه معالم الانزعاج والتعجّب.

فجأة قال أحد الجنود:
ـ ما هذا ياشباب؟
ـ أين؟
توقفت المجموعة.
أمامهم، على طرف الوادي، كان يتحرّك شيء ما بين الإنسان والحيوان.
أخرج قائدهم من جعبته منظاراً وقرّبه من عينيه.
ـ هم..م ـ قال ـ إنه جندي. ولكنّه عدو. إنه جالس يفعل شيئاً ما..
وناول المنظار لزملائه فأكدوا ما قال.
وحده القصير لم يشارك في ذلك، كان لا يزال مزعوجاً.
قال القائد: يجب ألا يلحظنا، حذار...
وما هي إلا خطوات حتى توقف.
قال للقصير: اسمع، هل تستطيع أن تصيبه من هنا؟
لم يجب.
ـ أسألك، هل تستطيع؟
ـ أن أصيبه؟
كرّر الجسيم: أن تصيبه. أعطوه بندقية القنّاصة يا شباب.
سأله القصير: لماذا؟
ـ كيف لماذا؟ إنه عدو!
ـ لكنك قلت يجب ألا يلحظنا..
ـ لقد غيرت قراري. تذكرت أن بيننا رامياً ماهراً!
ـ كلا، إنني.
ـ نفّذ الأمر، أيها الجندي، وإلا أخضعتك لقانون الحرب.. لئلا تشفق على الأرنب مرة أخرى.
كانت المجموعة تنتظر نتيجة النقاش صامتة.
وكان الجنود يدركون جيداً أن القائد لا يمزح، ويمكن للمسألة أن تنتهي نهاية سيئة.. كان القصير يدرك ذلك أيضاً وهو ينظر إلى عيني قائده المتقدتين غضباً.
ـ إياك أن تبطئ، واعلم أنني، إذا بقي ذلك الجندي حياً، سأرديك قتيلاً في مكانك بوصفك خائناً..
.. حقاً لقد أشفق القصير على الأرنب. ولم يسبق له في حياته أن أطلق النار على كائن حي. فقد كانت الرماية بالنسبة إليه نوعاً من الرياضة، شأن كرة القدم بالنسبة إلى غيره. وقف دون حراك يفكر بأن الرصاصة التي يطلقها ستثقب رأس ذلك الإنسان فيخر مضرجاً بدمه، تحدق عيناه المفتوحتان على سعتهما إلى السماء بعتاب.
ـ إي! ـ قال القائد مهدداً.
اقترب القصير ببطء من شجرة واتخذ مسنداً مريحاً. لكنّ يديه كانتا ترتجفان، وارتخت ركبتاه، وعذّبته رغبة بالتثاؤب.
قال القائد: إذا أخطأت الهدف.
طبعاً، إنه سيخطئ الهدف. وهل يمكن إطلاق النار في مثل هذه الحالة!.
تصوّر القصير مرة أخرى كيف تخترق الرصاصة رأس الإنسان وكيف يسقط وعيناه ذاهلتان تنظران إلى السماء بلوم. ولسبب ما فكّر بأنّ عيني ذلك الإنسان زرقاوان.
مرة أخرى أراد أن يتثاءب، إلا أنه تمالك نفسه خوفاً من أن يتقيأ.
ـ هيا!
ولحظة كان على وشك الإغماء أرغم نفسه على أن يتصور أن خصمه ليس كائناً حياً، بل دريئة رماية عادية. بالطبع، دريئة. وإن كانت تتحرك. تلك هي الحقيقة. إنها دريئة متحركة. وكانت طلقته دائماً تخترق من الشخص/ الدريئة ذلك الجزء الذي يسمى الرأس. لقد كان رامياً لا يضاهى في إصابة هذا النوع من الدريئات تحديداً.
توقف الارتجاف في رجليه أولا، ثم اختفت رغبته بالتثاؤب، واستردّت يداه الثبات.
دريئة متحركة..
فعلى هذا البعد، ولا سيما أثناء الرمي على دريئات متحركة، يجب أن نأخذ في الحسبان درجة حرارة الجو وقوة الهواء ووجهته وأن نعد الطلقات، إذا كان الرمي دراكاً...
تحقق من مؤشر بندقية القنّاصة وسدّد.
لم يتسرع وسدّد ببطء لأنه كان يعرف تماماً أن القائد سينفذ وعيده. لكنّ الشيء الرئيسي، على كل حال، هو أن أمامه دريئة متحركة، وقد كان يتمكن دائماً من إصابة الشخص /الدريئة في الجزء الذي يسمى الرأس...

ـ ٢ ـ

سرعان ما عثر على هذا المكان هنا ما إن خرجوا من القرية. جلس على حافة الوادي تمامًا، بالقرب من نبع رقراق يتساقط ماؤه قويًا من فوق صخرة. خلع جزمته وحل مزق القماش التي لف بها رجليه، ثم غسلها بالماء البارد ونشرها على العشب فجففتها الريح القوية والشمس سريعًا

أنزل قدميه في الماء. كان ثمة مسامير لحمية على أصابعهما شد ما آلمتاه أثناء المسير.

خف الألم في أصابع قدميه تدريجيًا، أخرج من جيبه سكينًا صغيرة، ولكن المؤسف هو أنها لم تكن حادة.

ومنذ مدة بعيدة كان يلبس حذاء ضيقًا سبّب له هذه المسامير اللحمية. وكانت أمه تقول له: «ولكن أي رجل أنت! انقع قدميك في ماء ساخن وقص هذه المسامير. أحقًا تخاف؟».

يومئذ كان يخاف حقًا. أما الآن فإنه يغسل قدميه بماء بارد ويتهيأ لقص مساميره اللحمية بسكين مفلولة.

غدًا سيذهب إلى الرقص.

هكذا قالت له الفتاة: «تعال غدًا إلى الرقص، وسنتكلم..».

منذ أسبوع وقطعتهم العسكرية متوقفة في هذه القرية، وها هو ذا قد استسلم للتفكير بفتاته لأول مرة في حياته. كان يتجنب الفتيات دائمًا، وكان أصحابه يسمّونه راهبًا. أمّا الآن...

«تعال غدًا إلى الرقص، وسنتكلم..» ـ وعدته الفتاة، وها هو ذا جالس يقص مساميره اللحمية على قدميه.

تستطيع في أثناء المسير أن تعرج وتتمايل، فمن ينظر إليك؟! أمّا في الرقص فيجب أن تكون حركاتك رشيقة. خفيفة وكأنك لا تلامس بقدميك الأرض. سيقول لها في أثناء الرقص: «أحبك.. إنني أحبك.. أحبك...».

سخافات! أحقًا ليس ثمة شيء آخر للحديث عنه! خير أن أقول: «تعرفين، إنني لأول مرة...». كلا، أيضًا ليس هذا. بالأحرى، هكذا: «تعرفين، أريد أن تدوم معرفتي بك مدى الحياة». وسأحدثها عن أمي.

اليوم سيكتب لأمه، إنه.. كلا، لعل الوقت لم يحن بعد ليحدثها عن الفتاة، وخير له أن يخبرها بأنه أخيرًا قص مساميره اللحمية. أتصور كيف ستتعجب: «ولدي أصبح رجلاً».

وبينما كان يفكر بذلك أنهى الجندي قص المسامير اللحمية على إحدى قدميه. ابتسم قائلا لنفسه: «كان شيئًا تافهًا».

وفجأة تذكّر أنهم قبل الحرب كانوا يسمّونه «حبيب أمه». خُيل إليه الآن أنه جندي منذ زمن طويل. منذ زمن طويل؟ كلا، فلم يمض على وجوده في الجيش إلا نصف عام.. شيء عجيب. طوال حياته لم ير مقدار ما رأى في غضون هذه الأشهر الستة.

بقي عليه أن يقص آخر مسمار لحمي. شرد مع أفكاره. أيُّ شيء غريب هو الزمن! إنه يستطيع أن يستوعب في أصغر جزيئة منه عددًا كبيرًا من الأحداث والتغيرات.

تبدت له هذه الفكرة بالغة العمق وتعجّب مرّة أخرى: «يبدو أنني أغدو فيلسوفًا».

أحس بفيض من الاحترام لنفسه. ومع أنه لم يكن بقربه أحد، فقد اتخذ هيئة متكبرة وقال بصوت مسموع:

ـ أترون أي شاب أنا؟

لأن مزاجه كان رائقًا جدًا، لأنه كان سيقول للفتاة غدًا كثيرًا من الأشياء الطيبة، لأنه قص مساميره اللحمية بهذه البساطة، لأنه كان سيكتب لأمه عن ذلك ويُفرحها. «لقد كبر ولدي، وأصبح رجلاً..». لأنه ظهرت لديه أفكار مذهلة العمق عن الزمن والحياة.

انحنى ليقص آخر مسمار لحمي.

وفي هذه الدقيقة نسي أن الزمن يتّسع حقًا لكل شيء. وأن أفظع التحولات يمكن أن يقع خلال ثانية واحدة.

... وحتى لو تذكر، لتعذر أن يخطر في باله أنه ما هي إلا بضعُ ثوان حتى كفّ عن كونه كائنًا حيا وتحول إلى درينة.

في هذه الأثناء كان قد أصبح درينة، شخصًا/ درينة تتحرك على مسافة ثمانمئة متر تقريبا... وعلى هذه المسافة تؤخذ في الحسبان درجة حرارة الهواء وقوة الريح ووجهتها، بل ورقم الرصاصة في أثناء الرمي..

ـ ٣ ـ

دوّت طلقة واحدة في الوادي.

طلقة واحدة فقط.

فلما اعتلى الرجل الكوبري

السيد عبدالعزيز نجم
القاهرة - مصر

توقف عند ذروة المنحنى ونهاية مطلع الكوبري، ثم أشعل سيجارة. لسنوات طويلة يعبر الرجل كوبري «أحمد حلمي» وهو في طريقه إلى عمله في بداية شارع شبرا سيراً على الأقدام، شارداً.. جائز. داخل الأتوبيس يصارع روائح عفن عرقهم وهرس الأقدام.. ممكن. برفقة أحدهم من زملاء العمل، يتعلق به عنوة فيتسامران حول مديرهما العفي المتعافي.. محتمل. الشيء الوحيد غير المتوقع أن يحدث له ما حدث؟!

فتساءل: كيف تمضي كل تلك الساعات والأيام والسنون، ولا ينتبه إلى ما بان له؟.. لماذا لم يدرك شيئاً مما أدركه؟ هل يمكن للإنسان أن يمر على الزمن دون أن يعرف أنه يرى ويسمع ويشم ويتذوق ويلمس.. يحس ويشعر؟!.

لم يشغلني سؤالي طويلاً، أسئلتي التي طوقتني. فرحت بما حولي أكثر، كأنني طفل يظن أن كل الأشياء من حوله خلقت من أجله. مباحة. فنسيت دفتر توقيعات الحضور والانصراف والخصم المتوقع من راتبي المحدود.

اتكأت على سور الكوبري، ما زال يحمل بقايا رطوبة ليلة شتوية، ولم ألتفت إلى السواد الذي علق بساعدي. يبدو أنني زاحمت المارة من حولي وارتبك المرور، ليس بسبب كثرة عددهم وضيق الرصيف، بل لأن أغلبهم تعمد بحركة فضولية الوقوف إلى جواري وإلقاء نظرة خبيثة إلى الكنز. لم ير أحدهم ما رأيته، فيعاودون المسير. قد يعلق معلق بكلمات مشفقة على المجنون الذي يستمتع برؤية خلق الله والأشياء من فوق الكوبري، حتى قالها أحدهم ساخراً: «هوه فيه إيه؟ ما هو زي كل يوم؟! الظاهر إننا في موسم الباذنجان؟!». لم أنبس مفضلاً ما أنا فيه.

اندحت داخل جعبة الأصوات والروائح والمشاهد والدنيا الجديدة التي اكتشفتها. تلك التي أظن أنها واتتني عنوة. إنها لأناس لا أعرف.. لماذا أعرفهم؟ فلا أنا من رواد موقف أتوبيس الدلتا، ولا سيارات الأجرة (البيجو). أفضل القطار على كل وسائل النقل السريع، ليس لأنه أكثر انضباطاً، ولا لأنني أكره روائح المأكولات الريفية من العيش «البتاو» أو «الجبن القريش»، ولا حتى روائح الطيور الحية؛ أو المذبوحة المعلقة بكمكمات دمها الطازج.. أبداً، فأنا من عشاق تلك المأكولات أو غيرها لو أسعدني الحظ ونلتها في زيارة لأحد أقاربي. كل ما في الأمر أنني داخل القطار أشعر بضآلتي، مع قدرته الهائلة على حمايتي، ليس بسبب مهارة سائقيه، لكنه القطار، هو.. هو، بجسارته والتزامه تلك القضبان المتوازية التي لا تتلاقى إلا للمناورة واعتلاء اتجاه آخر.

الطريف أنني شعرت بالدهشة عندما قذفوا في أذني صوت صفارة قطار يقترب من رصيف محطة مصر القريبة جداً من موقع قدمي. كأنه أتاني وسط جعبة الأصوات المقلقة كي أطمئن. الحقيقة التي أدركتني هذه المرة، أن انتابني الاضطراب والوهن، وهن الذي نام طويلاً عن غير رغبة. هذه الحالة أعرفها تماماً عندما قضيت أسبوعاً كاملاً مقيداً بالسرير بسبب إصابتي بالتهاب في حوض الكلى.. فلا أستيقظ إلا لحاجة ثم أنام وأنام. تجرعت الأدوية غريبة المذاق حتى قال الطبيب: أخرج و(سيب) السرير.

وصحيح أنني لست من الفنانين أو عشاق الهدوء، ولا أقيم في حي الزمالك أو جاردن سيتي، لكنني اكتشفت فجأة أن كومة الأصوات الزاعقة كفيلة بإصابتي بالجنون أو الصمم. كيف لي البقاء داخلها، بل لماذا لم أسمعها من قبل؟ ربما لو صبرت عليها وبجهد ضئيل سوف تبين لي وأفك شفرتها لأميزها صوتاً.. صوتاً. فهي إما للباعة المتجولين الذين يفترشون الأرض حتى اختفى سواد الأسفلت المترب ما بين عربات خشبية يجرونها بأيديهم، أو تريسكلات يدفعونها بأرجلهم أو حتى تلك الخرق وأقمشة الخيام المتآكلة المسجاة على الأرض، يرصون بضائعهم في غير انتظام. لم يشغلني طريقة ترتيبهم لبضائعهم، أو نداءاتهم.. لست في حاجة إليهم. أما تلك المشاجرات.. تتقافز الرؤوس المكتظة وتتلاطم كفقاعات رغاوي الصابون هنا وهناك، فلا تحركني قيد أنملة، ولنفس السبب أتجاهل ذاك الطفل العنيد الذي يعدو صائحاً خلف قطة تفر منه ويأبى إلا أن يقبض على رقبتها فانفلتت وذابت بين أقدامهم غير عابئة بنداءاته أو صراخه. وغير تلك الأصوات كثيرة.

يعود الرجل ويهز رقبته في عصبية، فتتراقص كرة رأسه، يتمتم بيقين الواثق: «مؤكد أنني لم أدرك هذه الأشياء من قبل، وأشعر الآن أنني لست راغباً فيها!!».

يبدو أن الذي شارف على الخمسين بجسده وراتبه الضئيلين، بطول باله الذي يحسدونه عليه ولا يفسرونها بقلة الحيلة، بكثرة شجاراته مع زوجته الربعة العصبية، قرر قراراً. ففي ثوان ترك كل شيء.. كل الأشياء، إلا من تلك الرؤوس المتحلقة معاً.. وإلا

لماذا ظل محلقًا من عل، اعتلى السور غير مبال بالسواد الذي صبغ لباسه النظيف فوق منطقة الصدر. بقي معلقًا بتلك الشمطاء القبيحة بوجهها المحترق المجعد من أثر حرارة شمس النهار، أمامها الفتيات اليانعات يلتهمن بكل حواسهن ما تتفوه به العجوز مدعية أنها من مقولات الودع.

نسي الموظف المنضبط عمدًا أنه يقتحم باب المصلحة في تمام الثامنة صباحًا، حتى إن بعضهم يقسم أن قرقعة الخطوات الأولى من أقدام زميلهم عند المدخل، أكثر دقة من قرقعات بندول الساعة التي يوقعون أسفلها. تمامًا كما نسي كل تساؤلاته وحيرته. ما واتاه عنوة: «هل تكشف العنقاء الغيب حقًا، أم تخبرهم بما يطمئنهن» نطق سؤاله بصوت مسموع، لفت انتباه المارة أكثر. لم يعبأ، تابع: «مشتاق أنا لسماعها تكذب، تسرق مني بضعة قروش أنا في حاجة إليها، لكنني في حاجة إلى كلماتها الكاذبة أكثر».. ثم بدأ الاندفاع فوق منزل الكوبري المزدحم.



قد لا يجيب أحدنا إذا سأله سائل عن عمره وعن اسم أمه، ربما نسبب الخوف من لحظة نكتشف فيها تسلل الأيام من أجسادنا دون أن ندري! وربما بسبب الحسد، فكلنا منتسبون إلى أمهاتنا منذ الميلاد وحتى وقفتنا يوم الحشر. وإن أكثر ما يمكن أن نتأذى به هو ما يدعوننا به باسم أمهاتنا. أنا واحد من هؤلاء، لكني اعترفت وصرحت بما حاولت أن أخفيه أمام نظرات العجوز الحادة الآمرة: اسمك واسم أمك وتاريخ ميلادك.

صرحت بما لا أرغب، وإن حاولت أن أهمس لها بما أقول، لكن يبدو أنني اقتربت بشدة من شفتي العجوز وأنا على حال اللهاث بسبب ما جاهدته أثناء هبوطي.. فكان هواء شهيقي.. يعب زفيرها المحشو بأجواء المدابغ الكريهة، القريبة من منزل يوأمقتها. لم أنتزع رأسي، صمدت قدر طاقتي.. فسألتني أن أبوح بما أرغب في عيون الودع. ما إن لمستها شفتاي وتذوقتها عفوًا، أية مرارة تلك التي أبتلعها مع ريقي؟!. ارتجفت وصبرت لولا أن بانت لي أسنان العجوز السوداء المحطمة وحلقها المعتم، ترسم هيئة الضحم.. فلم أوشوش الودع، ولم تقرأ لي مستقبلي، تركتها مسرعًا غير نادم.

لا تدري وأنت في الطريق العام، لماذا يرتطم بك أحدهم ولا يعتذر؟! هذا ما كان معي فور أن تجاوزت دائرة العجوز. تقول حكايات الناس فوق أرصفة المقاهي وجلسات السمر خلف مكاتب الموظفين: «إننا أصبحنا أكثر جفاء وعنفًا»، ويفسرها آخر: «إنها اللامبالاة التي أصابتنا حتى في مشاعرنا تجاه الآخرين وتجاه أنفسنا»، ويعلق ثالث: «لأننا كدنا لا نستطيع السير بانتظام من شدة الازدحام». ومع ذلك كله وجدتني للمرة الأولى أشارك نفسي بإجابة جديدة بعيدة عن التحليلات النفسية والفلسفية، وأنا الآن بينهم غير مبال أرطمهم وأضحك، ليس لأنني أصبحت جلفًا، لكنني تمنيت أن أحس بجسدي المنتهك قادرًا على فعل شيء، ولو بإزاحتهم من أمامي عنوة. بذكاء وخبث تعمدت الابتسام الكاذب أدافع به عن نفسي.. كأني أعتذر لهم، وهو ما لم يخطر على بالي.. كنت أبتسم لتحقيق شيء ما في صدري، وتحقق.

كلما أوغلت في ساحة أحمد حلمي، شعرت بشيء ما جديد عليّ فأبتسم غير مبال.. لم تستوقفني نظراتهم ولا أجسادهم الفتية. لكن ما حدث أن استوقفني أحدهم يحمل كل ألوان الطيف على شكل بالونات منتفخة تعكس شموس الكون كله وتلمع.. في هدوء واستكانة تقدمت نحو الرجل المكتفي برفع بالوناته عالية في صمت، أشرت إليه بما يعني سؤال عن ثمن البالونة.

اكتشفت أنه أخرس، فقدمت له كومة صغيرة من العملات، سحب منها ما أراد، ولو كان أضعافه لوافقت.

فضل الرجل أن يقدم لي بالونة بلون زرقة السماء الشتوية.. لم يطل مقامها بين أصابعي ولم أخط ولو لخطوة واحدة بعيدًا عن مكاني. تركتها تعلو.. تعلو.. تعلو. خاطر غبي قذف إلى رأسي، شعور بالندم انتابني.. فأسرعت أعدو يلطمني الناس.. وألطمهم، هذه المرة في غير ابتسام. أتمنى لو اعتلي الكوبري، علني الحق بالبالونة ذات اللون السماوي، وأعيدها ثانية إلي..

فشلت، فبكيت.. لم أنجح في تحقيق ولو رغبة واحدة رغبتها بحق!!

كان قد وصل إلى أعتاب حافة منزل الكوبري. تأكد أنه لن يلحق بالبالونة، شعر باستعادة عافيته وأن ما انتابه من أفكار، وما أدركه عنوة على حين غفلة منه.. ليس جميلا على الإطلاق.

رويدًا تلاشت الأصوات والروائح والمشاهد.. حتى أجسادهم التي تزاحمه ويزاحمها، ما عادت تزعجه وهو في طريقه إلى مقر عمله الآن. لا يهم أن يكتب اليوم: إذن تأخير صباحًا لأول مرة في حياته العملية. فلما تقدم بخطوات مسرعة، أتاه صوت القطار من بعيد واهنًا، فتمتم إلى نفسه: «نعم، إنه القطار، هو.. هو، بجمارته والتزامه الذي أعرفه بهما»، ومرق من بين حدود باب المصلحة ثم اختفى.



النوبة بوابة العرب إلى إفريقية

النوبة
بوابة العرب إلى إفريقية

عبدالرحمن عوض

نشر في العدد ٣٠٦ من مجلة الفيصل الصادر في ذي الحجة ١٤٢٢هـ/فبراير - مارس ٢٠٠٢م مقال بعنوان: «النوبة بوابة العرب إلى إفريقية» للزميل العزيز الأستاذ عبدالرحمن عوض الذي تجمعني به الفيصل للمرة الثانية في حوار حول تاريخ النوبة، وليسمح لي الزميل العزيز بمناقشة بعض النقاط الواردة في مقاله وهي:

أولا: اختار الأستاذ عبدالرحمن عوض لمقاله عنوان: النوبة بوابة العرب إلى إفريقية، لكن القارئ لا يجد في غضون المقال ما يوضح أن النوبة كانت البوابة التي عبرت منها العروبة إلى إفريقية.

ثانيا: وصف موقع النوبة الجديدة بقوله: «... أما بعد بناء السد العالي، فقد تم تهجير النوبيين إلى وادي كوم أمبو.. إلى قرى شمال أسوان على مسافة ٤٠كم، متناثرة في نصف قطر يبلغ أكثر من ٢٠ كم هي النوبة الجديدة...»، وهذا الوصف ليس له علاقة بموقع النوبة الجديدة التي لا توجد كل قراها في وادي كوم أمبو، لأن هناك قرى أخرى تقع في وادي خريط وشعيث، كما أن أول قرية نوبية تقع إلى الشمال من أسوان بمسافة ٢٠كم، وليس ٤٠كم، وهي قرية بلانة، والتوزيع الجغرافي لقرى النوبة الجديدة ليس على هيئة نصف قطر كما ذكر الكاتب، ومن ثم فإن هذا الوصف لا ينطبق على جغرافية النوبة الجديدة.

ثالثا: ذكر أنه كان في النوبة مع بداية القرن السادس الميلادي ثلاث ممالك مستقلة، منها مملكة علوة التي لا أعتقد أنها مملكة نوبية، أما عن قوله إن عاصمتها سوبا تقع على النيل الأزرق شمال شرق الخرطوم، فإن الكاتب أضاف بذلك إلى خطئه التاريخي عن مملكة علوة خطأ جغرافيا، لأن النيل الأزرق لا يجري شمال الخرطوم بل ينتهي عندها، أما سوبا فتقع على النيل الأزرق جنوب الخرطوم.

رابعا: تحت عنوان: «النوبة والإسلام» تحدث الباحث عن أحوال دنقلة بقوله: «.. ظلت أوضاع دنقلة في عصر الولاة ٤٠ - ٩٢٦هـ/٦٦٠ - ١٥٢٠م يتخللها الكثير من الحروب والمعارك والقلاقل، ولعلها لم تنعم بالاستقرار إلا بعد عام ١٥٢٠م. من أهم أحداث تلك الفترات إقامة إمارة ربيعة الثانية (الأولى في البجة) في بلاد النوبة ٣٩٧م، بقيادة أبي المكارم هبة الله من ربيعة الفرس، المؤسس الثاني لإمارة الكنوز في النوبة...»، ولا أدري أي ولاة يقصد الكاتب؛ لأن التاريخ المذكور يمتد من خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى بداية العصر العثماني، والجدير بالذكر أن تعبير عصر الولاة يطلق على الفترة الممتدة من الفتح الإسلامي لمصر وطوال العهدين الأموي والعباسي حتى استيلاء الفاطميين على مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، واختصر الكاتب كل تاريخ العرب الحافل في النوبة بهذه الإشارة العابرة إلى إمارة ربيعة، ووضع أمامها تاريخا غريبا وهو سنة ٣٩٧م فهذه السنة تقع في القرن الرابع الميلادي أي قبل ظهور الإسلام بقرون!! ومن الغريب أن يذكر الكاتب أن أبا المكارم هبة الله من ربيعة الفرس، والمعروف أن ربيعة قبيلة عربية النسب فلماذا نسبها الكاتب إلى الفرس؟ وإذا كان غير ذلك فماذا يقصد بربيعة الفرس؟.

وكان يجدر بالكاتب الذي اختار لمقاله عنوان: «النوبة بوابة العرب إلى إفريقية» أن يستعرض تاريخ إمارة ربيعة العربية في النوبة، ويوضح للقارئ كيف استقرت القبائل العربية في النوبة بعد الفتح الإسلامي لمصر، وكيف تمكنت قبيلة ربيعة من تأسيس إمارة عربية في النوبة بعد أن استقرت بها عندما جاءت ضمن الجيش الذي أرسله والي مصر أحمد بن طولون إلى النوبة سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م بقيادة أبي عبدالرحمن عبدالله بن عبدالحميد العمري، واستطاع أبو مروان إسحاق بن بشر تأسيس إمارة ربيعة في منطقة مناجم الذهب بوادي العلاقي، التي حظيت بالاعتراف الرسمي من قبل ولاة مصر في العهدين الطولوني والإخشيدي.

وفي عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٧٦ - ٤١١هـ/٩٩٦ - ١٠٢١م) توطدت العلاقات بين الخلافة

الفاطمية وإمارة ربيعة في عهد الأمير أبي المكارم هبة الله الذي نجح في القضاء على ثورة أحد الخارجين على الخلافة الفاطمية فأنعم عليه الخليفة الحاكم بلقب كنز الدولة، وهو اللقب الذي ظل أمراء ربيعة يتوارثونه فيما بعد، واستمرت إمارة ربيعة تسيطر على أسوان والنوبة السفلى حتى تمكن أميرها كنز الدولة بن شجاع الدين من اعتلاء عرش مملكة المقرة النوبية في سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م.

هذا على الجانب السياسي، أما على الجانب الاجتماعي فكان يجب على الكاتب أن يستعرض الآثار الناتجة من التمازج بين العرب والنوبيين منذ الفتح الإسلامي لمصر، فقد استقر في النوبة بقسميها السفلي والعلوي عدد من القبائل العربية منها على سبيل المثال لا الحصر: مضر، وربيعة، وجهينة، وبنو جعد، وبنو عكرمة، وبنو عقيل. كما فات الكاتب الإشارة إلى هجرة القبائل العربية من مصر إلى النوبة ومنها إلى السودان.

خامساً: في أثناء حديثه عن المجتمع النوبي يذكر الكاتب ما أسماه «المجموعات العرقية»، وليسمح لي بأن أوضح له وللقراء بأنه لا وجود لمجموعات عرقية متباينة في النوبة بقسميها السفلي الذي يقع ضمن الحدود المصرية، والعلوي الذي يقع ضمن الحدود السودانية، لأن جميع سكان النوبة بقسميها يرتبطون بصلات المصاهرة والنسب التي جمعت بين النوبيين والعرب منذ الفتح الإسلامي لمصر، ومما يدل على ذلك أن أمير ربيعة كنز الدولة بن شجاع الدين تولى عرش مملكة المقرة بعد أن رشحه خاله الملك كرنبس في رسالته التي أرسلها إلى السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، ومما جاء في تلك الرسالة: «.. إذا كان مولانا السلطان يريد أن يولي البلاد لمسلم فهذا مسلم، وهو ابن أختي، والملك ينتقل إليه بعدي...»، وتوضح هذه الرسالة مدى التمازج بين النوبيين والعرب فها هو ذا عرش مملكة المقرة ينتقل من الخال النوبي إلى ابن الأخت العربي.

سادساً: عند حديثه عن المجموعات السكانية في النوبة قال الكاتب عن الكنوز: «يتحدثون الكنزية.. وهي توأم اللغة الدنقلاوية في السودان...»، والحقيقة أن الكنوز في النوبة السفلى، والدناقلة في النوبة العليا يتحدثون بلهجة واحدة هي «المتوكي».

سابعاً: ذكر الكاتب منطقة العرب تحت مسمى وادي العرب، وهذه تسمية خاطئة لأن وادي العرب هو اسم إحدى قرى منطقة العرب الخمس في النوبة السفلى، ولا تنتمي نسبة منهم إلى عقيل على حد قول الكاتب، بل جميعهم ينتمون إلى عقيل بن أبي طالب، وإذا كانت نسبةٌ منهم تنتمي إلى عقيل، فإلى من ينتمي الباقون، فكان على الكاتب الإجابة عن السؤال لكنه لم يجب!! ويذكر الكاتب أن بداية استقرار العقيلات بالنوبة كانت في القرن الحادي عشر الهجري، وقد اعتمد في ذلك على كتاب: «العقيلات والجعافرة وقبائل أخرى» لأحمد لطفي السيد، وأود أن أوضح للكاتب أن هذا التاريخ غير دقيق؛ لأن المؤلف قد استند فيه إلى عقد بيع مؤرخ في سنة ١٠٥٨هـ مما لا يعني بالضرورة عدم وجود العقيلات في النوبة أو أجزاء أخرى في مصر قبل هذا التاريخ، وأود أن ألفت نظر الكاتب والقراء إلى أن أحمد لطفي السيد لم يحدد في كتابه تاريخ نزول العقيلات في النوبة، بل كان حديثه عن نزولهم بسيناء. والرأي الراجح بموجب عدد من الأدلة التاريخية أن العقيلات نزلوا سيناء في القرن السابع الهجري، في حين تعود بداية نزولهم بالنوبة إلى القرن الثامن الهجري عندما قدم إلى النوبة مرعي بن سلمي الرواف العقيلي برفقة سبعة وثلاثين فارساً من العقيلات ضمن الحملة التي أرسلها السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون لتنصيب عبدالله برشنبو ملكًا على النوبة سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م، وأيّاً كانت لهجة العقيلات فلست أدري علام استند الكاتب في الربط بينها وبين من أسماها: «ربيعة بني كلب إحدى بطون قضاعة»، فلم يذكر الكاتب شيئاً عن هذه القبيلة التي تأثرت بها لهجة العقيلات، وهل لها وجود في النوبة؟ وأين حدث الاحتكاك بينها وبين العقيلات مما جعلهم يتأثرون بلهجتها؟

وفي الختام أود التعقيب على التعليق الذي كتبه محرر مجلة الفيصل في نهاية المقال، وجاء فيه أن المقال يتركز حول ما أسماه المحرر النوبة المصرية، ثم أصر المحرر على هذه التسمية بقوله: «... أما العادات والتقاليد فتتقارب بين النوبتين المصرية والسودانية لما بينهما من تداخل وصلات رحم...» وبذلك فقد قسم المحرر النوبة إلى نوبتين، وفاته أن النوبة واحدة سواء كانت في مصر أو في السودان، وستظل موحدة في وطن واحد لا يفرقها خط الحدود الوهمي الذي رسمه المستعمر.

د. فرج الله أحمد يوسف
فاكس: ٤٦٠١٠٦٥
- الرياض

التحرير:

نترك للأستاذ عبدالرحمن عوض خيار التعليق على هذا التعقيب الموضوعي للدكتور فرج الله أحمد يوسف، ولكن بخصوص الإشارة إلى النوبتين المصرية والسودانية، فإن ذلك جاء لأن الكاتب ركز حديثه في قرى الجزء النوبي الواقع داخل حدود مصر، وتناولها بالتفصيل تاريخاً وجغرافية، ولعل ذلك نابع من حكم معرفته الوثيقة بها، وإن كان قد أشار إلى التاريخ المشترك بين النوبيين عامة، وهذا الواقع لا ينفي وحدة النوبيين تاريخاً وعادات وتقاليد، وهذا ما أكده تعليق المحرر ولم ينفه.

علم الاكتناه العربي الإسلامي

مراجعة : محمد خير البقاعي
الرياض. السعودية

قال عبد الله بن أحمد المعروف بأبي هفّان المهزّمي(ت: ٢٥٧هـ): سألت ورّاقًا عن حاله فقال: عيشي أضيق من محبرة، وجسمي أرقّ من مسطرة، وجاهي أوهى من الزجاج، وحظي أشدّ سوادًا من العفص إذا خُلط بالزاج.

وقيل لورّاق وهو في النزع: «ما تشتهي؟ قال: قلماً مشقّا، وحبراً برّاقًا، وجلودًا رقاقًا».

بهاتين الطريفتين اللتين لهما ارتباط وثيق بعلم الاكتناه يمكن أن نبدأ الحديث عن كتاب الدكتور قاسم السامرائي الذي صدر مؤخراً عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. والدكتور السامرائي واحد من أعلام العرب المعاصرين في قضايا المخطوطات التراثية العربية، وأصول تحقيقها، وأماكن وجودها، وفهرستها، ومعرفة الأصيل من المزوّر منها.

وقد قدّم من مكان إقامته في مدينة ليدن في هولندا بحوثاً كثيرة في المجالات التي ذكرناها، وحاضر في غير جامعة عربية وغربية، وألقى غير بحث في غير ندوة ومؤتمر(انظر تقديم المؤلف، ص ٩-١٠).

مصطلح موفق

ولكن ما علم الاكتناه؟ قبل أن نترك للدكتور السامرائي أمر الإجابة عن هذا السؤال، نقول: إن كلمة «الاكتناه» مصطلح موفق اشتقّه الدكتور السامرائي من مجموعة من المعاني والدلالات التي تخص التقنيات المتبعة في مجموعة من العلوم الهادفة إلى حل غوامض المخطوطات، والخطوط، والكتابات القديمة، وقد كتب الأوربيون كثيراً من الكتب والأبحاث في هذه العلوم خدمة للمخطوطات اليونانية واللاتينية والهندية، وكان الأستاذ الباحث عبد الله المنيف قد استخدم منذ سنة ١٤١٦هـ كلمة «اكتناهي» في



علم الاكتناه العربي الإسلامي
تصنيف:
د. قاسم السامرائي
الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ٦٥٢ص، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

عنوان مقالة نشرتها مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، (مج١، ع١) وعنوانها: «وصف اكتناهي لمصحف في القرن التاسع عشر». واستفاد الدكتور السامرائي من كتب الأوربيين استفادة واسعة (ص٩) ليقدم لنا بما يتمتع به من حس نقدي مدرب، وتجربة غنية وطويلة، أسس هذه العلوم التي لم تُقدم مجتمعة، يأخذ بعضها برقاب بعض في أي كتاب عربي قبل هذا الكتاب. يجيب الدكتور السامرائي عن السؤال الذي طرحناه أعلاه، فيقول(ص١٧): يشتمل علم الاكتناه في اللغات الأوروبية على فنين هما:

- باليوغرافي Palaeography
- كوديكولوجي Codicology

فأولهما الباليوغرافي: وهو اصطلاح علمي يتكون من كلمتين: أولاهما: palaeo أو paleo وهي كلمة يونانية تعني قديماً، عتيقاً، بالياً، فلعلها مأخوذة من اللفظة الفينيقية: «البلى، من: بلي الشيء فهو بالٍ»...وثانيتهما: لفظة graphy اليونانية أيضاً، وتعني الكتابة أو رسمها أو نقشها وعلم معرفتها...وقد كان هذا الاصطلاح (باليوغرافي) في بداية استعماله معنيًا بالبحث في الوثائق المزورة، وهو ما يسمى بـ «حرب الوثائق»...بيد أنه اكتسب مفاهيم أخرى على مرور الزمن فصار يعني: البحث في كل ما هو مكتوب، أو منقوش، أو مرسوم، واختبار المواد المستعملة في هذه العمليات، وإخضاعها للتحليل والتركيب. ومن ثَمَّ استنباط النتائج منها، فأصبح فنًا علميًا، له قواعده وأصوله في البحث والاستنباط والاستقراء. ومع كل هذا، فهو فن يُعْنى بفك الخطوط القديمة، ورموز الكتابات الأثرية، والنقوش والمسكوكات، وذلك بدراسة أشكال النقود، وتطور هذه الأشكال عبر القرون منذ أن كانت على شكل قضبان وحلقات، ومن ثَمَّ سبائك معدنية مختومة، إلى أن أصبحت نقوداً بمعناها المعاصر؛ ومحاولة قراءة وجهها وظهرها، وحل ما تحمله من رموز وأشكال ذات دلالات دينية، أو عسكرية، ومن ثمَّ تحليل المعدن الذي سُكَّتْ منه، ومعرفة وزنها، وأبعادها القياسية، وأساليب صناعتها، وتقنيات ضربها. ومثل هذا التحليل يسري على الوثائق بصورها المختلفة؛ وذلك بدراستها، واستجلاء غوامضها، وقراءتها، وتحليلها، ومقارنتها مع غيرها، واستنباط النتائج الفنية والتاريخية والحضارية منها، ويكون هذا بإخضاع هذه الوثائق للنقد الداخلي، وللنقد الخارجي معاً للوصول إلى توثيق أصالتها، أو معرفة تزويرها...

أما لفظ Codicology فمكون من لفظتين أيضاً:

أولاهما: Codico أو Codex وجمعها Codices وتعني: الكراريس المضموم بعضها إلى بعض، أو بمعنى أعم: الكتاب المخطوط.

والثانية: لفظ Logy من Logos اليونانية، ومعناها: وصف، أو معرفةٌ، أو تعلمٌ، أو علم، أو دراسة وبحث، والاصطلاح يعني: علم دراسة الكتاب المخطوط أو صناعته، بما في ذلك صناعة الأحبار وفن التوريق أو النساخة والتجليد والتذهيب، وصناعة الرقوق والجلود والكاغد، وما يتبع ذلك من فنون، وما يتصل بها مثل: حجم الكراسة، ونظام الترقيم، والتعقيبات، والسماعات، والقراءات، والإجازات، والمقابلات وتقييدات التملك، وتقييدات الوقف، وما يظهر في نهاية المخطوطة؛ وهو ما أسميه بـ: تقييد الختام Colophon من اسم المؤلف، واسم الناسخ، ومكان النسخ، وتاريخ النسخ، وما إلى ذلك.

وهذان الاصطلاحان لا ينفصل أحدهما عن الآخر عند المحقق الخبير، أو المفهرس النابه الفطن الحريص.

كل تلك المعاني اختصرها الدكتور السامرائي في هذا المصطلح: علم الاكتناه العربي الإسلامي، وأضاف: (ناهيك) عن أن الخبير بعلم الاكتناه العربي الإسلامي، يجب أن يكون على معرفة جيدة، ودربة وافية بعلم تطور الخطوط العربية، وأنماطها، وتطور صناعة ورق البردي، والرق، والكاغد، والزجاج، والنسيج،

والنحاس، والحديد، والخشب، والأحجار الكريمة والرخيصة، أي: كل المواد التي كتبت عليها الوثيقة المخطوطة أو المنقوشة أو المرسومة، ويكون على علم واسع، بصناعة الأمدة (جمع مداد) والأحبار والمواد المصنوعة منها خلال العصور الإسلامية، والأصباغ والألوان وصناعة الجلد والتجليد والتذهيب والتزويق في كل قطر من الأقطار الإسلامية. ويتابع الدكتور السامرائي فيقول: «وهذا العلم - باختصار - يختص باستنباط المعلومات، واستقراء دقائقها على ضوء المعرفة التي اكتسبها الباحث بالمران والدربة أو بالدراسة والتدريب، وهو - بعد كل هذا - علم يتطلب دربة الآثاري، ومران المحقق الثبت، وخبرة المفهرس النابه الفطن؛ لأن الصعوبات التي تعترض الخبير في قراءة الخط وفك طلاسمه هي أهون بكثير من حل المعضلات في تواريخ الكاغد والمداد أو الحبر وطرز الخط أو التجليد وما يتبع كل ذلك. إضافة إلى المعلومات المختلفة في النص، فالمحقق والمفهرس لا يستغنيان عن المعرفة الواسعة بالشريعة الإسلامية، ومذاهبها، وأصول أحكامها، وما يتبعها من مختلف الفروع، كنظام الحسبة والشرطة وأنظمة الدواوين والأوقاف، فضلاً عن اللغة والتاريخ. ومثل هذه المعرفة الضرورية عند الخبير بعلم الاكتناه قد لا تتوافر في المحقق أو المفهرس، فيأتي بالطامات المخجلة في تحقيقه أو في فهرسته. وسوف نرى أن بعض هذه الطامات أصبحت من المسلمات العلمية، مع أنها لم تستند إلى أي براهين علمية ثابتة أو موثوقة. إضافة إلى كل هذا، فإن الخبير يجب أن يكون عارفاً بالمصادر والمراجع الأساسية المختلفة، وبأساليب استعمالها للوصول إلى توثيق معلوماته أو تعديلها أو إصلاحها أو دحضها. ومن هنا يجب أن يكون شعاره في البحث (شكَّ أولاً ثم وثِّق ثانياً)».

كتاب جامع

جمع كتاب علم الاكتناه في ٥٦٢ صفحة احتوت على موضوعات لم تُجمع من قبل في كتاب واحد؛ فبعد أن عرّف بعلم الاكتناه كما رأينا تحدّث عن أصل الخط العربي، وعن الأنباط والمؤرخين، وعن تاريخ الأنباط السياسي والحضاري، وعن الأنباط والأرقام، والأنباط والخط العربي، ثم عرض لتحقيق المخطوطات وأصول الفهرسة، وللمستشرقين وتحقيق النصوص العربية، وأورد رأيين في أصول التحقيق، وناقش قضية التحقيق عن نسخة فريدة، وقضية تحقيق المسودة؛ وفصّل مشكلات الفهرسة، وطراز الخط وبطاقة الفهرسة، وضرب مثالين تطبيقيين للبطاقة، وعالج تقييدات الوقف والتملك والشراء، ثم ذكر واجبات المفهرس ومعوّقاته، وأهمية الكشكول والكنّاش في التحقيق والفهرسة؛ وفي الكتاب حديث عن الإجازات، وعن تقييد الختام، وعن المِسطَرة، وعن التعقيبات، ورموز المقابلة، والكراسات، وأنظمة الترقيم؛ وفيه أيضاً معالجة لقضية صفحة العنوان، وحساب الجُمَّل، والخط العربي وأنماطه، وصناعة البردي والرق والكاغد.

وخص المؤلف صناعة الرق وتاريخ صناعة الكاغد والخطوط والعلامات المائية في الكاغد بحديث مفصّل مفيد، والأمر نفسه في قضايا صناعة المداد والحبر، وصناعة الكتاب الإسلامي وطباعته. أما التزوير في الوثائق والمخطوطات فقد تحدث عنه حديث العارف الخبير، الذي يورد أمثلة دالة كل الدلالة في بابها، وعالج في أثناء ذلك تعتيق الكاغد وتزوير السماعات، وقضية الغش في الكاغد؛ وأنهى الكتاب بالحديث عن المسكوكات والفهرسة، وبجريدة المصادر العربية، التي احتوت على مراجع مختارة في دراسة الخط العربي وفي صناعة الكاغد، وفي دراسة الأنباط والآراميين، وفي دراسة الأرقام، ثم جريدة المصادر الأجنبية، وجريدة الكشافات العامة، وذيّل الكتاب بملحق ضمّ عدداً من الصور.

إن الكتاب ثمرة عمل دؤوب استمر عدّة سنوات في مجال التراث العربي المخطوط بكل جوانبه الكتابية



والفنيــة والأثريـة، وكل مــا يمس الجـوانب الحـضـارية التـي شـهـدت تطوراً عظيماً أدى إلى استقرار العلوم والفنون والآداب على أسس حـضارية متينة. فالمؤلف يتصيد النصـوص الجميلة التي يحتاج الوقوف عليها إلى سنوات من الجـهـد والتتبع والصبر؛ وهي مزايا عزت في أيامنا هذه. لقد قرأنا كثيراً من الكتب التي اقتبس منها الدكتور السامرائي، ولم تستوقفنا النصـوص التي استـوقـفتـه، والتي نعـجب اليـوم مـن وجـودها فـي تلك الكتب، فنسـارع للتـأكـد مـن ذلك، فتظهر لنا الحقيقة جلية. كل هذا فضلاً عن المعلومـات المفيدة والنـادرة مـثل قوله في الصفحة(٢٥٣): «ولعل أقدم نص إسـلامي، عـدا القـرآن الكريم وصل إلينا مكتوباً على الرق هـو كتاب حاكم الصغد ديواشيني إلى الجراح بن عـبد الله الحكمـي، وتاريخه في حـدود سنة ١٠٠ ـ ١٠٣هـ، وقد اكتشف في طاجكسـتـان في سنـة ١٩٣٢م مع وثائق أخرى باللغة الصينية» وقد نشر صورة ذلك الكتاب في ملحق الكتاب.

التزوير شرقًا وغربًا

وفي الحـديث عن تزوير المخطوطات يجـد قـارئ كتاب الدكتور السامرائي حديثاً ماتعاً عن تاريخ تزوير المخطوطات الذي لم ينج منه لا التـراث العـربي ولا الغربي، ويذكر أمثلة عن مخطوطات بيعت بمبالغ كبيرة وهي مزورة بعناية لم تستطع الوسائل الآلية المتطورة معرفتها؛ مثال ذلك خارطة أمريكا التي اشترتها جامعة ييل في أمريكا بمليون دولار على أنها أقدم خارطة لأمريكا تسمى Vinland map، ويعود تاريخـهـا إلى القرن الثامن للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، وتضاربت الآراء حول أصالتها وتزويرها. وذكر أن بعض الأشخاص لم يتورعـوا عن تزوير نصوص التراث العربي لترويج مخطوطة مزورة كما حدث مع أحد مالكي نسخة المصحف التي قيل: إنها بخط ابن مقلة المقتول سنة ٣٢٨هـ، ومكتوبة على ورق الحرير، كتبها للخليفة الراضي بالله العباسي الذي تولى الخلافة سنة ٣٢٣هـ، وتوفي سنة ٣٢٨هـ، فقد قال مالكها: إن ابن خلكان ذكر أن الخليفة الراضي قد أخذ هذه النسخة من ابن مقلة بألف ألف يعني مليون دينار؛ وعندما أورد الدكتور السامرائي نص

ابن خلكان كـمــا هو اتضح أن ابـن خلكان لم يـذكـر المصحف، ولم يذكر المليون دينار في سياق الحديث عنه، وإنما في سياق آخر مختلف كل الاختلاف، ذي علاقة بحال ابن مقلة الذي تعهد بدفع المبلغ المذكور للزبانية الذين أذاقوه ألوان العذاب فأخذوا خطه (أي توقيعه) على دفع المبلغ المذكور.

وإن الصرخة التي أطلقها الدكتور السامرائي ضد دور النشـر النهمـة التي تنشـر الكتب اليـوم مزورة لتستحق الوقوف طويلاً، ولكننا نختصـر في هذا المقام ونردد مع المؤلف: «الحق أن هؤلاء السـراق غـيـر ملومين؛ لأن أغلب المشـتغلين بـالتحقيق فـي العـالم العربي - وبخاصة في العشرين سنة الماضية - يعوزهم التـدريب الدقـيق، والمران الطويل، والدراســة على شيوخ التحقيق الذين تناقص عددهم كثيراً، فدفعتهم

يجد القارئ كتاب الدكتور السامرائي حديثاً ماتعًا عن تاريخ تزوير المخطوطات الذي لم ينج منـه لا التراث العربي ولا الغربي

دكاكين الوراقين - أو ما يسمى دور النشر النهمة - إلى الكسب الحـرام السـريع علـى حـسـاب سـلامـة النصوص، فجنوا جناية تاريخية لا يسلمون من تبعتها المشينة في تشويه معالم النصوص، فزادوها عسراً على عسر، وشيناً على شين، فتضافرت أسباب كثيرة على تدفق هذا السيل العرم من التـحـقيـقـات غـيـر المحققة».

الإجازات العلمية

إن دواوين الشعـراء تنشـر اليوم ممسوخـة غـيـر طبعـة، وتضع عليها دور النشر أسماء وهمية، أو لا علاقة لها بالعلم والتراث والشعر، ولا تـقيم وزن بيت شعري واحد. وتفشت بين المحققين حتى الأكاديميين منهم ظاهرة الكسل وعدم المتابعة في مـجـال الكتـاب الذي يحققونه؛ والأمثلة على ذلك كثيرة عرضنا أمثلة عليها في كتابنا «الباقيات، قراءات تراثية» (ابن حزم الريـاض ١٤٠٣هـ/٢٠٠٢م). وقـد لفت نظري في القسم الذي خصصه الدكتور السامرائي لأهمية الإجازات العلمية التي يجدها المفهرس ملحقة بأوائل المخطوطات أو في أثنائها أو أواخرها في علم الاكتناه، قوله في الصفحة (١٦٩): «من كل ذلك أرجو وآمل أن تقوم إحدى المؤسسات الثقافية بتكليف جماعة من العـارفين بـتـجـمـيع السـمـاعـات والإجـازات من المخطوطات ودراستها، والتعريف بما ورد فيها من أسماء الأعلام ونشرها مصورة للتعرف على خطوط العلماء وتلامذتهم، لأن كثيراً جداً من الأسماء الواردة فيها لا ترد في مكان آخر، أو أن كتب التراجم لم تُعنَ بترجمتهم، أو أغفلت ذكرهم، فتكون هذه الإجازات سـجلاً يحـتـوي على أسـمـاء كـثيـر من العلمـاء المجهولين». لفت نظري هذا النص لأنه سبق لي فيما فرط من الزمن نشر كتاب الحافظ أبي طاهر السلفي (ت: ٥٧٦) «الوجـيـز في ذكـر المجـاز والمُجيز» (دار الغرب الإسلامي)، ووجدت عبْر اهتمامي بموضوع الكتاب أن المستشرق الفرنسي جورج فاجدا قام بعمل أولي في المجال الذي يدعو إليه الدكتور السامرائي، ولم أجد أبحاثه وكتبه بين مصادر الدكتور السامرائي، مع أنها مذكورة أيضًا في المقال الذي خصصته موسوعة الإسلام لمصطلح إجازة. وقد أولى فاجدا الإجازات الموجود ة على المخطوطات التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية الفرنسية عناية فائقة، فنشر كثيرًا منها، وعرّف بأعلامها، ونشر معجم شيوخ الدمياطي نشرة علمية محققة. ومما لفت النظر أيضاً أن الدكتور السامرائي يستخدم في الصفحة (٥٥) عبارة «الموسوعة الإسلامية» ترجمة للتسمية الغربية لهذه الموسوعة؛ وهي بالفرنسية: Encyclopédie de l'Islam، والترجمة الصحيحة، «موسوعة الإسلام»؛ لأنهم لو أرادوا وصفها لقالوا: Encyclopédie Islamique، وقد اعتاد المستشرقون الغربيون،

ومن أمَّ ديارهم من بني العرب أن يحيلوا إليها بالرمز الآتي الذي استخدمه الدكتور السامرائي في (ص٢٥ و٣٦)، وهو E.I مع ذكر رقم الجزء والصفحة إذا عادوا إلى الطبعة الأولى منها، وإذا عادوا إلى الطبعة الثانية استخدموا $E.I^2$ كما فعل الدكتور السامرائي في الصفحة (٣٨)، وهو في الصفحة (٥٥) يحيل إليها بعبارة عربية (الطبعة الثانية ٧٩/١). إن الاطراد في هذا المجال ضروري، والإشارة إلى الرموز أكثر ضرورة لقارئي كتاب الدكتور السامرائي ممن لا يعرفون لغة أجنبية، ولم يعتادوا طرق الغربيين في التعامل مع مثل هذه الكتب، والأمر نفسه ينطبق على كتاب بروكلمان الذي أحال إليه في الصفحة (١٧١) بطريقة المستشرقين GAL.S.II.155 وللعلم نقول: «إن الطبعة الأولى من هذه الموسوعة صدرت في ليدن - باريس عام ١٩١٣م في أربعة مجلدات وملحق، وظهرت الطبعة الثانية في المكان نفسه، عام ١٩٦٠م، وما زال صدورها مستمراً». ولا شك أن غير العارف سيجد صعوبة في فك هذه الرموز، وكان الأجدى أن تجري الإحالة إلى كتاب بروكلمان في ترجمته العربية الكاملة. وقد اعتاد المستشرقون ومن ألف طرقهم أن يضعوا في بداية الكتاب أو نهايته مثل هذه الرموز التي استخدمها الدكتور السامرائي، ثم يضعون اسم الموسوعة أو الكتاب كاملاً، وهو ما لم يفعله.

وأرى أيضاً أن ما ذكره الدكتور السامرائي في الصفحة (٢٥١) عن Palimpseste يحتاج إلى تعليق؛ لأن هذه الكلمة تدل أيضاً على العملية، أي التطريس؛ محو ما على الطروس والكتابة من جديد مستخدمين في الكتابة الجديدة بعض بقايا الحروف من الكتابة القديمة، وقد استخدم الناقد الفرنسي جيرار جينيت Gérard Genette هذه الكلمة عنوانا لكتاب Palimpsestes, La littérature au seconde degré (طروس، أو الكلام على الكلام)، تحدث فيه عما صار يعرف في النقد الحديث التناص أو التناصية (أي تداخل النصوص، وأن أي نص جديد هو إعادة كتابة لنص قديم باستخدام كثير من كلماته وحروفه؛ أي عملية تطريس) وقد ورد الأصل اليوناني واللاتيني للكلمتين خاطئاً والصواب: اليوناني: Palimpses-tos، واللاتيني: Palimpsestus، ويبدو أنه خطأ مطبعي. ولم أجد في حديث الدكتور السامرائي عن الأرقام وحساب الجمَّل إشارة إلى كتب التعمية واستخراج المعمّى، وتوضيح هل هذا العلم يفيد في علم الاكتناه في التعرف إلى بعض الإشارات الكتابية التي اعتاد الكتاب تعميتها أو غير ذلك مما يحتاج إلى دراسة وتمحيص، وقد مهد الطريق إلى ذلك الجزأين اللذين صدرا عن علم التعمية، ونشرهما مجمع اللغة العربية في دمشق، (الجزء الأول، ١٩٨٧م، والجزء الثاني، ١٩٩٧م) خصوصاً أن كتاب ابن وحشية: «شوق المستهام في حل رموز الأقلام»، الذي يذكره الدكتور السامرائي في الصفحة (٢٣) ينضوي تحت كتب علم التعمية، وهو يشتمل على الأقلام القديمة واللغات البائدة التي كانت بمنزلة نصوص معماة. وقد نشر الكتاب وجوزف فون هامر وترجمه إلى الإنجليزية، أما كتاب ابن وحشية الآخر الذي يذكره الدكتور السامرائي في الصفحة نفسها فقد نشره محققاً مع دراسة مستفيضة الدكتور توفيق فهد في المركز العلمي الفرنسي للدراسات العربية في دمشق.

> الصرخة ضد دور النشر النهمة التي تنشر الكتب اليوم مزورة لتستحق الوقوف طويلاً

إن ما ذكرناه هو بمنزلة تعاليق بسيطة على هذا الكتاب القيّم الذي يعدّ في رأينا من أهم الدراسات العلمية الرصينة، التي تسد ثغرة في المكتبة العربية كانت تنتظر باحثاً من طبقة الدكتور السامرائي خبرة وعلماً لينجزها.

سمير أبو داود: اشتريت «المجنون» بمبلغ لا يدفعه إلا مجنون!!

أجراه: حسين حسن حسين
قسم التحرير

«الناس فيما يعشقون مذاهب» وفقًا لهذه القاعدة الحياتية تتنوع مذاهب الناس واهتماماتهم وهواياتهم، بل إن ارتباط الإنسان بهواية من الهوايات قد يتطور إلى حد تصبح هذه الهواية جزءًا من شخصيته، وهكذا العلاقة بين الأستاذ سمير أبو داود والدوريات، فقد ولع بها، وقضى جلّ حياته يبحث عن نفائسها، وأنشأ مركزًا خاصًا من أهم أهدافه التنقيب عن الدوريات النادرة واقتناؤها مهما كانت قيمتها المادية، وأصبح المركز العربي للصحافة وجهة للباحثين والدارسين في مجال الصحافة، وفي مختلف المجالات التي تقتضي الوقوف على تطور المجتمع العربي من خلال ما عكسته الصحافة في المراحل المختلفة.

وفي هذا الحوار يقدم أبو داود صورة عن عالم الدوريات العجيب من خلال تجربته الخاصة.

ـ وقد ولجنا إلى عالمه بسؤال عن بداية تعلقه بجمع الدوريات، وتصنيفها، فأجاب:

** لا أتذكر البدايات تمامًا، ولكن أذكر أنه في عام ١٩٧٥م كان لديّ عدد قليل من الدوريات، فجاءني شخص، حاملاً مجموعة كبيرة من الدوريات، ولأنه لم يكن لدي المال اللازم لشرائها، استأذنت منه مدة ساعة، قمت خلالها ببيع غرفة (السفرة) بمبلغ ٣٠٠جنيه، واشتريت بثمنها تلك الدوريات؛ وظللت دومًا لا أحب أن أفوت أي فرصة لشراء أي دورية مهما كانت القيمة المطلوبة فيها.



سمير أبو داود

ـ وللتدليل على ولعه بالدوريات ساق حوارًا دار بينه وبين الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية في سورية، فقال:

•• قابلت الدكتور شاكر الفحام في إحدى زياراتي إلى سورية، فقال لي: سمعت أنك تملك ٢٠٠ دورية.. فهل هذا صحيح؟

قلت له: من قال لك ذلك، فقد بالغ كثيرًا.

قال: لقد كان هذا هو رأيي.

قلت: نعم.. إنه أكل صفرًا.. لأن العدد هو ٢٠٠٠ دورية وليس ٢٠٠.

وعندما سألني عن كيفية جمعي هذا العدد الكبير من الدوريات، قلت له: ألم تعشق وأنت شاب!، ماذا إذا تأخرت محبوبتك عن موعد بينكما.. أتنتظر أم تنصرف؟!

قال: أنتظر.

قلت: وإذا حدث أن تساقط المطر.. هل ستظل منتظرًا؟

قال: نعم.. سأنتظرها.

قلت: إذن، العشق يجعل المرء يتحمل فوق طاقته من أجل من يعشق، ولأنني أعشق الدوريات، فإنني لا أبخل عليها بالغالي والنفيس، من دون انتظار لأي مقابل، كما أنني أجد في البحث عنها في أي مكان يمكنني أن أجدها فيه.

وعشق الدوريات هذا سبقه تمرين طويل، فقد كنت أحب جمع قواقع البحر، ثم نوعيات من الحصى، ثم هويت جمع الطوابع.. ولا تتعجب إذا قلت لك: إنه لم يحدث أن رميت صحيفة قرأتها، وانتبهت مبكرًا إلى ضعف الأرشيف العربي، فكان ذلك من أسباب احتفاظي بالدوريات.

كما أن عملي المبكر في مجال الصحافة جعلني أعشق الصحف والمجلات، وقد عملت تسعة عشر عامًا وشهرًا في أخبار اليوم، ـ وهنا تذكر شيئًا عزيزًا عليه، فسأل سؤالاً، عنى به الإخبار بدهشة أكثر من كونه سؤالاً ينتظر إجابته: هل تعلم أن هذا الشهر هو الذي هيأ لي الحصول على (معاش) من مؤسسة أخبار اليوم لأن قانون المعاشات لا يمنح (معاشًا) إلا لمن يقضي عشرين عامًا في مؤسسة واحدة، فكان هذا الشهر شفيعًا لي؟

ـ وعند سؤاله عن كيفية تحوله من الهواية إلى الاحتراف، أكد قائلاً:

•• أنا لا أزال هاويًا، ويمكن أيضًا أن أقول إنني أجمع بين الهواية والاحتراف، بل إن الاحتراف ينمي هوايتي؛ لأنني أضمن به توفير موارد لشراء النوادر من الدوريات، والهواية تدفعني إلى الإحساس بقيمة امتلاك الدورية، والعمل على أن أرفع من مستوى أدائي ودأبي على البحث عن مكامن الدوريات.

ـ كم عدد الدوريات التي تمتلكها حاليًا؟ وهل كلها مجموعات مكتملة؟

** يبلغ عدد الدوريات اليوم ٢٥٠٠ دورية، ثلثها مجموعات كاملة، وبعضها ينقصها أعداد قليلة لتكتمل.

ـ ألا توجد ببليوجرافيا كاملة عن الدوريات؟!

** لا يمكن في هذا الشأن ترشيح عمل معين ليكون مرجعًا وحيدًا للدوريات العربية، وإنما تتناثر المعلومات عن الدوريات في كتب كثيرة، وأظن أن هناك أستاذًا لبنانيًا في الجامعة الأمريكية يعكف على إنجاز هذا العمل، ولا أظنه متخصصًا، بل إنه يعتمد على القوائم، لا على المراجع الموثقة لها.

ـ وعن أعز دورية إلى نفسه، قال:

** أعز دورية إليّ هي التي لا أملكها، والأعداد الناقصة من الدوريات التي لديّ أراها غالية وعزيزة.

أما إذا أردت الدوريات ذات القيمة الأعلى في السعر عند بيعها فيمكن أن أذكر من المجلات «الجنان»، و«المشرق»، و«المقتطف»، و«الهلال»، ومن الصحف: «الجوائب»، و«حديقة الأخبار»، و«روز اليوسف»، والندرة دائمًا تؤدي إلى ارتفاع السعر.

ـ هل يمكنك بيع عدد نادر لديك؟

** لم يحدث أبدًا أن ارتكبت هذا الجرم، فأنا لا أبيع إلا الأعداد التي أملك منها أكثر من نسخة، وإذا طلب مني أحد أعدادًا نادرة أقوم بتصويرها له، ولا أفرط في الأصل مهما كانت الإغراءات، بينما غيري يشتري الدورية لكي يبيعها، ولكن عشقي إياها يمنعني من اتباع هذا التقليد الذي يدل على قلة الارتباط بالدورية، وتحكم النظرة المادية في من يأتون هذا الفعل.

ـ ألم تصادفك تهميشات غريبة في بعض الدوريات؟

** التهميشات ترتبط بالكتب أكثر، وهي نادرة في الدوريات. ولكن في بعض المجلات، كالموسوعات التي لها اشتراكات قد نجد عليها أختامًا أو طوابع بريد.

ـ ما أطرف عنوان لدورية؟ أجاب كمن تذكر طرفة، وهمّ بحكيها:

** من أطرف العناوين التي وجدتها:

مشنقة عشماوي، وقد استهلها المحرر بقوله:







أغلفة دوريات قديمة توضح تنوعها وتميز إخراجها الفني



اهتمام كبير بصحافة المرأة



غلاف «الموقوذة» وصاحب «حمارة منيتي»

«الشنق ولا عيشة البلا الأزرق».

وهناك (حمارة منيتي، وعفريتة الحمارة، والكرباج، والشيطان).

ـ أغرب قصة واجهتك في رحلتك مع الدوريات؟

قبل أن يكتمل السؤال بدأ أبو داود في سرد قصته مع العدد(١٢) من «الأهرام الاقتصادي»، مستمتعًا بتفاصيلها، وبنهايتها التي وضعت حدًا لمعاناته للحصول عليها:

** حدث أن كنت أراجع مجموعة الأهرام الاقتصادي لديّ، فوجدتها قد اكتملت ما عدا العدد (١٢)، فبحثت عنه في كل الأماكن التي يمكن أن أجده فيها، وبدأت بالأهرام، فلم أجد له أثرًا. وكتبت إعلانًا أبديت فيه استعدادي لدفع مبلغ ١٠٠ جنيه مقابلا له، وفي إحدى المرات حصلت على مجموعة من الدوريات تم ربطها كالعادة بالحبال وفي الجانبين تم وضع صحيفتين حتى لا تتضرر الدوريات، ودفعت مقابل الربطة ٥٠ جنيهًا، وعندما بدأت في فكها، وجدت أن الصحيفة التي في الأعلى هي أحد أعداد الأهرام الاقتصادي، وعندما أمعنت النظر وجدته العدد (١٢) الذي أبحث عنه، فكانت فرحة عظيمة، وحررت إعلانًا لإبلاغ القراء بحصولي على العدد الذي أعلنت عنه من قبل، ليكف من يبحث منهم عن هذا العدد عن البحث.

ـ ما أقدم دورية عربية؟

** كنت أعتقد ـ مثل كثيرين غيري ـ أن «الوقائع» هي الدورية العربية الأولى، ولكن من خلال مراجعاتي اكتشفت أن هناك دورية باسم «جورنال» كانت تصدر قبل «الوقائع» ولم يتبق منها غير أعداد قليلة. وقد أشار إليها الدكتور عبداللطيف حمزة في كتابه « الصحافة المصرية في مائة عام»، وكانت هذه الصحيفة خاصة بالباشا أو الوالي، ويطلع عليها عدد قليل من كبار موظفي الدولة، لذا لم تأخذ شهرة بين العامة، على عكس «الوقائع» التي كانت متاحة لجموع الشعب، فعدها أغلب المؤرخين أول صحيفة عربية.

ـ وقدم أبو داود تفسيرًا لظاهرة صدور أعداد قليلة من بعض الدوريات، ومضمون هذا التفسير:

** كان الذين يخوضون تجربة نشر الدوريات من الذين يملكون بعض المال، ويرون أن هناك أفكارًا لديهم

ينبغي أن يعبروا عنها، فكان الواحد منهم يجلس على مقهى لأنه ليس لديه مكتب، ويكتب ما يشاء، ثم يصدره في دورية، فكان المبدأ هو الدافع، ولكن قلة رأس المال كانت تعوق عملية الاستمرار، فتتوقف الدورية بعد أن يكون صاحبها قد سجل موقفًا، وعبر عن مبدأ يعتقده.

- هل كانت هناك مساحة من الحرية تتيح صدور عدد كبير من الدوريات؟

** كان التحايل هو سيد الموقف، فإذا تمّ إغلاق صحيفة أو مجلة بسبب سياسي كان صاحبها يقوم بإصدارها باسم آخر، وأكبر دليل هو أبونظارة الذي أصدر دوريات بـ ١٨ اسمًا، وكذلك «روز اليوسف» صدرت بعدد كبير من المسميات.

- وبسؤاله عما يتذكره من طرائف في عالم الدوريات، انبسطت أساريره، وبدا كما لو كان منتظرًا هذا السؤال حتى يستدعي من الذاكرة مواقف يحلو له تذكرها، فقال:

** من هذه المواقف أنني اكتشفت أن العدد الأول من مجلة «آخر ساعة» مكتوب عليه «العدد الأول» السنة الثالثة. وظللت أبحث عن هذا السر، حتى اكتشفت أن «آخر ساعة» كانت تصدر باسم «الطيارة» في السنتين الأولى والثانية، وقام التابعي بتغيير الاسم.

ومن الأشياء التي لا تنسى أن الأستاذ طلعت حرب باشا - يرحمه الله - جمع الصحفيين، وقال لهم: إنه بصدد عمل مشروع وطني كبير، وحثهم على الكتابة عنه، وكانوا - بالفعل - سببًا فيما أصاب مشروعه من نجاح، وقد حدث أن ذهب إليه أحد الصحفيين يشكو إليه أن إدارة الدعاية ببنك مصر منعت عنه الاشتراكات، وعندما سأل طلعت حرب باشا الإدارة علم أن السبب هو توقف صحيفة الشاكي عن الصدور، فنادى الرجل، وقال له: إن صحيفتك توقفت عن الصدور، فكيف تريد اشتراكًا؟

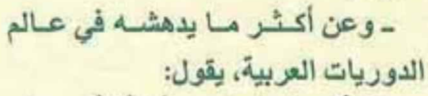
فرد صاحب «شيخ الصحافة»: الجورنال توقف عن الصدور، لكنني لا أزال أصدر - يعني أعيش -.

فأمر بأن يعطى قيمة الاشتراك مدى الحياة

ومما أذكره أن مجلة «المجنون» صدر منها عدد واحد، وقد جاء أحدهم يبيعني هذا العدد، فطلب مني ٥٠٠ جنيه، وعندما أبديت اعتراضي قائلاً: إنه لا يساوي أكثر من عشرة جنيهات، رد بقوله: إذا لم تشتر هذا العدد، فإنني سأرمي به في سلة المهملات، لأنه لا أحد غيرك يقدر أهميته، فدعني أستثمر ولعك بالدوريات. وعندما أصر على موقفه، ورفض أن يخفض الثمن الذي طلبه قرشًا واحدًا، اضطررت إلى أن أشتريه، ويمكن أن أقول: إنني اشتريت المجنون بمبلغ لا يدفعه إلا مجنون.



أحمد زكي



- وعن أكثر ما يدهشه في عالم الدوريات العربية، يقول:

** أندهش كثيرًا وأنا أرى تلك الدوريات الطبية التي صدرت منذ أكثر من ١٣٠ عامًا، وهي تحمل موضوعات شائقة، كتبت بلغة جميلة، وأسلوب ماتع، كما لو كانت قطعًا أدبية، رحم الله أمثال الدكتور أحمد زكي، ذلك العالم الذي كان يؤدب العلم.

- وكان علينا أن نعرف سر حرصه على الحصول على حق إعادة طباعة مجلة «الثقافة».. فكانت هذه القصة:

** كانت رغبتي الأولى الحصول على حق إعادة طباعة «الرسالة»، أبديت هذه الرغبة لنجل الأستاذ أحمد حسن الزيات، ولكن يبدو أن الدكتورة سعاد الصباح قدمت عرضًا ماديًا أفضل، فمنحها هذا الحق، ولكن أرى أن الرسالة في طبعتها الجديدة جاءت في

صورة مغايرة للأصل، مما جعلها لا تروق لكثيرين ممن ارتبطوا بها أو عرفوها.

وكان الطبيعي أن أسعى إلى الحصول على حق طباعة مجلة «الثقافة» لأنها الأقرب إلى الرسالة من حيث المضمون والإخراج والمكانة الأدبية، فاستطعت أن أنال حق طباعتها، وآمل أن تخرج في صورة تليق بمكانتها. وأحتاج إلى مليون ونصف المليون ريال لكي أصدر هذه المجلة بالصورة التي ترضيني.

ـ وعن حصيلة علاقته بالدوريات، ومدى الخدمة التي أداها للباحثين، أجاب:

** نيسر للباحثين الحصول على الدوريات التي يحتاجون إليها من دون أي مقابل، إحدى الباحثات كتبت في مقدمة دراستها أنه لولا المركز العربي للصحافة لما أتمت بحثها، وعندما أرادت مكافأتنا على الأشهر الستة التي قضتها معنا، قلت لها: إن نسخة من الرسالة تعد أفضل مكافأة.

وكانت هذه الباحثة تعد رسالة ماجستير، وكان موضوعها عن طب الأطفال عند قدماء المصريين.

وإحدى الصحفيات أعدت الماجستير والدكتوراه مستعينة بمقتنيات المركز، وطلبت منها المكافأة حبة برتقالة كانت معها.

والأستاذ ماجد الكسار ابن الفنان الكبير علي الكسار استعان بدوريات المركز في الكتابة عن والده.

وعندما أردت أن أهنئ الأستاذ عبدالحميد حمروش نائب رئيس مجلس إدارة الهلال على اختياره لهذا المنصب سألت عن مجموعة أعداد مجلة الهلال، وهل هي مكتملة أم لا؟ فبعد أن تحرى الأمر، عرف أن هناك نقصًا في أعداد نحو ٢٠ عامًا، فأكملت له النواقص بتصويرها من مجموعتي، وإرسالها إليه، فكان هذا العمل تهنئة عملية.

ـ هناك شخصيات أدبية وصحفية تعرفت إليها من خلال هذا العمل، هل تحتفظ بذكريات مع بعضها؟

** من الشخصيات التي عملت معها، واقتربت منها بحكم العمل الأساتذة: مصطفى محمود، وعلي أمين، وأحمد بهاء الدين، ود. سيد أبو النجا، وإحسان عبدالقدوس، ويوسف السباعي، ويوسف إدريس، وغيرهم.

ومن هؤلاء قطفت أورادًا مختلفة من بساتين معارفهم وخبرتهم.

وكان د. يوسف إدريس يسألني دائمًا: «ما أخبار غابتك يا أبا داود». وكان حريصًا على توثيق أعماله، والرجوع إلى المراجع، وساعدته بما لديّ من دوريات ليستعين بها على كتابة مقالات نشرت في مجلة «الدوحة».



يوسف إدريس

ـ رجل لا تنساه؟ سؤال أجاب عنه بلا تردد:

** الحبيب اللمسي الذي أهدى مكتبته الضخمة إلى المكتبة الوطنية في تونس، واستطاع أن يقدم خدمة جليلة للأرشيف العربي بحفظه للكتب وفهرستها وتكشيفها.

ـ وعندما طلبنا تفسيرًا لحرصه على توظيف النساء دون الرجال في مركزه، قال وهو يمزج بين الجد والهزل:

** هناك عدة أسباب: السبب الأول هو ما تبديه المرأة من اهتمام وعناية في عمل يحتاج إلى كثير من الصبر والجلد، أما الشاب فهو بطبعه طموح، فإذا عمل لديّ بعض الوقت، فإنه يظل يبحث عن فرص عمل أفضل، وفي أي وقت يمكنه أن يتخلى عني.

ثم أضاف بسخرية: هذا إذا لم يحاول أن ينافسني، ويتطلع إلى احتلال مكاني ظنًا منه أنه امتلك المعرفة والتجربة الكافيتين، ومن غير أن يعرف أن الدرب طويل. وللعلم فإن الدكتورة نجاح المشرفة على المركز تعمل معي منذ ١٨ عامًا.



Call for Applications

✳ deadline: 14 June 2002 (postmark) ✳

Fourth Annual Mediterranean Programme Summer School

directed by Philippe Fargues, Institut national d'études démographiques - INED, Paris

Migration in the Euro-Mediterranean Area. Demographic, Economic, Legal, Political and Social Dimensions

Florence, 25 August - 5 September 2002

Organisation of the Summer-School

The Mediterranean Programme Summer School will take place at the European University Institute in Florence from 25 August to 5 September 2002.

The Summer-School will be organised according to the following schedule:

* Morning Sessions will consist of two daily lectures given by senior scholars and experts. All students are required to attend the lectures.
* Afternoon Sessions will consist of three parallel workshops. Students will participate in one of the workshops that most closely reflects the topic of their dissertation research, and are required to take part in all sessions of the workshop to which they are assigned.

Requirements

The Mediterranean programme invites applications from Ph.D. students whose dissertation is on issues directly or indirectly related to international migration between / in / from countries of the Euro-Mediterranean area.

There are no conditions regarding nationality, age, or disciplinary affiliation. Applications are especially encouraged from nationals of the Southern and Eastern Mediterranean.

Candidates must have a working knowledge of English and/or French. Applicants should be aware that English is the working language of the Summer School and that most lectures will be in English. Students are required to attend all lectures and all sessions of the workshop which they are assigned.

Participating students should plan to arrive on 25 August and depart on 5 September.

Tuition and Financial Support

The tuition fee is 1.750 Euro per student which includes accommodation and meals. Travel costs are to be arranged and normally paid by the participants themselves via their home institutions.

A limited number of fee waivers and financial support for travel may be granted on the basis of the availability of resources. Applicants can ask for a waiver of the tuition fee and/or ask for financial support for travel costs by filling out the separate 'Request Form for Financial Support', available from the web site.

Application

Please download the application form from the web site:

✳ http://www.iue.it/RSC/MED/ ✳

or contact the Secretary of the Summer School:

Ann-Charlotte Svantesson:

✳ med.summer.school@iue.it ✳

Tel.: +39-055-46 85 785

Fax: +39-055-46 85 770

Application and requested documents should be sent to:

✳ med.summer.school@iue.it ✳

or to the postal address:

Mediterranean Programme
Robert Schuman Centre for Advanced Studies
European University Institute
Via dei Roccettini, 9
50016 San Domenico di Fiesole (FI)



EUROPEAN UNIVERSITY INSTITUTE



وثائق عثمان بن بشر في الدارة

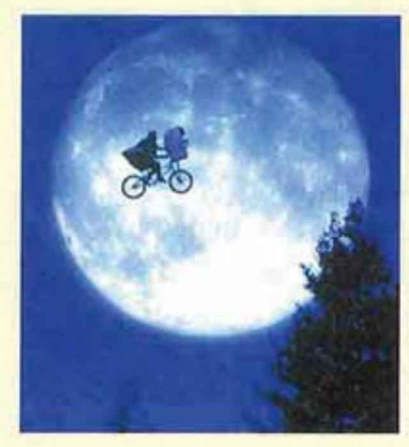
معرض صيني في الرياض
ومعرض بريطاني في الشارقة

دون كيشوت أفضل رواية
وجائزة لامرأة دامعة

مؤتمر حول مستقبل الإسلام

احتجاج أمريكي على «أمازون»

جمعية للدفاع
عن حرية الصحافة



خاتمة المطاف

ألعاب الأطفال
السينمائية
وثقافة الطفل

وثائق عثمان بن بشر في الدارة



الأمير سلمان بن عبد العزيز

استقبل صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض ورئيس مجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز في الثامن من مايو/أيار الماضي الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز البشر الذي قدم لسموه مجموعة من الوثائق النادرة عن المؤرخ الشيخ عثمان بن بشر، رحمه الله، والتي كانت تحتفظ بها أسرته في دولة الكويت، وذلك لحفظها في دارة الملك عبدالعزيز ضمن مشروعها العلمي الرامي إلى تحقيق المخطوطات المحلية ومن ضمنها «تاريخ عنوان المجد» لابن بشر.

وقد وجّه سموه شكره وتقديره للشيخ عبدالله البشر على استجابته لرغبة الدارة في حفظ هذه الوثائق لديها منوهاً بما قدمته أسرة البشر من الوثائق، ومنهم فضيلة الشيخ عبدالله بن عثمان بن بشر في الرياض، والأستاذ محمد بن عثمان بن بشر في منطقة القصيم، واللواء علي بن ناصر البشر، مشيداً باهتمامهم وعنايتهم بحفظ تاريخ آبائهم وأجدادهم مشيراً إلى أن هذه الوثائق ستلقى كل العناية والاهتمام من دارة الملك عبدالعزيز التي تعنى بحفظ وتوثيق المصادر التاريخية والعناية بها.

معرض صيني في الرياض

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب وتشو هبينغ نائب وزير الثقافة بجمهورية الصين الشعبية بمركز الملك فهد الثقافي بالرياض في الثامن من ربيع الأول معرض الصور الفوتوغرافية للتراث العالمي في الصين، الذي تنظمه وزارة الثقافة الصينية بالتعاون مع الرئاسة العامة لرعاية الشباب، واستمر المعرض إلى السادس عشر من ربيع الأول الماضي.



الأمير سلطان بن فهد

وقام الأمير سلطان بجولة في أرجاء المعرض، اطلع خلالها على محتوياته من صور تعبر عن التراث الصيني على مدى عصور متعددة، تعكس ما تزخر به الحضارة الصينية من تراث عريق وثقافة غنية وملأى بالمعطيات الإنسانية.

وقدّم سموه هدية تذكارية لنائب وزير الثقافة الصيني بهذه المناسبة، كما قدّم هدية مماثلة لسفير جمهورية الصين الشعبية لدى المملكة وو سي كه، بينما قدّم نائب وزير الثقافة الصيني هدية تذكارية للأمير سلطان بن فهد، الذي سجل كلمة في سجل الزيارات، أعرب فيها عن سعادته بما شاهده في المعرض من صور معبّرة، تعكس الجمال الذي تمتاز به طبيعة الصين، وما تحتويه من كنوز نفيسة ذات قيمة ثقافية وحضارية متميزة، قدمها أبناء الشعب الصيني خلال مراحل متعددة من التاريخ.

ترجمة القرآن الكريم في مؤتمر دولي

قدمت المملكة العربية السعودية ممثلة بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة ورقة عمل عن ترجمة معاني القرآن الكريم للمؤتمر السابع لوزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية في الدول الإسلامية الذي اختتم أعماله في الشهر الماضي في العاصمة الماليزية كوالالمبور.

وأكدت الورقة أن ترجمة معاني القرآن الكريم من أهم الموضوعات المتعلقة بعلوم القرآن، وقد عني بها علماء المسلمين قديماً وحديثاً، واكتسب هذا الموضوع أهمية كبيرة وأبعاداً جديدة في وقتنا الحاضر إذ ازداد

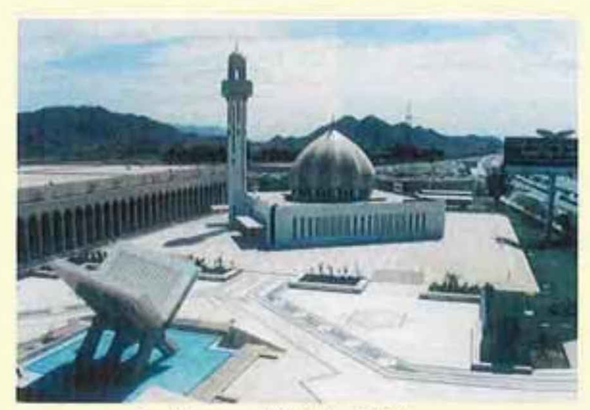
اهتمام الناس بالإسلام وبمصدره القرآن الكريم على نطاق واسع، وأصبحت ترجمات معاني القرآن الكريم السليمة منها والمحرّفة في متناول أيدي ملايين من القراء عن طريق الشبكة العالمية «الإنترنت»، وكثر الطلب من أبناء الشعوب الإسلامية المتعددة التي تحررت من نير الاستعمار السوفييتي على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغاتهم بعد أن حرموا اقتناء المصاحف نصف قرن أو يزيد.

واستعرضت الورقة أقوال العلماء في ترجمة معاني القرآن الكريم مدعمة بأدلة من كتاب الله تعالى وبأحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم، وأوردت أنواعًا لترجمة معاني القرآن الكريم، فقد ذكر العلماء نوعين لترجمة القرآن إلى غير العربية وهما الترجمة الحرفية، والترجمة التفسيرية.

ووضعت الورقة الشروط التي ينبغي توافرها في المترجم، وهي أن يجيد اللغة العربية بعلومها المختلفة مثل النحو والصرف والبلاغة واللغة إجادة تامة، وهذا شرط مهم جدًا، وأن يجيد اللغة التي يترجم إليها معاني القرآن الكريم مثل الإنجليزية أو الفرنسية. ويفضل أن تكون هذه اللغة لغته الأصلية أو مثل الأصلية، وإن لم تكن كذلك فينبغي أن تتم مراجعة الترجمة من قبل متخصصين من أهل تلك اللغة.

كما اشترطت الورقة أن يكون قد درس العلوم الشرعية بفروعها ولا سيما ما يتعلق بالعقيدة والأحكام الشرعية، وأن يكون لديه معرفة بمصادرها بحيث يمكنه الرجوع إليها عند الحاجة، وأن يكون له معرفة بعلوم القرآن، وخاصة ما يتعلق بالناسخ والمنسوخ والمكي والمدني وغريب القرآن ومشكل إعراب القرآن، وكذلك ما يتعلق برسم القرآن وضبطه والقراءات، وأن يعتمد في ترجمته على كتب التفسير المعتبرة مثل تفسير الطبري، وابن كثير، وأن يكون ملمًا بمناهج المفسرين حتى يتمكن من تجنب كتب التفسير غير السليمة البعيدة عن منهج السلف.

كما بينت الورقة أن هناك شروطًا يجب توافرها في شخصية المترجم من أهمها أن يكون مسلمًا لأن القرآن



مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

كتاب الله أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يستطيع من لا يؤمن بكونه منزلاً من عند الله أن يفهمه حق الفهم فضلاً عن أن يترجم معانيه، وأن يكون على عقيدة السلف الصالح، وأن يكون صالحًا تقيًا متحليًا بالآداب الإسلامية، بالإضافة إلى الشروط التي ينبغي توافرها في الترجمة.

وقد بلغ عدد اللغات المترجم إليها في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف نحو أربعين لغة، وإن المجمع الذي أنشأته المملكة العربية السعودية لخدمة القرآن الكريم وعلومه وتشرف عليه وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد يضم مركزًا للترجمات، من مهامه دراسة الترجمات الواردة إلى المركز من مختلف الجهات وترشيح ما يراه مناسبًا منها للنشر والتوزيع بين المسلمين وغيرهم من الناطقين بتلك اللغة.

فهرس مخطوطات الحديث الشريف وعلومه

أصدرت وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، كتابها الأول في سلسلة فهارس المكتبات الوقفية، تحت عنوان «فهرس مخطوطات الحديث الشريف وعلومه في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة».

وقد حوى هذا الفهرس بين دفتيه تعريفًا لما يقارب /٢٠٠٠/ مخطوط مما يتصل بعلم الحديث النبوي

الشريف: من كتب مصطلح الحديث، وكتب متون الحديث وشروحها، وكتب رجال الحديث ورواته، وكتب تاريخ المحدثين وطبقاتهم، وكتب معاجم الشيوخ، وكتب الإثبات والإجازات.

غلاف الكتاب

ويقع الفهرس في ٧٢٣ صفحة من الحجم المتوسط، وتضمن منهاج الفهرس في التعريف بالمخطوط: ذكر عنوان المخطوط كاملاً، واسم المؤلف، ووفاته، واسم الناسخ، وتاريخ النسخ، ونوع الخط، بالإضافة إلى ذكر التعليقات والحواشي، والتصحيحات والمقابلات، والسماعات والقراءات، ووصف حال الورق، وعدد أوراق المخطوط، وأسطرها ومقاسها.

وتمتاز مخطوطات هذا الفهرس في كون كثير منها كتب بخط مؤلفيها، واشتمل بعضها على كثير من التعليقات والحواشي، والتصحيحات، والمقابلات لمشهوري العلماء، إضافة إلى أن بعضها قد خطَّ في فترات متقدمة من التاريخ الإسلامي، وقد توزعت تلك المخطوطات على عدد من الحواضر العلمية، ويأتي في مقدمتها مكة المكرمة والمدينة المنورة.

أعدَّ الفهرس عمار بن سعيد تمالت، وراجعه الدكتور عبدالرحمن بن سليمان المزيني المدير العام لمكتبة الملك عبدالعزيز، وقدم له معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

وفاة الشاعر محمد هاشم رشيد

توفي في الحرم النبوي الشريف عقب صلاة الجمعة في العاشر من مايو/أيار الماضي الشاعر والأديب محمد هاشم رشيد رئيس نادي المدينة المنورة الأدبي على أثر أزمة قلبية، وقد ووري جثمانه في الثرى في مقبرة بقيع الغرقد وسط جموع كثيرة من المواطنين.

ولد رشيد في المدينة المنورة سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م، ودرس الابتدائية والإعدادية والثانوية بالمدينة المنورة، وتخرج في القسم العالي بمدرسة العلوم الشرعية، وحصل على دبلوم عالٍ من كلية الصحافة المصرية بالانتساب.

عمل الفقيد في إدارة اللاسلكي، ثم انتقل إلى العمل في السكرتارية بإدارة التعليم، وعمل في إدارة المطبوعات بالمدينة المنورة، ثم محرراً للأخبار بالإذاعة السعودية في الرياض، كما عمل مديراً لمكتب جريدة البلاد في المدينة المنورة، ثم مديراً لمكتب الشؤون العامة، ثم في إدارة المطبوعات بفرع المدينة المنورة.

وكان للرشيد كثير من الإسهامات الأدبية والشعرية، وكان من أوائل المؤسسين لأسرة الوادي المبارك؛ التي كان لها دور بارز في تنشيط الحياة الأدبية والثقافية في المدينة المنورة، وأصبحت - فيما بعد - نواة لنادي المدينة المنورة الأدبي الذي تأسس سنة ١٣٩٥هـ، وتولى الشاعر الراحل رئاسة مجلس إدارته عقب وفاة رئيسه الأول الشاعر عبدالعزيز الربيع سنة ١٤٠٢هـ.


محمد هاشم رشيد

وتنوعت إسهاماته في الحياة الأدبية، فأصدر عدداً من الدواوين الشعرية هي: «ضفاف العقيق» ١٣٧٢هـ، و«وراء السراب» ١٣٧٣هـ، و«دروب الشمس» ١٣٩٣هـ، و«في ظلال السماء» ١٣٩٣هـ، و«الجناحان الخافقان» ١٤٠٠هـ، و«في ظلال السماء» ١٣٩٣هـ، و«على أطلال إرم» ١٤٠١هـ، و«بقايا عبير ورماد» ١٤٠٤هـ، والأعمال الشعرية الكاملة ١٤١٢هـ.

بالإضافة إلى إسهاماته في عدد من البرامج الإذاعية والتلفازية واللقاءات الصحفية، كما شارك في الأمسيات الشعرية والمؤتمرات والندوات داخل المملكة وخارجها.

وحصل الأديب الراحل على عدد من الجوائز والميداليات والأوسمة منها: ميدالية فضية من مؤتمر الأدب السعودي سنة ١٣٩٤هـ، والوسام الثقافي التونسي عام ١٩٧٣م، وميدالية المتنبي للشعر من العراق سنة ١٣٩٩هـ، والميدالية الذهبية من المؤتمر العالمي لتاريخ الملك عبدالعزيز سنة ١٤٠٦هـ.

فتح باب الترشيح لجائزة العويس


سلطان بن علي العويس

أعلنت مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية عن فتح باب الترشيح لجائزة العويس للدورة الثامنة ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣م ابتداءً من ١٥ أبريل/نيسان إلى ٢٨ فبراير/شباط ٢٠٠٣م.

وأعلنت المؤسسة أنه لم يحدث تغيير يذكر في حقول الجائزة، أو قيمتها المادية، أو شروط الترشيح لها. علماً أن قيمة الجائزة خمسمئة ألف دولار أمريكي، بواقع مئة ألف دولار لكل حقل من حقول الجائزة، والتي تشمل الآتي: الشعر، والقصة، والرواية، والمسرحية، والدراسات الإنسانية والمستقبلية، والإنجاز الثقافي والعلمي.

وأرسلت الأمانة العامة للمؤسسة ثلاثة آلاف دعوة للترشيح، إضافة إلى أكثر من ألفي مطوية معلومات عن المؤسسة والجائزة إلى معظم الجامعات والأكاديميات والمؤسسات الثقافية والروابط والأسر والاتحادات الأدبية وأدباء وكُتَّاب في أرجاء الوطن العربي كافة.

كما أعلنت الأمانة العامة أنها ستؤمن وصول الاستمارات إلى أي أديب أو كاتب أو مفكر عربي عند طلبها من المؤسسة مباشرة «حيث يحق لهم الترشيح بشكل مباشر دون الحاجة إلى مؤسساتهم الثقافية، كما يحق لخمسة من الأدباء العرب ترشيح من يرونه مناسباً للفوز بالجائزة».

مؤتمر حول مستقبل الإسلام

تعقد مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية الدورة الثانية عشرة لمؤتمرها العام في العاصمة الأردنية عمان في شهر يوليو/تموز القادم.

وفي هذا الإطار تنظم المؤسسة مؤتمراً دولياً كبيراً حول موضوع مستقبل الإسلام في القرن الهجري الخامس عشر، ويشتمل المؤتمر على محاور عدة هي: ثورة الاتصالات في القرن الهجري الخامس عشروموقع الأمة الإسلامية فيها، وثورة التكنولوجيا في القرن الهجري الخامس عشر وموقع الأمة الإسلامية فيها، والتطرف في الإسلام وصراع الحضارات، ودخول العلمانية على الأمة الإسلامية، وتنبؤات القرآن والحديث في القرن الهجري الخامس عشر وعن آخر الزمن.

ومن المقرر أن يصدر في هذا العام قانون ينظم هذه المؤسسة ويحدد أطرها بحسبها مؤسسة علمية عالمية مقرها عمان، وتشييد مقر دائم لها.

موسوعة الفقه الإسلامي

من المتوقع أن تصدر في الكويت في نهاية العام الجاري أول موسوعة كاملة في الفقه الإسلامي شارك فيها نخبة من العقول الفقهية والشرعية المتميزة من الكويت والدول العربية والإسلامية، واستمر العمل فيها نحو عشرين عاماً.

وكان العمل قد بدأ في هذه الموسوعة عام ١٩٨٢م، واستمر بشكل متواصل لم يتوقف إلا خلال فترة احتلال العراق للكويت، ثم عاد العمل في الموسوعة بعد التحرير مرة أخرى أقوى مما كان.

وتعد هذه الموسوعة أول موسوعة متكاملة من نوعها، وتهدف إلى التيسير على المشتغلين بالتشريع من الدارسين والمدرسين والفقهاء والمتفقهين في البحث عن الأحكام الفقهية التي يستفيد منها المسلمون في دينهم وتعاملاتهم.

وقد اعتمد القائمون على أمر الموسوعة على فقه أهل السنة؛ لأن الغالبية العظمى من مسلمي الأقطار العربية والإسلامية تتبع مذاهب أهل السنة الأربعة، ولأن إضافة مذاهب أخرى ستزيد التكلفة المادية والمدة الزمنية لتنفيذ المشروع.

ويبلغ عدد أجزاء الموسوعة ٤٦ جزءاً، فضلاً عن جزأين للتعريف بالمشاركين فيها.

لوحة في مزاد

قالت صالة سوثبي للمزادات في لندن: إن لوحة للرسام الهولندي رامبرانت لم تعرض علناً منذ نحو نصف قرن ستعرض للبيع في لندن في يوليو/تموز المقبل، ويتوقع أن تُباع بما يراوح بين ١٠ و١٥ مليون جنيه إسترليني، وكانت هذه اللوحة قد بيعت آخر مرة منذ ٤٨ عاماً، ولم تشاهد في الأسواق منذ عام ١٩٣٥م.

رامبرانت

ورسمت اللوحة الزيتية التي تصور امرأة شابة، وتتخذ شكلاً بيضويا وتبلغ أبعادها ٦٥ سنتيمترا في ٤٩ سنتيمترا، عام ١٩٣٣م، وهي الفترة المحورية في تاريخ عمل الفنان، فقد صنع لنفسه سمعة طيبة بين طبقات تجار أمستردام. وقالت صالة المزادات: «ظل السطح المرسوم في حالة شبه رائعة بما يتيح لنا التعجب من الروعة الفنية لرسم رامبرانت».

وأضافت الصالة أن اللوحة تشبه لوحة أخرى لرامبرانت تصور فتاة صغيرة شعرها أحمر اللون يرجع تاريخها إلى عام ١٩٣٢م باعتها صالة المزادات في لندن منذ ١٦ عاما مقابل ١٠.٨ ملايين دولار.

دون كيشوت أفضل رواية

اختارت نخبة من أبرز كُتّاب العالم رواية «دون كيشوت» الإسبانية، التي كتبت في القرن السابع عشر، وتحكي عن رجل تنتابه أوهام عصر الفروسية، على أنها أفضل عمل أدبي في العالم.

وطغت رواية ميجيل سيرفانتيس على مسرحيات شكسبير أبرز الأعمال الأدبية الأخرى من هوميروس إلى تولستوي في الاستطلاع الذي شمل مئة كاتب، والذي كشف عنه معهد نوبل النروجي، ونظمه محررو هيئة نوادي الكتب النروجية لتشجيع الأعمال الأدبية الكلاسيكية.

وأعطى الكُتّاب، ومن بينهم سلمان رشدي، وميلان كونديرا، وجون لوكاريه، وجون آرفينج، ونادين غورديمير، وكارلوس فوينتس نورمان ميلر، رواية «دون كيشوت» نسبة أعلى بخمسين في المئة من الأصوات، موازنة بالعمل الذي جاء في المرتبة الثانية.

تجدر الإشارة إلى أن عشرة كُتّاب ظهر لهم أكثر من عمل على القائمة، فظهرت أربعة أعمال لدستويفسكي، وكافكا، وشكسبير، وثلاثة أعمال لفوكنر، وفلوبير، وغارسيا ماركيز، وهوميروس، وتوماس مان، وعملان لفرجينيا، وولف. ولم ترد تفاصيل عن الأعمال التي تلت دون كيشوت على القائمة.

رحيل حسين البرغوثي



حسين البرغوثي

توفي في الشهر الماضي بقرية كوبر الواقعة شمال غرب رام الله الشاعر والناقد الفلسطيني حسين البرغوثي بعد معاناة طويلة مع مرض سرطان الدم دون أن تتمكن سلطات مستشفى رام الله من تخفيف آلامه الأخيرة بجرعة العلاج الكيماوي التي صادرها جنود الاحتلال الإسرائيلي وهي في طريقها من عمان إلى رام الله.

درس البرغوثي الأدب والنقد في المجر، ثم درس النقد المقارن في جامعة سياتل في الولايات المتحدة الأمريكية، وعاد بعدها إلى فلسطين المحتلة ليعمل أستاذاً للأدب العربي والنقد المقارن في جامعة بيرزيت، وكان طوال السنوات الأخيرة من عمره يتحاور مع طلبته وزملائه في الجامعة حول الصيغة الحضارية والأخلاقية التي ينبغي أن تكون عليها الدولة الفلسطينية إذا قامت، ولكنه مات وهو يرى جنازير الدبابات الإسرائيلية تهرس الدولة التي يحلم بها.

وكتب الشاعر الراحل الشعر والنقد والأغاني والسيرة الذاتية، وكان أول مؤلفاته النقدية «أزمة الشعر المحلي» الذي ناقش فيه مشكلات الكتابة الشعرية في الضفة الغربية وقطاع غزة في ظل الاحتلال

الإسـرائيلي، كمـا نشر عـددًا من المجـموعـات الشعـرية منـهــا: «الـرؤيا» ١٩٨٩م، و«لـيلى وتـوبة» ١٩٩٢م، و«تـوجـد ألـفـاظ أوحش من هـذه» ١٩٩٨م، و«مــرايا سـائلة» ٢٠٠٠م، وله أيضًا عـدد من الدراسات النقـدية منهـا: «سـقوط الجـدار السـابع»، بالإضـافة إلى كـتـابة الأغنية بالـلهجة الفلسطـينية، وكتـابة عدد من الأعـمال المسـرحية مـتعـاونًا مع أبي المسـرح الفلسطيني في زمن الاحتلال فرانسوا أبوسالم.

جائزة لامرأة دامعة



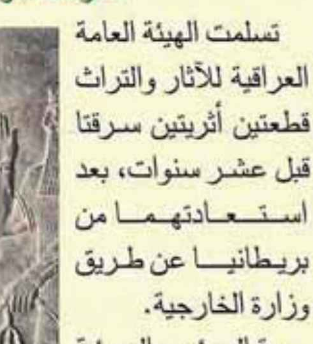
الصورة الفائزة بالجائزة

منعـت سلطات الاحـتــلال الإسـرائـيلي مـصـورًا فلسطينيًا يعـمل لدى وكالة رويتـرز للأنبـاء من مغـادرة قطاع غزة لتـسلم جائزة دوليـة تقديرًا لـتغطيتـه للصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

ويعمل المصور الفلسطيني أحمـد جاد الله (٣١ عامًا) مع وكالة رويترز منذ عـام ١٩٩٢م، ونال جائزة المصور الصحـفي لهذا العام من «جائـزة الصحـافة العـربية» في دبي، واقتسم جاد الله الجائزة الأولى مناصفة مع مصـور آخـر، وقيمـتـها ١٥ ألف دولار، وتـسلم شقـيق المصـور الجـائزة نيـابة عنه. ولا يـسـتـطيع جـاد الله الخـروج من قطـاع غـــزة منذ عـــام ١٩٩٤م، وتعـلل الـسلطات الإسرائيلية منع جاد الله من السفر بأسباب أمنية.

وتظهـر الصـورة التي نال جاد الله جائزة عليـها امرأة وقـد اغـرورقت عـيـناها بالدمـوع بعـدمـا قـتلت القـوات الإسـرائيليـة ابنهـا في رفح جنوب قطاع غـزة في شـهـر سبتمبر/أيلول الماضي.

استرداد آثار مسروقة

آثار عراقية

تسلمت الهيئة العامة العراقية للآثار والتراث قطعتين أثريتين سـرقتا قبل عشـر سنوات، بعد اسـتــعــادتـهــمـا من بريـطانيــا عن طـريق وزارة الخارجية.

وقـال رئيس الهـيئـة جـابر خليل إبراهيم: إن «القـطعــة الأولـى من مـدينة الحـضــر (دولة عربيـة تاريخيـة جنوب مدينة الموصل) تمثل وجـه شابة مع رقبـة غليظة وعـينين جاحظتين تلـتف حول رقـبتـها أربع أفـاع». وأضـاف أن «الوجـه المرسـوم على لوحـة حجـرية بالنحت البـارز كان معلقًا على السـور الأمامي لمدينة الحـضـر التـاريخـيـة، حـيث كـان سكـان المدينة يتــفــاءلون بـه لطرد الشــر عن المدينة». وأوضح أن «القطعة الثـانية من مدينة نـينوي الأثرية (قرب الموصل شمـال العراق) وهي لوح حجـري انتزع من قـصـر الملك سنحاريب (ملك الدولة الآشورية ٧٠٤ ـ ٦٨١ق.م وابن سرجـون الذي بنى مـدينة خورسـبا) وتظهـر علـى اللوح مجموعة عمال وهم يحملون جسمًا ثقيلاً».

وكـانت السلطات العـراقيـة قد تمكنت عبـر المحـاكم البـريطانية من اسـتـعادة القطعـتين، وتم إرسـالهمـا إلى بغـداد تمهـيـدًا لإعـادتهـمـا إلى الهـيئـة الـعـامـة للآثار والتراث.

ويذكر أن جـهودًا حثيـثة تبذل لاسـتعادة آثار عراقـية مسروقة في مختلف دول العالم.

أخبار مصورة

أفادت إدارة مـزادات سوثبي أن صـورتين تاريخـيتين لثـورة باريس في عام ١٨٤٨م همـا أول ما اسـتخـدم في خـبر صـحـافي، بيعتـا مـؤخـرًا مقـابل ١٨٢ ألف جنيـه إسترليني.

وكان المصور الفرنسي الرائد تيبو التقط الصورتين المطبوعتين على لوحين معدنيين خلال ثورة يونيو/حزيران التي سقط فيها أكثر من ثلاثة آلاف قتيل من سكان باريس، ونشرتهما صحيفة «لو إيلوستراسيون جورنال» إلى جانب خبر عن الثورة.

وتظهر أول صورة لتيبو التقطها لشارع سان مور في ٢٥ يوليو/حزيران عام ١٨٤٨م كميات كبيرة من الأنقاض تمثل متاريس، والصورة الثانية التقطت في اليوم التالي يظهر فيها الشارع نفسه مزدحماً بسكان المنطقة وبجنود يحملون مدافع.

دليل الناشرين السعوديين على الشبكة العالمية

تم مؤخراً إضافة دليل الناشرين السعوديين في موقع مكتبة الملك فهد الوطنية على الإنترنت على العنوان الآتي: WWW.KFNL.ORG.SA إذ تم جمع بيانات الدليل من خلال الرجوع إلى سجلات الإيداع الرسمية الخاصة بكل دار نشر على حدة، وبالاتصال المباشر بالناشرين البالغ عددهم ٤٧٩ ناشراً، يتركز معظمهم في الرياض وجدة والدمام، وقد روعي فيه الاقتصار على دور النشر الفاعلة في مجال نشر الوعاء الفكري على اختلاف أنواعه. كما يضم الدليل الناشرين التجاريين والجهات الحكومية والرسمية والتعليمية منها.

وقد قسم الدليل قسمين: الأول منها يضم دور النشر التجارية، والثاني يضم الوزارات والهيئات والمؤسسات العامة والجامعات.

وقد سجلت المعلومات باللغتين العربية والإنجليزية، كما تم ترتيب أسماء الناشرين ألفبائياً.

ولتسهيل عملية الوصول إلى الناشر، حرصت المكتبة أن يشتمل الدليل على البيانات المهمة كافة مثل: اسم الناشر، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف أو الناسوخ، ورمز ردمك.

كما احتوى دليل الناشرين على كشافين: أحدهما باللغة العربية، والآخر باللغة الإنجليزية. وسيتم تحديث بيانات الدليل متى دعت الحاجة إلى ذلك.

ومكتبة الملك فهد الوطنية بصفتها الجهة المنوط بها هذه المهام تقوم بتزويد الوكالة الدولية للرقم الدولي المعياري للكتب ومقرها مدينة برلين بألمانيا بقائمة الناشرين السعوديين باللغة الإنجليزية لنشرها في دليل الناشرين الدولي الذي يصدر سنوياً، كما تقوم المكتبة بتزويد المركز الدولي المعياري للدوريات ومقره باريس بقائمة أخرى للدوريات السعودية لتضم إلى الدليل الدولي للدوريات الذي يصدره المركز بصفة دورية مما يؤدي بدوره إلى التعريف بالناشرين السعوديين عالمياً.

رابطة الأدباء الأمريكيين تحتج على «أمازون»



موقع أمازون على الإنترنت

أعربت رابطة الأدباء الأمريكيين عن قلقها من أن موقع «أمازون» على شبكة الإنترنت يؤثر سلباً في أرباح أعضاء الرابطة التي تضم قرابة ثمانية آلاف أديب، وأن هذا الموقع يحقق أرباحاً على حسابهم. جاء هذا بعد إعلان موقع أمازون عن حملة خاصة لزيادة مبيعاته من الكتب المستعملة، وبناء على هذا أوصت الرابطة أعضاءها بإزالة الوصلة التي تقود إلى موقع «أمازون» من على مواقعهم الشخصية على شبكة الإنترنت، وقد ردت ممثلة أمازون على ادعاءات الرابطة بقولها: «إن بيع الكتب المستعملة ليس من شأنه أن يضر بالأدباء»، وأضافت بيتي سميث المتحدثة باسم الشركة أنه: «إذا قرأ أحد القراء نتاجاً أدبياً لمؤلف معين وأعجبه فسيشتري مؤلفاته في المستقبل أيضاً».

يُذكر أن هناك ما يقارب ٧٠٠ ألف موقع على شبكة الإنترنت تتضمن دلالة تقود إلى موقع «أمازون» وتشكل مبيعات الكتب المستعملة ما نسبته ١٥٪ من مجمل مبيعات هذا الموقع، كما أن قانون حماية الملكية الفكرية يحمي النسخة الأولى التي تصل إلى أسواق الكتب، ولا يتطرق إلى النسخ التي يتم إصدارها لاحقاً.

معرض بريطاني للتراث العربي في الشارقة

أقامت المكتبة البريطانية مؤخراً معرضاً في المركز الثقافي بالشارقة احتوى على قرابة ١٤ ألف شريحة (ميكروفيش) لمخطوطات عربية تمتلكها المكتبة منها نسخ من القرآن الكريم وكتب قديمة ولوحات فنية وخرائط ووثائق ومراسلات بين الخلفاء والأمراء والقادة المسلمين.

ويؤكد القائمون على المعرض أن المعروضات لا تقدر بثمن بالنسبة إلى الباحثين والأكاديميين الذين يسعون إلى لوصول إلى المعرفة من مصادرها الأصلية، وتتضمن العروض نسخاً من القرآن الكريم، وكتباً في علم الكلام، والحديث، والدراسات الإسلامية، والقانون، والسحر، والمخطوطات العلمية، والتجارب المخبرية، ومراسلات فلسفية، وكتباً في الحكمة والأسفار، فضلا عن معجمات للغات متعددة، وخرائط للمناطق المختلفة، ومن أبرز المعروضات العربية أيضاً ٣٢٨ نسخة من أدبيات الزيديين التي كانت بحوزة رحالة بريطاني قبل أن يقدمها إلى المكتبة في نهاية القرن التاسع عشر، و٢٤٦ نسخة من الوثائق التي تسجل الحياة في بغداد قبل قرون من الزمن، ومئات النسخ من الكتب والوثائق التي تؤرخ للحياة في دمشق والقاهرة خلال عصور الأيوبيين، والمماليك والعثمانيين، وكذلك نسخ عربية لمؤرخين ورحالين هنود كتبوا عن حياة الشرق عامة، والمنطقة العربية بوجه خاص.

مجزرة جنين

عن مركز زايد للتنسيق والمتابعة الذي يعمل تحت مظلة جامعة الدول العربية صدر مؤخراً كتاب «جنين .. مجزرة ضد الإنسانية»، ويشتمل الكتاب على آراء ووجهات نظر نخبة من رجال الفكر والرأي والسياسة من غير العرب حول مأساة مخيم جنين، ودعّم الكتاب هذه الشهادات بعشرات الصور التي تم التقاطها بصعوبة كبيرة وبغير علم قوات الاحتلال ومن واقع المدينة الشهيدة «جنين».

وتنبع أهمية هذا الكتاب من كون شهادات هؤلاء



من مآسي جنين

المفكرين والكُتّاب العالميين لها أهمية كبرى في هذا الوقت بالذات، ولها تأثير كبير ليس فقط في بلدانهم بل في العالم أجمع، كما أن هذه الشهادات تعد في حد ذاتها وثائق ومستندات قانونية يمكن الاستفادة منها في الوقت المناسب أمام القضاء الدولي بهدف تجريم إسرائيل ومحاكمتها أمام محاكم مجرمي الحرب.

وضم الكتاب شهادات كل من: حارث سيلاجيتش مؤسس الحزب الحاكم الحالي في البوسنة ورئيس وزراء البوسنة والهرسك الأسبق، ونور حسن ويرايودا وزير خارجية إندونيسيا، وعبدالله العبد الله وزير خارجية أفغانستان، وبول فندلي السيناتور الأمريكي السابق والكاتب السياسي، وجيرالد كوفمن عضو البرلمان البريطاني المحافظ، وباسكال بونيفاس السياسي والخبير الفرنسي في العلاقات الدولية، وبرتران بادي المفكر الأكاديمي السياسي الفرنسي، ونيكولاس غوثري الكاتب والإعلامي البريطاني، وغيرهم.

وتصدر الكتاب توجيه سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة بإعادة إعمار مخيم جنين وبناء ٨٠٠ وحدة سكنية جديدة بمرافقها كافة، كما أبرز الكتاب الرسالة التي وجهها أطفال فلسطين إلى مركز زايد للتنسيق والمتابعة، في ٦ أبريل/نيسان الماضي وطالبوا فيها المجتمع الدولي بالتدخل السريع لوقف المجازر الإسرائيلية.

وكان المركز قد سبق له إصدار عدد من الدراسات التي ترصد وتواكب التغيرات والأحداث الإقليمية والدولية السياسية والاقتصادية والعلمية، وبشكل خاص ما يتناول منها

القضية الفلسطينية ومسألة الصراع العربي الإسرائيلي، ومن هذه الدراسات: دراسة للرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر حول الموقف الأمريكي من السلام في الشرق الأوسط، ودراسة لجيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق بعنوان «التحديات العالمية عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر»، ودراسة حول مستقبل الهندسة الوراثية والجدل القائم حول مشروعات الاستنساخ في العالم، أعدها الدكتور سيفيرينو انتينيوري خبير العقم العالمي ومدير معهد أبحاث روما، ودراسة حول «المياه في الشرق الأوسط» أعدها المحلل والمستشار الإعلامي نيكولاس جوثري الخبير في شؤون الاتحاد الأوربي والمحاضر في مركز الدراسات الدولية في جامعة تورنتو.

مهرجان شعري في الجليل

اختتمت في مدينة الجليل الفلسطينية مؤخراً فعاليات مهرجان الشعر العالمي الذي سجّل - وللمرة الثالثة على التوالي - نجاحاً ملحوظاً على الرغم من الظروف العصيبة التي تمر بها المنطقة.

سميح القاسم

ورفع المهرجان شعار الحوار بين الثقافات والعمل على جعل السلام حقيقة ملموسة لا شعاراً خطابياً، وشارك فيه عدد كبير من شعراء فلسطين وأوربا وحوض البحر المتوسط، إضافة إلى بعض الشعراء الإسرائيليين التقدميين.

وعبّر عدد من الشعراء الذين شاركوا في المهرجان عن وجهة نظرهم إزاء ما يجري في فلسطين، فقال الشاعر الألباني أوكي بوتشبابا: إن العنف لا يمكن أن يقتصر على شعب واحد، ولا يمكن اتهام المسلمين وحدهم به، وعبّر عن إعجابه بالأقلية العربية التي تعيش في فلسطين التاريخية تحت السيادة الإسرائيلية، وأشاد بتحررها الفكري وعمق انتمائها العربي.

أما الشاعر خوسيه أنطونيو مارتينيز فقد رأى أن الثقافة العربية من أعرق الثقافات العالمية، وأن العرب على مدى تاريخهم الطويل أثبتوا تسامحهم وتعدديتهم الثقافية.

وأدار المهرجان الشاعر نعيم عرايدة، وشارك من شعراء فلسطين سميح القاسم، ومحمد علي طه، ونزيه خير، وسامي مهنا، ونداء خوري، وتركي عامر، ومها قسيس، وجمال قعوار، وغيرهم، كما شارك من الإسرائيليين ساسون سوميخ، والشاعرة ليئات كابلان، ويوآف حايك، وأورتسيون بارتنا، وصاحب المهرجان - الذي استمر أربعة أيام - عدد من الفعاليات الثقافية شملت ندوات وحلقات عمل، بالإضافة إلى حفلة زجلية وقراءات من الشعر الشعبي الفلسطيني، وندوة للفنانين التشكيليين.

التراث الموريتاني في خطر

دعا الخبير الرئيس بالمكتبة الوطنية الفرنسية في باريس جاك فيكير إلى إنقاذ التراث الثقافي الموريتاني المتناثر في أنحاء البلاد من الضياع، وقال الخبير قبل أن يغادر موريتانيا التي زارها مؤخراً: «إن مدن موريتانيا العتيقة تزخر بشتى أنواع المخطوطات الأثرية القيمة».

وطالب الخبير بتدخل الهيئات الدولية والحكومات الفنية للإسهام في إنقاذ هذا التراث من الضياع.

ميلر يفوز بجائزة

حصل الكاتب المسرحي الأمريكي آرثر ميلر الذي حاز الكثير من الثناء عن عدد من أعماله المسرحية مثل «موت بائع متجول» في الأربعينيات، على إحدى الجوائز الأدبية الكبيرة في إسبانيا مؤخراً.



آرثر ميلر

ووصفت لجنة التحكيم ميلر البالغ من العمر ٨٦ عاماً بأنه «أستاذ الدراما الحديثة بلا منازع». وسيتسلم ميلر جائزة برينسيب دي أستورياس وقيمتها ٥٠ ألف يورو (٤٥٤٠٠ دولار) بالإضافة إلى تمثال صغير من تصميم الفنان الإسباني خوان ميرو.

وبعد أن انتزع الفوز في المسابقة من الكاتب البرتغالي أنطونيو لوبو أنتونيز، والأرجنتيني أرنستو ساباتو ينضم ميلر إلى قافلة الفائزين بالجائزة، مثل البريطانية دوريس

ليسنج، والألماني جونتر جراس، والمكسيكي كارلوس فوينتس.

وقال ميلر في خطاب بعث به إلى القنصل العام الإسباني في نيويورك: «إنني سعيد بأن أتلقى هذه الجائزة على وجه الخصوص من إسبانيا حيث لاقت أعمالي الترحيب على الدوام».

والجائزة هي واحدة من ثمان يمنحها ولي العهد الإسباني فيليب دي بوربون سنوياً تقديراً للإنجازات المتميزة في المجالات الفنية والأدبية والعلمية، بالإضافة إلى مجالات الاتصالات والسلام والعلاقات الدولية والرياضة والعلوم الاجتماعية.

وكان ميلر قد فاز بجائزة بوليتزر عن مسرحيته «موت بائع متجول عام ١٩٤٩م.

ومن أشهر أعماله التي ركزت في معظمها في المعاناة الأخلاقية للفرد مسرحية «كلهم أبنائي» عام ١٩٤٧م، و«مشهد من الجسر» عام ١٩٥٥م، و«البوتقة» عام ١٩٥٣م.

ومن المقرر أن يتسلم ميلر الجائزة خريف هذا العام بمدينة عبيد بشمال إسبانيا.

معرض للمشروعات الفائزة بجائزة الآغاخان

بعد أن استضافت مدينة حلب السورية حفل توزيع جائزة الآغاخان للعمارة الإسلامية في دورتها الأخيرة للعام ٢٠٠١م؛ وذلك في شهر نوفمبر/تشرين الثاني الماضي التي توزع مرة كل ثلاث سنوات، تستضيف حالياً المدن السورية تباعاً معرضاً للمشروعات الفائزة بهذه الجائزة المهمة. وذلك على مدى دوراتها السابقة منذ انطلاقتها عام ١٩٨٠م.

وقد تحدثت فائقة حويجة المشرفة على المعرض لصحيفة الشرق الأوسط قائلة: يضم المعرض نماذج مختلفة لكل المشروعات الفائزة في دورات الجائزة الثماني، أما الدورة الأخيرة فتعرض على شاشة كمبيوتر، وتم تصنيف هذه المشروعات في المعرض المتجول ضمن تسعة معايير هي: العمارة باستخدام الطرائق التقليدية ومثال ذلك «مسجد الكورنيش» في مدينة جدة السعودية، والعمارة المعاصرة مثل


متحف النوبة

«معهد العالم العربي في باريس»، والاستخدام الأمثل للتكنولوجيا مثل «المدارس الابتدائية في مدينة درعا السورية ذات النظام الحجري»، والنشاط الاجتماعي «المشروع السكني في جمعية آرانيا بالهند»، وعملية الترميم «مشروع ترميم المسجد الأقصى»، وعملية إعادة الأحياء القديمة «مدينة الخليل»، والعمارة في خدمة المجتمع «مشفى مرضى الجذام في الهند» والعمارة البيئية «حي السفارات والجامع الكبير في الرياض»، والصيانة والمحافظة على المدن القديمة «مدينة موستار البوسنية».

وكانت الدورة الأخيرة للجائزة ٢٠٠١م قد وزعت على تسعة مشروعات معمارية لثماني دول إسلامية هي: إيران عن إحياء مبانٍ تاريخية وسط مدن أصفهان، ويزد، وزنجان، وبوشهر، والمغرب عن إعادة قرية أيت إكتل المنعزلة في جبال الأطلس الأعلى، والهند عن مشروع المعماريين الحفاة في تبلونيا بالهند، وغينيا عن مدرسة كاهيري إيلا لتربية الدواجن، وهي رابطة إغاثية دخلت في شراكة مع مزرعة دواجن بهدف التعليم، ومصر عن متحف النوبة بمدينة أسوان الذي يضم ٣٠٠٠ قطعة أثرية تبرز حضارة إقليم النوبة، والأردن عن قرية الأطفال الواقعة في العقبة، وتركيا عن مركز أوليبا الاجتماعي الموجود في أنطاكيا، والذي يتألف من حرم جامعة على البحر الأبيض المتوسط، ومشروع باغ فردوسي في إيران الذي يضم حديقة بمساحة ١٢ هكتاراً، وماليزيا عن مشروع بولاو لانفكاوي، وهو فندق ذو خمسة نجوم يجمع بين التضاريس والأشكال المبنية، والتقاليد والسياحة والطراز المعماري التقليدي والطراز العصري.

معرض إسلامي في كوبا

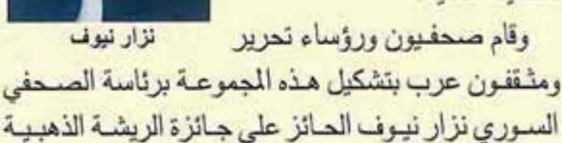
أقامت الندوة العالمية للشباب الإسلامي جناحها الدعوي الإسلامي في معرض كوبا ٢٠٠٢م الذي تشارك فيه ٢٤ دولة لاتينية وأمريكية وأوربية، وتعد هذه أول مشاركة لمنظمة إسلامية في هذا المعرض في تاريخ كوبا.

وافتتح المعرض مندوب الندوة في أمريكا الجنوبية الشيخ علي العبدوني بحضور الرئيس الكوبي فيدل كاسترو وعدد من وزرائه وأعضاء السلك الدبلوماسي في سفارات فرنسا وإسبانيا في هافانا.

وقال الأمين العام للندوة الدكتور مانع الجهني: إنه - ضمن جهود الندوة في التعريف بالإسلام - تم على هامش المعرض توزيع عدد ١٥ ألف كتاب و٤٠ ألف منشور و٥٠٠ نسخة من معاني القرآن الكريم باللغة الإسبانية، كما تم ترتيب إلقاء محاضرات عن الإسلام في الجامعات والكنائس الكوبية، وشارك في توزيع الكتب عدد من مسلمي كوبا.

والمعروف أنه لا توجد مساجد في كوبا، وقد درج المسلمون هناك على أداء صلاة الجمعة في قصر أثري يسمى البيت العربي، وكانت دولة قطر قد تبرعت بمبلغ ٤٠ ألف دولار لتهيئة البيت العربي لأداء الصلاة فيه، وهو يفتتح ثلاث ساعات يوم الجمعة فقط لأداء صلاة الجمعة، ولا تسمح الحكومة الكوبية للكوبيين بأداء الصلاة، وتحظر عليهم دخول البيت العربي، كما أنها لا تسمح ببناء المساجد.

جمعية للدفاع عن حرية الصحافة العربية


نزار نيوف

أنشأ مثقفون وكتاب عرب جمعية جديدة للدفاع عن حرية الصحافة هي المنظمة العربية للدفاع عن حرية الصحافة وحرية التعبير بدعم من الجمعية العالمية للصحف التي تمثل ١٨ ألف صحيفة عالمية.

وقام صحفيون ورؤساء تحرير ومثقفون عرب بتشكيل هذه المجموعة برئاسة الصحفي السوري نزار نيوف الحائز على جائزة الريشة الذهبية لحرية الصحافة من الجمعية العالمية للصحف، والمقيم في المنفى في باريس.

وستتولى هذه الجمعية الدفاع عن حقوق الصحافيين والكتّاب وتشجيع استقلال وسائل الإعلام العربية والمساهمة في نشر المبادئ الديموقراطية، كما تعتزم منح جائزة سنوية لحرية الصحافة إلى صحافيٍّ أو مؤسسة عربية، وتأسيس مجلة شهرية، وإقامة موقع على الإنترنت يخصص لمسائل حرية الصحافة والديموقراطية.

وستقوم هذه الجمعية العالمية على مراقبة انتهاكات حرية الصحافة وإدانتها في الدول العربية، وستعمل بتعاون مع الجمعيات الأخرى للدفاع عن حرية الصحافة.

وستقدم الجمعية للصحف مساعدة فنية، وستساعدها على إنشاء إطار تنظيمي لها، كما ستقدم كل من: اليونسكو، ومعهد الصحافة الدولي، ومنظمة العفو الدولية، ومنظمة حقوق الإنسان مساعدتها لهذه المنظمة الجديدة.

من أجل أدب إسلامي فاعل ومتفاعل

أقامت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو»، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، والجامعة الإسلامية بالنيجر، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية، في رحاب مقر الجامعة الإسلامية بساي في النيجر ندوة علمية تحت عنوان «من أجل أدب إسلامي فاعل ومتفاعل» وذلك في الفترة من ٥ إلى ٧ صفر ١٤٢٣هـ بمشاركة أدباء وباحثين وأساتذة من الهيئات المتعاونة في تنظيم الندوة ومن بينها: تشاد، وبوركينا فاسو، وتونس، وغينيا، وليبيا، والمغرب، ومصر، وموريتانيا، والنيجر، ونيجيريا.

وقد تضمنت الندوة معرضاً للمخطوطات والمطبوعات إضافة إلى دورة تدريبية على فنون الخط، وأمسية شعرية شارك فيها عدد من الشعراء البارزين تناولوا فيها هموم الأمة الإسلامية وفي مقدمتها قضية العدوان الآثم على فلسطين الأسيرة، وتناول المشاركون في الندوة المرحلة الخطيرة التي تمر بها الأمة الإسلامية، ولا سيما مع الهجمة الإسرائيلية - الأمريكية الشرسة على شعب فلسطين وعلى مقدسات الأمة وفي مقدمتها الأقصى المبارك، ونددوا بالإرهاب الإسرائيلي - الأمريكي الساعي

إلى اقتلاع الوجود الحضاري للأمة، وضرب القيم الإنسانية كلها، وأهابوا بأدباء الأمة إلى القيام برسالتهم وتسخير مواهبهم خدمة للقضية المركزية الأولى فلسطين.

ومن أجل تعزيز الذات الإسلامية، وترسيخ هوية الأمة أوصى المشاركون بالآتي:

- العناية بالأدب الإسلامي في جميع لغاته وبيئاته - ولا سيما المكتوب منها بالعربية - لماله من شأن في تعزيز القيم الإسلامية والتعبير عن آمالها وتطلعاتها الإنسانية الرفيعة.

- السعي إلى وضع موسوعة للشعر العربي الإفريقي، ويتم فيها العمل على جمعه وتحقيقه، وفهرسته، ودراسته، وحفظه بمختلف الوسائل العلمية والتقنية، والعمل على إيجاد آليات لهذا الغرض في الجامعات الإفريقية.

- العمل على إدماج بعض النصوص الأدبية الإفريقية في المناهج المدرسية والجامعية في كل الأقطار العربية والإسلامية، وتوجيه طلاب الدراسات العليا إلى إنجاز أبحاث أكاديمية حوله.

- دعوة المنظمات الثقافية المعنية بهذا الشأن مثل: منظمتي الإيسيسكو، الألسكو، إلى تنظيم جوائز سنوية للمبدعين في الأدب الإفريقي وللباحثين فيه، ودراسته دراسة معمقة.

- إحداث مراكز للبحوث والدراسات في الأدب العربي الإفريقي في الجامعة الإسلامية بالنيجر وتعنى بجمع كل ما يتعلق بهذا الأدب وتوثيقه وفهرسته واقتنائه مخطوطاً ومطبوعاً، وتزويدها بالوسائل المادية والبشرية اللازمة.

- جعل هذه الندوة دورية تنعقد بالجامعة الإسلامية بالنيجر مرة كل سنتين، على أن تخصص كل دورة بمحور محدد حول موضوع يتعلق بالأدب العربي الإفريقي، أو علم من أعلامه.

- العناية بالأدب النسائي الإفريقي اعترافاً بدور المرأة في الحياة الثقافية والأدبية عامة، وتوظيفاً لطاقاتها الأدبية لمواجهة التيارات الهدامة.

- طبع أعمال هذه الندوة ونشرها وتوزيعها، وتعميم توصياتها في أقرب الأوقات، وبكل الوسائل المتاحة.

رحيل تريم عمران


تريم عمران

توفي يوم الخميس ٤ ربيع الأول ١٤٢٣هـ الموافق ١٧ مايو/أيار ٢٠٠٢م في لندن الإعلامي والسياسي الإماراتي تريم عمران تريم عن عمر يناهز الستين عاماً بعد صراع طويل مع المرض. وأصدر ديوان حاكم الشارقة بياناً نعى فيه الفقيد.

ولد الراحل في الشارقة عام ١٩٤٢م، وتلقى تعليمه العام في الشارقة والكويت، ونال الشهادة الجامعية من مصر، وشارك في محادثات إقامة دولة الإمارات العربية، وبعد قيام الدولة عين سفيراً لدولة الإمارات في مصر، وكان أول مندوب لبلاده في الجامعة العربية. وفي عام ١٩٧٧م انتخب رئيساً للمجلس الوطني الاتحادي لدورتين متتاليتين، ثم تفرغ للعمل الصحافي منذ عام ١٩٨٠م. وهو يعدّ من روّاد الصحافة الإماراتية، إذ أسس مع شقيقه عبدالله عمران عام ١٩٧٠م دار الخليج للصحافة والنشر، وأصدر في عام ١٩٧٠م مجلة الشروق الأسبوعية، وصحيفة الخليج التي تعدّ أول صحيفة يومية في دولة الإمارات. بالإضافة إلى صحيفة «الخليج» ومجلة «الشروق»، السياسية الجامعة، ومجلة نسائية هي «كل الأسرة»، ومجلة «الاقتصادي» الشهرية، وصحيفة Gulf Today الخليج اليومية باللغة الإنجليزية، ومجلة «الأطفال الأذكياء».

كان تريم عمران منتمياً إلى التيار القومي، وشارك في تأسيس الاتحادات الطلابية خلال فترة دراسته الجامعية في القاهرة، وكان عضواً في عدد من المؤتمرات والمحافل الأهلية العربية، ونائباً لرئيس مجلس أمناء مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، وعضواً في مجلس أمناء مركز دراسات الوحدة العربية، وعضواً في منتدى التنمية الخليجي، وفي هيئات عربية ودولية.

الودغيري، عبدالعلي/ دراسات معجمية: نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى.ـ الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٢٨٦ص.

اهتم المؤلف بمشروع المعجم العربي التاريخي؛ وذلك للقصور الذي تعانيه معجمات اللغة العربية على كثرتها وتعددها، ويتمثل هذا القصور في عدم اهتمامها بضبط تواريخ المداخل المتضمنة فيها، وكذلك وقوفها منذ عدة قرون عن متابعة التطور اللغوي الذي عرفته اللغة العربية عبر أزمنتها المختلفة، وقد أنجز المؤلف عدداً من المشروعات والدراسات التي تندرج في هذا السياق من ضمنها الدراسات التي يضمها القسم الأول من هذا الكتاب والتي جاءت في ستة مباحث،

حاول المؤلف في الأول منها أن يضع إطاراً نظرياً عاماً وتصوراً لبعض الضوابط المنهجية التي ينبغي مراعاتها عند إنجاز مشروع كتابة «المعجم العربي التاريخي الشامل»، وحاول في المبحث الثاني أن يؤكد أهمية نوع خاص من النصوص التراثية، وهو كتب الفتاوى والنوازل الفقهية والأحكام القضائية في التاريخ لمراحل معينة من تطور المعجم العربي، وفي المبحث الثالث حاول أن يوضح الثمرة التي يمكن أن نجنيها من دراسة نصوص لحن العامة في التاريخ لحياة المجتمعات، فضلاً عن التاريخ لحياة الألفاظ، وفي المبحث الرابع تناول الألفاظ الفقهية والحديثية في كتابات القاضي عياض، وفي المبحث الخامس تطرق إلى الألفاظ العربية الدخيلة على المعجم الفرنسي، وفي المبحث السادس والأخير حاول - من خلال ما توافر لديه من مصادر - النظر في كلمتي (المصطلح) ، و(الاصطلاح)، ودرس شيء من تاريخهما ووجه استعمالهما.

أما القسم الثاني من المعجم فقد احتوى على ثلاثة مباحث: جاء الأول بعنوان «نحو رصيد لغوي أساسي»، وجاء الثاني بعنوان «في ضبط (ابن سيده)»، وأفرد الثالث للحديث عن كتابه «المعجم العربي بالأندلس» الذي نشر عام ١٩٨٤م، وما تعرض له هذا الكتاب من نهب وسطو.

الحجي، يعقوب يوسف/ فن صناعة السفن الشراعية في الكويت.ـ الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية؛ لندن: مركز الدراسات العربية، ٢٠٠١م، ١٦٤ص.

يُعرِّف هذا الكتاب بأصول صناعة السفن الشراعية في الكويت، وتطوراتها، وأدواتها، وموادها، ومشهوري صانعيها، وبعض السفن الأكثر شهرة، وأصحاب السفن الذين استهلوا بناء السفن الشراعية وتدبروا أمر رحلاتهم البحرية، وغير ذلك.

حاول المؤلف أن يوضح مدى الجدارة البحرية لهذه السفن الشراعية في أثناء هبوب العواصف، والخصائص الجمالية لها، إذ إن هذه السفن الشراعية لها ميزاتها الخاصة بها سواء، أكانت تلك سفينة البغلة، أو الباتيل، أو البوم، أم أحد الأنماط الأخرى التي صنعت جميعها في الكويت، ورفعت أعداد كبيرة منها العلم الكويتي في أعالي البحار وعلى جميع سواحل الخليج، وجنوب شبه الجزيرة العربية، وشرق إفريقية، والهند.

وبإيجاز، فإن هذا الكتاب، الذي صدر باللغة الإنجليزية، يقدم لنا تعريفاً شاملاً بالمهنة التي جعلت من الكويت بلداً مزدهراً على الرغم من مناخها الصحراوي، وافتقارها إلى الموارد الطبيعية.

احتوى الكتاب على عدد من الأشكال والخرائط والصور الفوتوغرافية التي توضح مراحل بناء السفن، وجاءت في الملحق تكاليف السفينة الشراعية.



نورالدين، محمد/ حجاب وحراب: الكمالية وأزمات الهويّة في تركيا.ـ بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠١م، ٤٣٢ص.

تغيرت تركيا ولم تتغير. انتصرت وانهزمت. تقدمت وترددت.

ثمة أسئلة كثيرة جداً وصعبة جداً حول مستقبل الجمهورية والعلمانية والدين والدولة والخيارات والأدوار الإقليمية والعالمية.

انتصر النظام على الأكراد معتقلاً زعيمهم عبدالله أوجلان، وأرغم حزبه العمالي الكردستاني على التخلي عن العنف بعد ٥١ عاماً من الدم والخراب، وانتصر النظام على الحركات الإسلامية، حظراً وسجناً وإبعاداً، لا فرق بين متطرف ومعتدل، فحُظر حزب الرفاه، وسُجن نجم الدين أربكان، وضاقت قبة البرلمان بالمحجبة مروة قاواقجي فنزعت منها النيابة والجنسية.

في هذا الكتاب يحاول المؤلف الإحاطة بتركيا بوصفها عالمًا غريباً وفريداً ومتنوعاً ومشتتاً وحيوياً. وكذلك مواكبة مآزقها من الجار العربي إلى الحليف الإسرائيلي، ومن الباب الكردي إلى الباب الإسلامي إلى الحلم الأوربي أو الذئب المتوثب في أقاصي القوزاق (الروس).

سلامة، عواطف بنت أديب ابن علي/ أهل مدين: دراسة للخصائص والعلاقات (١٣٥٠ ـ ١١٠٠ق.م).ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٧٣٤ص.

ترجع أهمية هذا الكتاب إلى كونه يبرز أهمية موقع شبه الجزيرة العربية الإستراتيجي في قلب العالم القديم، حيث قامت مراكز الحضارات الإنسانية الأولى في وادي السند وبلاد الرافدين، وبلاد الشام، وبلاد وادي النيل، وبلاد الإغريق والرومان، كما يبرز أيضاً دورها في اقتصاد العالم القديم، بوصفها موطناً لحضارات عريقة أثبتت البحوث الحديثة والمكتشفات الآثارية غنى مخلفاتها، وعمق جذورها.

أبرزت الدراسة أيضاً أن أهل مدين من أوائل أقوام شبه الجزيرة العربية الذين تكرر ورود ذكرهم وأخبارهم في الكتب المقدسة، وكشفت الباحثة عن جوانب مهمة من تاريخ أهل مدين بوساطة تحليل المعلومات التاريخية التي توافرت لها واستكملت أجزاء الصورة التاريخية لدور هذا الشعب المديني (نسبة إلى مدين) الذي استوطن منطقة شمال الحجاز التي شكلت البوابة الغربية لشبه الجزيرة العربية وشريانها الاقتصادي.

جاء الكتاب في ستة فصول: «دراسة أسماء الأعلام والمواقع المدينية»، و«خصائص الحياة الاجتماعية»، و«الحياة الاقتصادية»، و«الحرف والفنون (الشواهد الأثرية)»، و«علاقات أهل مدين بجيرانهم»، و«العلاقات الدينية الإسرائيلية».

استعانت المؤلفة بعدد من الخرائط والأشكال والصور لتوثيق الحقائق الواردة في البحث، وأوردت في آخر الكتاب عدداً من الملاحق شملت ثبتاً بأسماء أهم الأعلام باللغات العربية والإنجليزية والعبرية، وثبتاً آخر بأهم المواقع بثلاث لغات.



محمد، فهيم مصطفى/ الطفل ومهارات التفكير في رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية: رؤية مستقبلية للتعليم في الوطن العربي.ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٢٦٢ص.

يشتمل هذا الكتاب على برامج لتنمية التفكير في رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية، كما يشتمل على أنشطة مصاحبة لهذه البرامج.

ويقدم الكتاب حصراً شاملاً لمهارات التفكير النظرية والعملية المناسبة للطفل في رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية، كما يتضمن اختبارات لقياس مهارات التفكير لدى الأطفال.

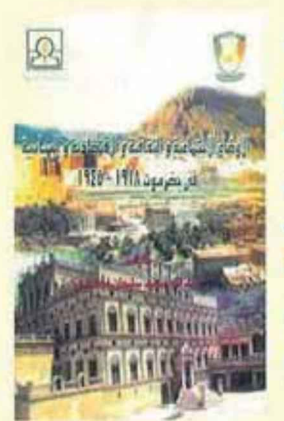
ويحتوي على عشرة فصول رئيسة هي: «النمو العقلي والمعرفي في رياض الأطفال»، و«برنامج تنمية التفكير في رياض الأطفال»، و«مهارات التفكير في رياض الأطفال»، و«أنشطة التفكير التي يمكن أن يمارسها الأطفال»، و«اختبارات لقياس مهارات التفكير في رياض الأطفال»، و«أنشطة تطبيقية على المهارات العلمية والرياضية واللغوية في رياض الأطفال»، و«تنمية مهارات التفكير في المدرسة الابتدائية»، و«مهارات التفكير العملية في المدرسة الابتدائية»، و«اختبارات لتنمية المهارة اللغوية لتلاميذ المدرسة الابتدائية»، و«الكتاب الإلكتروني وتنمية مهارات التفكير عند الأطفال».



الجرباوي، علي (وآخرون)/ فلسطين وجنوب لبنان: معركة الاستقلال والتحرير، مراجعة وتقديم: محمد علي الفرا.- عمّان: مؤسسة عبدالحميد شومان والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١م، ٢٠٤ص.

يحتوي هذا الكتاب على خمس عشرة محاضرة، ألقاها نخبة من الباحثين والمختصين في الشؤون الفلسطينية واللبنانية خلال عامي ١٩٩٩ و٢٠٠٠م، ويتناول القسم الأول من هذه المحاضرات جوانب مختلفة من أوجه الحياة الفلسطينية ومظاهرها، اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا وتربويًا، على طريق الاستقلال وبناء الدولة، كما تبرز المحاضرات صوراً ومشاهد نضالية لشعب يتمسك بوطنه، ويتشبث بأرضه، ويدافع عن مقدساته.

أما القسم الثاني من الكتاب فيتناول أحد أبرز الدلالات المهمة في مسار الصراع العربي - الصهيوني. والمتمثل باندحار الجيش الإسرائيلي وإجباره على الانسحاب من جنوب لبنان، بعد احتلال دام ربع قرن، تحت وطأة ضربات المقاومة اللبنانية، وهو ما منح الأمة العربية دفقة أمل جديدة بإمكان تجاوز آثار الهزائم والنكبات التي ألمت بها من جراء هذا الصراع.



الجعيدي، عبدالله سعيد سليمان/ الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت (١٩١٨ - ١٩٤٥م).- الشارقة: دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع؛ عدن: جامعة عدن، ٢٠٠١م ٢٤٩ص.

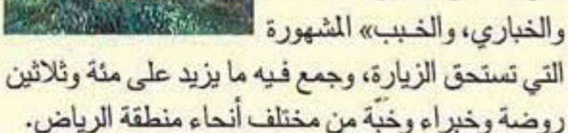
تتناول هذه الدراسة فترة مهمة من تاريخ اليمن الحديث والمعاصر تمتد من عام ١٩١٨م حتى عام ١٩٤٥م، وتناولت بالتحديد التطورات العامة للكيانين السياسيين في حضرموت وهما: السلطنة القعيطية والسلطنة الكثيرية.

وتكمن أهمية هذه الفترة في أنها مثلت مرحلة خاصة في تاريخ حضرموت، فقد ألقت الترتيبات السياسية لما بعد الحرب العالمية الأولى في العالم بظلالها على الواقع السياسي في حضرموت، ودخلت السلطنتان في علاقات جديدة تحت المظلة البريطانية، كما شهدت حضرموت في هذه الفترة جملة من الأحداث والتطورات في مختلف المجالات، ولعل أهمها تمرد الحموم وحركة ابن عبدات في الغرفة واللذان لازمهما فترة الدراسة حتى نهايتهما مع نهاية الحرب العالمية الثانية.

وقسمت الدراسة أربعة فصول، تناول في الفصل الأول دراسة جغرافية وسياسية موجزة عن حضرموت، وتناول في الفصل الثاني معظم الأنشطة الاقتصادية في حضرموت، وركز في النشاطات الرئيسة، كالزراعة والتجارة والنشاط الصناعي

الحرفي، وصيد الأسماك، كما تطرّق إلى ظاهرة الهجرة إلى الخارج التي مثلت محورًا مهمًا من محاور نشاط السكان، وتناول في الفصل الثالث عن الحياة الاجتماعية والثقافية في حضرموت، وفي الفصل الرابع والأخير تطرق إلى معظم الأحداث السياسية التي شهدتها حضرموت في فترة الدراسة.

وأورد المؤلف في الخاتمة أهم النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة.



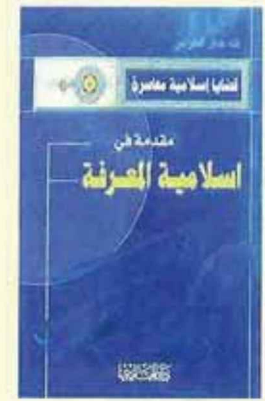
المبدِّل، خالد بن سعود/ المتنزهات البرية في منطقة الرياض.ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٢هـ/ ٢٧٤ص.

يعمل هذا الكتاب على زيادة معرفة الأماكن الجميلة في منطقة الرياض؛ وقد جعله المؤلف عن «الروضات، والخباري، والخبب» المشهورة التي تستحق الزيارة، وجمع فيه ما يزيد على مئة وثلاثين روضة وخبراء وخبّة من مختلف أنحاء منطقة الرياض.

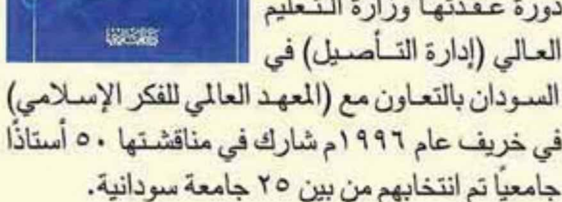
بدأ الكتاب بنبذة تعريفية (جغرافية) من منطقة الرياض، ثم تلا ذلك موضوع الكتاب الذي قُسِّم إحدى عشرة منطقة حسب مواقع الروضات، والخباري، والخبب، فقد جعل كل مجموعة متقاربة في منطقة واحدة؛ ليسهل التنقل بينها، وزوّد كل منطقة بخريطة وضّح عليها مواقع الروضات، والخباري، والخبب، والطرق الرئيسة، وأهم مظاهر السطح، والمحافظات، والمراكز.

ثم تحدث عن كل روضة، وذكر أهم المعلومات عنها، وحدد موقعها بالنسبة إلى خطوط الطول، ودوائر العرض، والمعالم القريبة منها، وكيفية الوصول إليها، وقد زُوِّد الكتاب بعدد من الصور الفوتوغرافية.

وفي نهاية الكتاب وضع المؤلف عدة فهارس، وذكر أسماء مجموعة من الكتب التي تهم هواة الرحلات، لمن أراد أن يغني معرفته وثقافته في مجال الرحلات وآدابها، وعن النباتات البرية، وما أُلّف في مجال هذا الكتاب.



العلواني، طه جابر/ مقدمة في إسلامية المعرفة.ـ بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٢٠٢ص.



الكتاب مجموعة محاضرات ألقاها المؤلف في دورة عقدتها وزارة التعليم العالي (إدارة التأصيل) في السودان بالتعاون مع (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) في خريف عام ١٩٩٦م شارك في مناقشتها ٥٠ أستاذًا جامعيًا تم انتخابهم من بين ٢٥ جامعة سودانية.

و«إسلامية المعرفة» هي - كما في رأي المؤلف - نشاط فكري ورؤية معرفية (إبستمولوجية) تسعى إلى إعادة المعرفة بشقيها الإنساني والطبيعي، بحيث تقوم على أصول إسلامية، من حيث الأهداف والنتيجة والتطبيق، وتحاول رأب الصدع ومعالجة الشقاق الذي حدث بين قراءة الوحي وقراءة الكون، لأن الاقتصار على الوحي والاكتفاء به وإغماض العين عن الكون أدت إلى التخلف عن فقه الواقع والطبيعة والحياة، والاقتصار على التجربة والحس أدى إلى ما سبق من مفارقات.

وتسعى إسلامية المعرفة جاهدة «إلى بناء المنهجية المثلى، للجمع بين القراءتين (الجمع بين قراءة الوحي وقراءة الكون)، والتعامل مع القرآن والسنة، والتراث الإسلامي، والتراث الغربي، وتتخذ العقيدة أساسًا للنظام المعرفي، بصورة تحاول أن تصلح الواقع، وتستشرف المستقبل، وتشرئب إلى العلياء: لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم أفلا تعقلون. الأنبياء: ١٠».

وجاء الكتاب في خمسة فصول: «لماذا إسلامية المعرفة؟»، و«العقيدة أساس النظام المعرفي»، و«الجمع بين القراءتين»، و«منهجية التعامل مع القرآن الكريم»، و«كيف نتعامل مع السنة النبوية»، و«منهجية التعامل مع التراث»، و«التفكير المنهجي وعلاقته بالتطور العقلي».

بغداد في القرن التاسع عشر كما وصفها الرحالة الأجانب/ ترجمة: سعاد هادي العمري.- بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١٨٠ص.



هذا الكتاب ترجم من اللغة الألمانية، ويتضمن مشاهدات ثمانية رحّالين أجانب زاروا بغداد خلال القرن التاسع عشر، ودوّنوا بأقلامهم ماشاهدوه في بغداد منذ سقوطها بيد الأتراك على يد سليمان الأول حتى سقوط «داود باشا». وقد شاهد الرحالون الثمانية كيف فتك الطاعون ببغداد، وشرّد أهاليها، كما يحدثوننا عن أحوالها وتجارتها، ومعتقداتها الدينية، وحياتها الاجتماعية، وعشائرها، وجوامعها، وطرقها، وفيضاناتها، والويلات التي أصابتها، والجيوش التي تعاقبت على احتلالها.

ويتضمن الكتاب قسمين: الأول ترجم عن كتاب الجغرافي الألماني «كارل ريتتر» المطبوع عام ١٨٤٤م في برلين، والثاني: ترجم عن كتاب الرحالة الألماني الشهير (بترمان) المطبوع في ليبزيغ عام ١٨٦٤م.

شعلان، جمال عبدالحميد/ الفهرسة والفهارس: دليل عمل.ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ١٤٠ص.

يهدف هذا الكتاب إلى تبسيط الإجراءات العملية لإعداد بطاقات الفهرس، وكيفية إنشاء فهارس المكتبة، والتعريف بالمداخل التي يشتمل عليها كل فهرس، وترتيب كل منها داخل الفهرس الخاص به مع الحرص على إعطاء نموذج لكل مدخل للاسترشاد به.

لم يتطرق المؤلف في هذا الدليل إلى سرد القواعد وتفصيلاتها، وإنما كان التركيز في الجوانب العملية والخطوات التي تمكّن الاختصاصيين من إعداد فهارس المكتبة إعداداً فنيًا سليماً طبقًا لتعليمات التقنين الدولي للوصف الفهرسي (الببليوجرافي).

واشتمل الدليل على أربعة فصول، تناول الفصل الأول: الفهرسة الوصفية من حيث تعريفها وأهميتها ومدى الحاجة إليها وتقنياتها، ثم عناصر الوصف وكيفية تسجيلها على البطاقة، وكذلك اختصاصات الأبعاد، واستخدام علامات الترقيم وفقًا لترتيب البيانات في البطاقة، وتناول الفصل الثاني التعريف بالفهرس بصفة عامة وأهميته للمكتبة والمستفيدين منها، ثم أشكال الفهارس وأنواعها والمداخل التي يشتمل عليها كل فهرس، وتناول الفصل الثالث الفهرسة الموضوعية بالتعريف وكيفية اختيار رأس الموضوع المناسب، والصيغ المختلفة لرؤوس الموضوعات، وختم بالفصل الرابع الذي اشتمل على نماذج التطبيقات العملية للفهارس الثلاثة (المؤلف، العنوان، الموضوع).

مجموعة باحثين/ حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة.ـ الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١٨٤ ص (كتاب الأمة؛ ٨٧).

هذا الكتاب محاولة للتأصيل والتدليل على أن محور مقاصد الشريعة هو حقوق الإنسان، وبيان ما تتميز به القيم الإسلامية من منطلقات تؤكد وحدة الأصل البشري، وما يترتب عليها من المساواة التي تعدّ روح الحضارة، وتأكيد كرامة الإنسان بأصل الخلق والتكوين، مهما كان لونه وجنسه كما تؤصل وتؤسس لحرية الاختيار تحت شعار: «لا إكراه»، وتعد أن إلغاء الإرادة والاختيار إسقاط لإنسانية الإنسان. وهو محاولة أيضًا لتسويغ بعض الأحكام

الفقهية، وإدراك مواصفات الخطاب الإلهي، وشروط تنزيله على محاله، عندما تتوافر الاستطاعات التي تعد مناط التكليف، وأهمية تطوير وسائل الرقابة العامة لحراسة الحقوق، وإبراز دور الحسبة، كما أنه محاولة لفك الحصار عن القيم الإسلامية، وإعادة النظر بوسائل توصيلها لإلحاق الرحمة بالعالمين.

نقرأ في هذا الكتاب بحثًا بعنوان «إنسانية الإنسان قبل حقوق الإنسان» للدكتور أحمد الريسوني، وبحثًا بعنوان «مقاصد الشريعة.. أساس حقوق الإنسان» للدكتور محمد الزحيلي. والبحث الثالث بعنوان «إحياء وتطوير مؤسسة الحسبة لحماية حقوق الإنسان» للدكتور محمد عثمان شبير.

القعود، عبدالرحمن محمد/ الإبهام في شعر الحداثة: العوامل والمظاهر وآليات التأويل- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٤٧٧ص. (سلسلة عالم المعرفة؛ ٢٧٩).

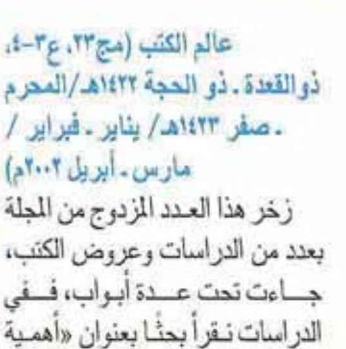
يبحث هذا الكتاب ظاهرة الإبهام بوصفها إحدى السمات الجوهرية الملازمة للشعر الحداثي والمحددة له. ولكن هذا الإبهام يتجاوز ظاهرة الغموض التي بدأ التعبير عنها في العصر العباسي، ودارت حولها سجالات النقاد بين مناصر ومعارض، فها هو ذا أحد النقاد ينتصر للغموض على الوضوح بقوله: «إن أفخر الشعر ما غمض، فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة منه».

وفي عصرنا الحاضر ترتفع الشكوى وتكثف من الإبهام الذي يكتنف النص الشعري الحداثي، حتى بات يستعصي على القارئ أن يفض مغاليقه أو أن يمسك بدلالته إن كان يحمل دلالة محددة أصلاً. بيد أن مبعث الغموض والإبهام في الشعر الحداثي يتجاوز نظيره في الشعر القديم على امتداد تاريخه ومراحله، فاتساع الأبعاد الثقافية وعمقها - في عصرنا - وتشبع الشعر الحداثي بها من ناحية، ثم لجوء الشاعر الحديث إلى تقصي ما وراء الواقع، ساعيًا إلى استكشاف «الجانب الآخر من العالم» والنفاذ إلى صميم الأشياء وجوهرها، والانفتاح على عالم الأساطير بغموضه وغرابته، من ناحية ثانية، ثم استخدام لغة شعرية جديدة لم تتعودها ذائقة القارئ من ناحية ثالثة، كل هذا أضفى على الشعر الحداثي العربي غيابًا دلاليًا وتشتتًا في المفهوم، جعلا من النص الشعري لغزًا مغلقًا يقف أمامه القارئ العام، بل الناقد المتخصص حائرًا وتائهًا. وتنبع أهمية هذا الكتاب من أنه لا يسعى فقط إلى تعريف القارئ أبعاد مشكلة الإبهام في الشعر العربي الحداثي وجذورها ومنطلقاتها وآثارها، بل يتجاوز هذا إلى استكمال دائرة البحث، بطرح التأويل وآلياته طريقة تأخذ بيد القارئ إلى تلقي الشعر، ومحاولة النفوذ إلى عالمه الرحب وآفاقه الشاسعة.

أوهاب، نذير بن محمد الطيب/ حماية المال العام في الفقه الإسلامي- الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٣٢٢ص.

يتناول المؤلف في هذه الدراسة مفهوم المال العام، والمعيار الذي يميزه من أموال الدولة، والأموال الخاصة، والحماية المقررة للأول شرعًا من خلال الموازنة بالقواعد القانونية، والعقوبة على أهم الجرائم الواقعة على هذا النوع من الأموال.

وقد جاء الكتاب في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، تناول المؤلف في فصله الأول «مفهوم المال العام ومعيار تمييزه من المال الخاص»، وتعرض في الفصل الثاني لـ «الحماية المدنية للمال العام»، وأفرد الفصل الثالث للحديث عن «الحماية الجنائية للمال العام»، وأوجز في الخاتمة أهم نتائج البحث.



مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة (ع١، صفر - ربيع الثاني ١٤٢٣هـ/أبريل - يونيو ٢٠٠٢م)

مجلة فصلية محكمة تعنى بنشر البحوث المهتمة بالتراث الحضاري للمدينة المنورة بخاصة والمملكة العربية السعودية والبلاد العربية والإسلامية بعامة في الجوانب التاريخية والجغرافية والاجتماعية والأدبية والعمرانية.

احتوى هذا العدد الأول من المجلة على تقديم لصاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز آل سعود أمير منطقة المدينة المنورة عن أهمية مركز بحوث المدينة المنورة، وافتتاحية لرئيس التحرير الدكتور عبدالله عبدالرحيم عسيلان، تطرق فيها إلى غايات المجلة وأهدافها، ومما تضمنه العدد دراسة بعنوان «تأثير التنمية الحضرية على المظهر العام للمدينة المنورة» للدكتور محمد شوقي بن إبراهيم مكي، وأخرى بعنوان «مقتنيات الحجرة النبوية الشريفة: في تقرير عثماني عام ١٣٢٦هـ» للدكتور سهيل صابان، وقدم رئيس التحرير بحثا بعنوان «أبو بكر المراغي وكتابه تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة.. عرض ودراسة».

وأعد الدكتور محمد سالم بن شديد العوفي تقريراً حول تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته وعناية المملكة العربية السعودية بطبعه ونشره، وكتب الدكتور عائض الردادي عن«محمد كبريت الحسيني المدني: أدبه ومؤلفاته الأدبية». وتناول الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم «المدينة المنورة في عيون أدباء شبه القارة الهندية»، وقدم الدكتور مصطفى محمد خوجلي بحثاً بعنوان «مع الدكتور الرويثي: في كتابه جوانب من الشخصية الجغرافية للمدينة المنورة».

وللأستاذة ليلى سعيد الجهني بحث بعنوان «المدينة المنورة في كتابات الرحالة العرب»، وأحصى الدكتور عبدالباسط بدر الرسائل الجامعية عن المدينة المنورة، وختم العدد بتقرير عن مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة وشمل مسوغات إنشائه - وأهدافه - وهيكله الإداري وإنجازاته.

المدينة المنورة: ص.ب: ٣٦٦٢

هاتف: ٨٢٤١٣٣١ - ٨٢٧٠٥٦١، ناسوخ ٨٢٧٠٥٤٧



عالم الكتب (مج٢٣، ع٣-٤، ذوالقعدة - ذو الحجة ١٤٢٢هـ/المحرم - صفر ١٤٢٣هـ/ يناير - فبراير / مارس - أبريل ٢٠٠٢م)

زخر هذا العدد المزدوج من المجلة بعدد من الدراسات وعروض الكتب، جاءت تحت عدة أبواب، ففي الدراسات نقرأ بحثاً بعنوان «أهمية كتاب موطأ الإمام مالك بن أنس واهتمام العلماء به» لمحمد بن عبدالله حياني، وبحث بعنوان «مصنفات سير الوزراء وأخبارهم في المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي» لمحمد بن سليمان الراجحي، وكتب عبدالعزيزبن محمد المسفر عن «أطفالنا والمكتبات»، وقدم حسين علي محمد دراسة فنية تحليلية بعنوان «الحوار في مسرحية (السلطان الحائر) لتوفيق الحكيم»، وقدم عبدالمحسن عبدالعزيز العسكر بحثاً بعنوان «المستدرك على المحققين»، وجاء أحد البحوث باللغة الإنجليزية تحت عنوان «أسس دمج القراءة بالكتابة في التدريس في برامج اللغة الإنجليزية بوصفها لغة أجنبية» لعثمان السماري، وفي باب مراجعات الكتب استعرض حسان فلاح أوغلي كتاب «اللغة العربية الفصيحة في العصر الحديث» لسمر روحي الفيصل، كما استعرض أحمد العلاونة كتاب «مصادر الدراسة الأدبية» ليوسف أسعد داغر.

واشتمل العدد على آخر الإصدارات من الدوريات حررها نجيب محمد الخطيب، إضافة إلى آخر إصدارت الكتب.

العنوان: ٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧

هاتف: ٤٧٦٥٤٢٢ ، ناسوخ: ٤٧٦٣٤٣٨



مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية (ع٢٢، شوال ١٤٢٢هـ/ ديسمبر ٢٠٠١م)

مجلة إسلامية فكرية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية في دبي.

احتوى هذا العدد من الدورية على مجموعة من البحوث الجادة في ميدان تخصص الدورية (الشريعة، وأصول الدين، واللغة العربية، والمعارف العامة)، بدأت بافتتاحية رئيس التحرير الدكتور محمد خليفة الدنّاع،

وجاء أول البحوث بعنوان «الشورى في عصر النبوة والخلافة الراشدة» بقلم الدكتور خالد إسماعيل نايف الحمداني، وتناول الدكتور عبدالله بن حمد الدايل «أسماء أيام الأسبوع: دراسة لغوية»، وشرح الدكتور محمود نجيب موضوع «الاحتجاج بالحديث النبوي في شرح ألفية ابن مالك»، وتناول الدكتور محمد نايف الدليمي «النسيء بين الجاهلية والإسلام»، وجاء بحث الدكتور حفظي أشتيه عن «النحو العربي والمعنى مثل من ظاهرة الحذف»، وشرح الدكتور عبدالعزيز عمر الخطيب «أحكام السلام والمصافحة»، وعرّف الدكتور محمد حامد التكينة «السندات وحصص التأمين وحكمها الشرعي»، وحقق الدكتور عمر عبدالرحمن الساريسي مخطوطة «فضيلة الإنسان بالعلوم» للراغب الأصفهاني، وشرح الدكتور علي عبدالأحمد أبوالبصل أحكام «نكاح المسيار في الفقه الإسلامي»، وختم الدكتور صالح أحمد رضا العدد ببحث عنوانه «النظر في متن الحديث في عصر النبوة».

العنوان:: ص.ب: ٣٤٤١٤ دبي ـ دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٣٩٦١٧٧٧، ناسوخ: ٣٩٦١٢٨٠



مجلة مركز البحوث التربوية
(ع٢١، س١١، يناير ٢٠٠٢م)

مجلة نصف سنوية متخصصة محكّمة يصدرها مركز البحوث التربوية بجامعة قطر. احتوى هذا العدد من المجلة على كشاف للمجلة من «العدد الأول إلى العدد الواحد والعشرين»، كما تضمن البحوث الآتية: «تقويم واقع الممارسات التدريسية الفعلية لمدرسي التربية الرياضية في صفوف المرحلة الابتدائية بدولة قطر» للدكتور بسام عبدالله مسمار، وبحثًا بعنوان «تمكن الطلاب من تعلّم بعض مفاهيم الدراسات الاجتماعية: دراسة استكشافية على طلاب الصف السادس الابتدائي بمنطقة أبها التعليمية» للدكتور سالم بن علي سالم القحطاني، وقدم الدكتور مبارك محمد آدم بحثًا بعنوان «التدريس الفعّال كما يدركه طلبة التطبيق الميداني بقسم التربية البدنية بجامعة الملك سعود»، وكتبت الدكتورة دلال أستيتيه، والدكتور تيسير صبحي بحثًا بعنوان «دراسة مقارنة بين القيم المعرفية والاجتماعية والثقافية والعلمية والأخلاقية لطلبة جامعة آل البيت والجامعة الأردنية»، كما تناول كل من الدكتور أحمد يوسف عبدالرحيم والدكتور محمد محمود الحيلة والدكتور محمد محمود خليفة مفلح «أثر ورش تكنولوجيا التعليم والتقويم في رفع مستوى الأداء المهني لأعضاء هيئة التدريس بجامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية»، وناقش الدكتور ماجد محمد خطايبة «برنامج تأهيل المعلمين في جامعة مؤتة من وجهة نظر معلمي اللغة الإنجليزية».

العنوان: ص.ب: ٢٧١٣ الدوحة ـ دولة قطر
هاتف: ٤٨٧٥٣٥٥، ٤٨٧٥٣٥٥، ناسوخ: ٤٨٧٤٤٦٥



مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية
(مج٨، ع١، المحرم ـ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ/مارس ـ أغسطس ٢٠٠٢م)

احتوى هذا العدد من المجلة على عدة بحوث ودراسات متنوعة، ففي باب الدراسات كتب سالم بن محمد السالم عن «المكتبات في عهد خادم الحرمين الشريفين»، وقدم مساعد الطيار بحثًا بعنوان «كشافات آيات القرآن الكريم: دراسة للاتجاهات النوعية والعددية وطرائق الترتيب»، وكتب خالد العرفج «عن خصخصة خدمات المعلومات: دراسة لعلاقات التداخل بين القطاع العام والخاص في تقديم خدمات المعلومات ومنتجاتها»، وتناول حسن السريحي «أمن المكتبات ونظم المعلومات: دراسة حالة على مكتبة الملك عبدالعزيز بجدة»، وعن «الاتصال العلمي في البيئة الإلكترونية» كتب حشمت قاسم، وهنالك عدد من البحوث الأخرى.

وفي باب الببليوجرافيات كتب كل من: أمين سيدو بحثًا بعنوان «خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود: ببليوجرافية انتقائية شارحة»، وحامد الشافعي دياب عن «الضبط الببليوجرافي للإنتاج الفكري في الأندلس».

وجاء آخر الأبواب بعنوان «المراجعات» وقدم فيه عبدالله المنيف عرضاً لكتاب «الجزيرة العربية في الخرائط الأوروبية القديمة بين نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن التاسع عشر» لخالد محمد العنقري.

وعرض أحمد الحسيني كتاب «الكتب العربية النادرة» لعلي بن سليمان الصوينع، وقرأ ماجد حسين بكار كتاب «شخصيات عربية من التاريخ» لرياض نجيب الريس، وألقى وليد نذير عتمة أضواء على كتب حديثة، بينما ألقى عبدالله العبد المحسن أضواء على البحوث التي يجري تنفيذها حاليًا، وقدمهما كل من وليد نذير عتمة، وعبدالله العبدالمحسن.

العنوان: ص.ب: ٧٥٧٢ الرياض ١١٤٧٢
هاتف: ٤٦٢٤٨٨٨، ناسوخ: ٤٦٤٥٣٤١

ألعاب الأطفال السينمائية وثقافة الطفل

محمود قاسم
القاهرة. مصر

كم يتمنى الأطفال لو تدب الحياة في دُمَاهُم، فتتخلى هذه الألعاب المتعددة الأشكال عن صمتها، وتتحرك أمامهم، وتتكلم معه، وتبادله وجهات النظر، والمواقف!

وقد حرص صُنّاع الألعاب على تحقيق هذه الأمنيات بدرجات مختلفة، فنطقت بعض الدُمى بشكل آلي لتردد بعض الكلمات، لكن الحياة لم تدب فيها دائماً، وراحت عرائس أخرى، وألعاب، تتحرك في مكانها، وتدور، وتبدو كأنها حقيقية، عن طريق توصيل طاقة كهربائية فيها، ومنها القطارات، والربوتات، وبعض الأجهزة.

لكنّ هناك فارقاً ملحوظاً بين الحركة الآلية، والحياة الحقيقية..

وفي السنوات الأخيرة، استطاعت السينما أن تقدم الأمل للأطفال، بأن تدب الحيوية، في الدّمى، بل أن تتم أنسنة هذه الدمى بقوة ملحوظة، أسوة بالأنسنة التي أكسبها الإنسان للحيوانات في القصص، والأفلام، وأيضاً أنسنة الكثير من الأشياء من حوله..

في البداية كانت هناك الرسوم المتحركة، لكنها، على الرغم من التطور الهائل الذي عرفناه بها في السنوات الأخيرة، لا تخرج عن أن تكون رسوماً تتحرك على الشاشة، وتجذب أنظار المشاهدين وإعجابهم، ليس الصغار وحدهم، بل الكبار أيضاً..

ومع التطور التقني، صار على الدمى أن تتحرك، تلك الدمى الموجودة في صناديق الألعاب التي يمتلكها الأطفال، تلك الدمى المألوفة في بيوتنا، ولاسيما البيوت الأمريكية منها، فبالإضافة إلى الحيوانات المألوفة، فإن التجربة أثبتت أن السينما الأمريكية قدمت في ثنائية «قصة لعبة» أبطالها الأسطوريين، فجعلت من راعي البقر نموذجاً للعبة الشعبية، وجعلت من رائد الفضاء الذي يمثل الحاضر والمستقبل معاً منافساً لهذا الراعي، ثم صديقاً له...

في ثنائية «قصة لعبة» التي بدأت عام ١٩٩٥م، قررت الدمى أن تخرج من صناديقها كي تنطق وتحتج على تصرفات الطفل «أندي» الذي يمتلكها ويسيء استخدامها.. وتنطلق هذه الدمى من الأشكال كافة إلى الحياة، لتعيش في البيت، والمدينة، بسماتها، وأحجامها نفسها، دمى صغيرة الحجم، تعمل بالبطاريات، وتواجه الكثير من المشكلات، منها خطر أن تدعسها السيارات، إنها ألعاب لكنها الآن تفكر، وتحس، ولديها مشاعر كثيرة، لكنها لا تتمرد على «أندى»، بل تحاول أن تلقنه درساً فيما يفعله بها، لكن يبدو أن «أندى» لا يشعر بهذه الدمى، ولن يتعلم، فهو ينظر إلى الألعاب على أنها مجرد أشياء، من السهل أن يقوم بتغييرها، حين يصاب راعي البقر «باز» بإصابة في ذراعه، فلماذا لا يرمى في القمامة، ولماذا لا يتم إحضار دمية أخرى، مادام «باز» قد استهلك مهمته؟. لأن أي لعبة هي مرحلة عابرة في حياة الطفل، وكم في الحياة من دمى!

وغير خافية تلك الرسالة التربوية الموجودة في هذا النوع من الأفلام، فالتعامل مع الدمية الميتة الجامدة الحياة، يعطي الإحساس نفسه الذي يشعر به أندي، لكن إكساب هذه الدمى أنسنة، يكسبها روحاً خاصة، وبقية السمات الإنسانية، مثل القدرة على تبادل المحبة، والمشاعر الفياضة، والإحساس بالخطر، والشعور بالذنب.

وقد ساعدت عدة عوامل على إكساب هذه التجربة قيمتها، منها التصوير بطريقة الأبعاد المتعددة، مما يجعل المشاهد يرى الدمية من الأبعاد كافة أشبه بكائن حي يتحرك، وليس من بُعد واحد أو بُعدين مثلما نرى في الرسوم المتحركة. وهذه الطريقة التي ابتدعها بيكسار في عام ١٩٨٦م في بعض الأفلام القصيرة، جعلته يقوم بإنتاج فيلم «قصة لعبة» عام ١٩٩٥م، من إخراج «آش براتون»، و«جون لاستر»، وهما المخرجان اللذان قاما بإخراج الجزء الثاني من الفيلم في عام ٢٠٠٠م.

كما أن نوع القصة قد أكسب الفيلمين أهمية، فمن الضروري أن تكون الدمى هي الأبطال، الدُمى هنا متنوعة، بالإضافة إلى راعي البقر، ورجل الفضاء «ووري». فلدينا القلب الذي يتحرك بالنابض (بالزمبلك) والبقرة ذات الأليتين الواسعتين، والفتاة جيسي التي تمارس ألعاب السيرك، والبطريق «ويزي» كلها دمى تعبر عن كائنات حية في الواقع، يمكن تحويلها إلى مخلوقات حساسة، تشعر، وتنبض بالمشاعر، ولم نر من بين هذه الدمى ما يعبر عن المخلوقات التي تفتقد الإحساس، كالقطارات، أو السيارات، أو حتى الروبوتات، لأنها كلها أدوات وآليات، لا يمكن للحياة أن تنبض فيها أو أن تتكلم.

وهذه المخلوقات الحية قد اجتمعت معاً، وتلاقت من أجل أن تلقن الطفل «أندي» الدرس، ولم تستخدم ألعاب مثلها في المغامرة، بل دخلت إلى معترك الحياة، والغريب أن القصص، قد جعلت من «أندي» الطفل شخصاً يحتاج إلى الترشيد، وذلك من أجل أن تصل الرسالة التعليمية إلى الأفلام.

وكما تقول الناقدة كارولين وستبروك في مجلة «امباير» في مارس/آذار عام ٢٠٠٠م، فإن هذه الأفلام تبدع ما يمكن تسميته بالحياة الحقيقية،

ولذلك فإننا نتعاطف مع هذه الدُمى في رحلتها للوقوف بعضها إلى جوار بعض.

ومن المعروف أن مغامرات هذه الدمى تدور دومًا بعيدًا عن أعين الإنسان، خاصة «أندي» وأسرته، بل إنه عندما يظهر أندي، الجامح، فإن الدمى تتصرف على أساس أنها «عرائس»، ليس بها أي نوع من الحياة، ويتحول «باز» - على سبيل المثال - إلى قطعة من القماش الممزق الأوصال، الذي يثير الرثاء، حتى إذا ما ذهب «أندي» إلى أموره الأخيرة، دبت الحياة في «باز» وزملائه، ويقرر أن ينقذ زميله رائد الفضاء بأي ثمن.

وفي الفيلم الأول، دارت منافسة بين كل من راعي البقر، ورجل الفضاء حول ما يتمتع به كل منهما من قوة ونشاط، ومهارات، ثم قررا أن يتبادلا الصداقة وأن يتعاونا، فلكل منهما سماته، والأطفال يحتاجون إلى التنوع فيما يتعلق بالألعاب المملوكة لهم. لذا فإن مخترعاً شريراً في الجزء الثاني من الفيلم، يقرر الاستفادة من سر اختراع «ووري» ويقوم بسرقته، من أجل اختراع العشرات من الدمى على غراره، مما يستوجب أن تخرج بقية الألعاب إلى الشارع من أجل إنقاذ «ووري»، وتتعرض الدمى لمتاعب متعددة، منها خطر السيارات المنطلقة، وخطر الوقوع في أزمات غير مؤهلة لها، وهي - بالطبع - دمى صغيرة الحجم.

وغير خاف أن «باز» هو شكل متطور من «لآلي لاك» أو «سعيد السعيد» بكل قصص الرسوم المتحركة الذي أحبته الأجيال السابقة، لذا تمت إعادة صياغته، أما «ووري» فإنه يمزج بين عدة شخصيات، لكنه رجل فضاء أرضي يحمل سمات الإنسان، فهو ليس سوبرمان، أو الرجل الخفاش، أو الرجل العنكبوت.

ومن المعروف أن نجاح هذا النوع من تقنيات التصوير، والإخراج والتنفيذ بدأ في السبعينيات تليفزيونياً في أفلام عرائس الموبيت، وقد وجدت قبولاً ملحوظاً، فسارعت شركات الإنتاج، غير شركة والت ديزني، إلى الاستفادة السريعة من هذه الآلية، لتحريك بعض أبطال الرسوم المتحركة الشهيرة عن طريق الأبعاد المتعددة في مجلات الأطفال ومنها «الفراخ».

وفي يوليو/تموز عام ٢٠٠٠م تم عرض فيلم «الفرخة تجري» من إخراج نيك بارل، وبيتر لورو، وفي صيف عام ٢٠٠١م عرض فيلم «شراك» الذي تتحول فيه دمى إلى شخصيات تاريخية جاءت من الحكايات الشعبية، والأساطير.

وهناك تجارب سينمائية مختلفة، منها فيلم «الجنود الصغار» عام ١٩٩٩م من إخراج جو دانت، وهو مخرج يحول الكائنات التي يحبها الأطفال، مثل مخلوقات «جرملين» إلى صانعة رعب، وتوحش، وفي فيلمه المذكور، فإن منطق التسلية، قد انقلب وتغير إلى المفهوم الآتي:

- لماذا لا نصنع من دُمى الأطفال أعظم قوة ضارية في العالم؟...

وهذا المنطق يبثه الفيلم من خلال أحد أبطاله كبير المهندسين في إحدى الشركات الكبرى المتخصصة في تصنيع لعب الأطفال أي إن منطق جو دانت، يأتي معاكساً تماماً لما رأيناه في أفلام «قصة لعبة»، فالدمى هنا تأتي بألعاب شريرة، ويستخدمها الفيلم كأدوات تحذير، أسوة بلغة السينما الأمريكية بشأن التحذير من أشياء كثيرة نحبها، على الرغم من أن الشرير هنا هو الإنسان، فهو الذي يقوم بالبرمجة، والعمل على أن تصبح الدمى ذوات قوى عاقلة، بتركيب جهاز خاص يتم وضعه في أدمغتها.

وفي الفيلم، يدفع المهندس دُماه لغزو المدينة، إنها دمى مبرمجة، تم وضع كل منها في علبة أنيقة تحمل السلاح، صغار الحجم، وكان على هذه العلب أن تنتشر في مختلف محلات البيع بالمدينة.

ويصور الفيلم نوعين من الألعاب «الجورجنت»، وهم يمثلون الألعاب الخيرة، والألعاب الشريرة التي عليها تنفيذ مهامها لنشر الخراب في المدينة، اذن فالسينما الأمريكية تسكب الأنسنة على الدمى على طريقتها، فحتى ألعاب الأطفال بها الشريرة والطيبة، وهي ألعاب، لا يتعدى دور كل منها أن يكون لعبة. واللعبة الشريرة تخرج من علبتها، مع زميلاتها إلى المدينة، وتنتابها أحاسيس المرء حين يكون في حالة حرب، فلماذا لا تكون لديه غريزة التدمير، وهدم المعاني النبيلة، لذا، فالفيلم يضم معركة بين الطرفين المتناقضين من الدمى.

وجودانت هو التلميذ النجيب الأول في مدرسة المخرج ستيفين سبيلبرج الذي صنع أفلاماً للأطفال من طراز «إي. تي»، و«الذكاء الصناعي» لكنه أيضاً تفنن في تصنيع أفلام الرعب مثل «الفك المفترس»، و«حديقة الديناصورات»، ومن الواضح أن مفهومه ينحصر في «لماذا لا يستمتع الأطفال عن طريق التخويف»، وهو اتجاه سائد الآن في ثقافة الطفل السينمائية القادمة إلينا عبر السينما الأمريكية وأدب الأطفال البريطاني.

إنها آلية جديدة يمارسها الصغير مع ألعابه المحببة على الشاشة، والسؤال الآن هل تؤدي هذه الدُمى على الشاشة الوظائف المعروفة في ألعاب الأطفال، والتي تنحصر في الوظيفة الجسمانية، والوظيفة العلاجية والنفسية، والوظيفة التربوية والوظيفة الاجتماعية، والوظيفة الخلقية؟

لا شك أن الأمر قد تغير، فعلاقة الطفل بالدمية الساكنة في بيته، أو المتحركة فيما هو أقرب إلى السكون، علاقة سلبية الإيقاع قياساً إلى علاقته بالدمية المملوءة بالحياة، وحسب الأفلام التي مررنا بها، فالدمى هنا لها وجهة نظر، ويمكنها أن تقوم بدور أساسي في حياة أصحابها، صحيح أن الطفل المشاهد لن يلعب مع دمية الشاشة، بل سوف يكتفي برؤيتها، لكنه سوف يغير حتماً من مفهومه للعبته، وإذا كان قد استفاد من مشاهدة الفيلم، فهو لن يكون «أندي»، أي إنه لن يتعامل مع دميته ككائن يخلو من الحياة، بل ستتغير حتماً أساليب التعامل مع الدمية، وهنا فإن الوظائف الخمس المذكورة للعبة سوف يزداد تأثيرها...

وذلك بالطبع لأن اللعبة السينمائية قد شكلت بهجة خاصة لدى الطفل المشاهد، إذ إن أغلب دمى السينما ظهرت في إطار كوميدي، عدا فيلم «الجنود الصغار» أي إننا، مثلما في الواقع، نرى الدمى دوماً على الشاشة في «أبهج» حالاتها وأفضلها، ومن هنا فإن الأفلام تدفع الطفل إلى أن يغير سلوكه حتى تجاه دماه.

وحتى الآن فإن التجارب التي نراها أمريكية الصنع، ومن الواقع أن طريقة التصوير من خلال الأبعاد المتعددة، لم تصلنا عملياً قبل سنوات طويلة، إذ إن أفضل وسيلة حتى الآن هي الصلصال، الذي يتم تصويره في بعض مسلسلات التلفاز بطريقة مقاربة، لكنه قياساً إلى ما نشاهده في السينما الأمريكية يبدو بدائياً جداً.



مجلة مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة

تأثير التنمية الحضرية على
المظهر العام للمدينة المنورة

مقتنيات الحجرة النبوية - تقرير عثماني

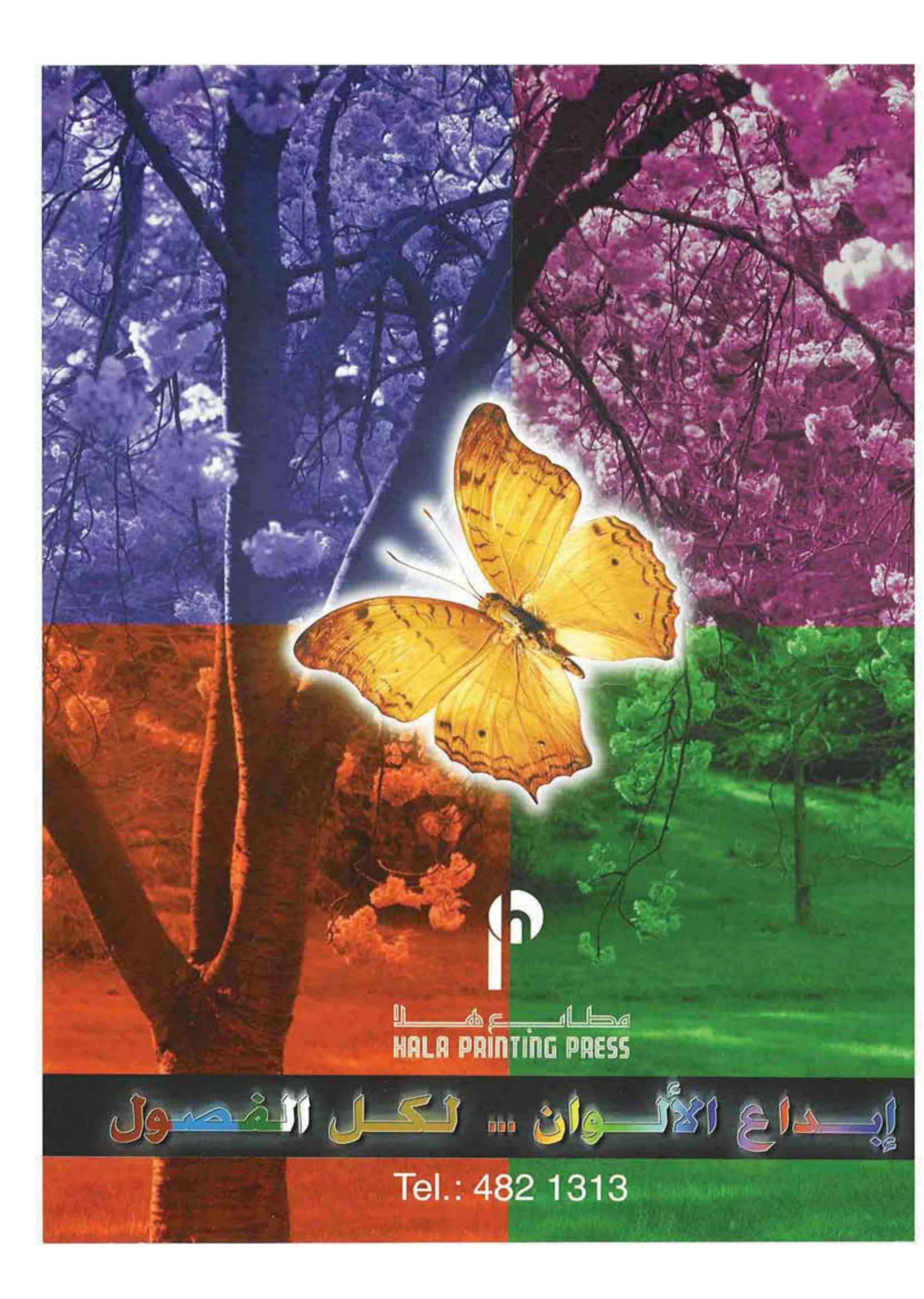
المراغي وكتابه تحقيق النصرة

محمد كبريت المدني أدبه ومؤلفاته

دليل الرسائل الجامعية عن المدينة المنورة



العدد الأول صفر - ربيع الثاني ١٤٢٣هـ أبريل - يونيو ٢٠٠٢م



مطابع هلا
HALA PRINTING PRESS
إبداع الألوان ... لكل الفصول
Tel.: 482 1313